ملخص

تاريخ المملكة العربية السعودية

كلية الدعوة والاحتساب

المستوى السادس

الأستاذ : خالد النجمي

إعداد : الدعوية

منتدى الانتساب المطور
www.alimam.org

المحاضرة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..المقرر عن تاريخ المملكة العربية السعودية بأدوارها الثلاثة الأول والثاني والثالث...لن نفصل عن الدور الأول لسعوديه لهذا ارجوا العودة إلى المراجع.

* أهداف مقرر تاريخ المملكة العربية السعودية:

١. الشعور الوطني، وتعريف الطلاب بالإنجازات السعودية في كافة المجالات..

٢. تعريف الطلاب بأبرز المعطيات الخيّرة من توحيد المملكة العربية السعودية في دولة واحده وتاريخ البلاد..

٣. تعريف الطلاب بجهود المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين بصفة عامة..

٤. بيان المكتسبات الحضارية التي تحققت للمجتمع السعودي نتيجة لما تحقق له من وحده سياسية..

* المقرر على ثلاث أقسام :

. قسم خاص بالدولة السعودية في عهدها الأول.

. قسم خاص بالدولة السعودية في عهدها الثاني.

. وقسم أخير في تاريخ المملكة العربية السعودية بعد توحيدها على يد الملك عبد العزيز .

* أبرز مصادر المقرر في هذا القسم من المنهج وهو الدولة السعودية الأولى هي:

.كتاب: «عنوان المجد في تاريخ نجد»؛ لعثمان بن بشر، يتكلم عن لدولة السعودية الأولى والفترة التي سبقت قيام الدولة.

.كتاب: «روضة الأفكار لمرتادي حال الإمام»؛ لحسين بن غنام.

.كتاب: «كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب»؛ لمؤلف مجهول، حققه عبد الله العثيمين، وللعثيمين أيضا المؤلفات خاصة بتاريخ الدولة السعودية:كتاب عن تاريخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، كتاب من مجلدين، الجزء الأول عن تاريخ الدولة السعودية في عهدها الأول، والثاني، وخصص الجزء الثاني لتاريخ المملكة العربية السعودية بعد توحيدها على يد الملك عبد العزيز.

. هناك الفاخري محمد بن عمر له كتاب عن الأخبار النجدية.

. منير العجلاني له كتاب عن تاريخ البلاد العربية السعودية.

. عبد اللطيف الحميدان له عدة بحوث عن تاريخ البلاد السعودية والإمارات التي قامت فيها أبرز هذه البحوث إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، وبحث عن التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية.

. عبد الرحمن عبد الرحيم له كتاب عن تاريخ الدولة السعودية الأولى.

. وكذلك عبد الفتاح أبو علي له كتاب عن تاريخ الدولة السعودية الأولى.

وبداءةً حديثنا عن تأسيس الدولة السعودية الأولى وتاريخها في عهدها الأول، ولابد أن نتحدث عن الأوضاع، سأشير إلى أبرز وأهم حكام هذه الدولة وسنوات حكم كلٍّ منهم. وهذا تمهيد للأوضاع السائدة قبل قيام الدولة السعودية:

* أتحدث بداية عن الأوضاع التي سبقت قيام الدولة السعودية في نجد وفي أنحاء شبه الجزيرة قبل قيام الدولة السعودية الأولى :

. أولًا الوضع السياسي:

. الحجاز كانت ضمن ولايات الدولة الإسلامية في عهدها النبوي، وفي عهد الخلفاء الراشدين، وفي العصر الأموي، وفي العصر العباسي الأول، حتى أواخر القرن الثالث الهجري سنة (٣٥٨ هـ) كان هناك صراع بين العباسيين والأشراف أو العلويين، ثم تم للأشراف التولي والسيطرة على الحجاز من سنة (٣٥٨ هـ)، الى (٥٦٧ هـ) كان الصراع محتدمًا في هذه المنطقة بين العباسيين وبين الفاطميين والسلطة كانت بيد الأشراف والنفوذ كان متذبذبا بين العباسيين وبين الفاطميين، حتى قيام صلاح الدين بإسقاط للدولة الفاطمية في مصر، وبالتالي قُضي على نفوذهم في باقي المناطق، ومن بينها الحجاز، واستمر النفوذ الأيوبي وهو نفوذ للدولة العباسية استمر هذا النفوذ حتى جاءت الدولة المملوكية بعد الأيوبيين، وبعدهم العثمانيين، حتى سقطت الخلافة العباسية في القاهرة عندما أسقطها العثمانيون، ثم أصبح نفوذ الحجاز في يد العثمانيين حتى قيام الدولة السعودية، وكان بيد الأشراف بصفة عامة، وهم بدورهم يخضعون للدولة العثمانية.

. ثانيًا الوضع الاقتصادي:

. الأوضاع الاقتصادية بصفة عامة في الحجاز عمومًا ومكة خصوصًا اعتمدت اعتمادًا كبيرًا على الحج، فهو مُقَوِّمٌ اقتصادي أساسي للأوضاع الاقتصادية في مكة، وبالتالي كانت فائدته للزعماء، وللسكان، وللقبائل التي كانت تستوطن بادية الحجاز؛ وهذه الفئات الثلاثة استفادت من الحج فائدة اقتصادية كبيرة،وكلما تأثَّر هذا المقوم، تأثرت الأوضاع الاقتصادية في مكة.

. ثالثًا الوضع العلمي، والديني:

.كان هناك الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، عُرفا بكونهما مركزيين علميين مهمين على امتداد تاريخ الدولة الإسلامية . ولابد لهذين المكانيين أن يكون لهما تأثير جيد، وقوي في الحركة العلمية، ولابد أن يكون لهذا نتيجة على الأوضاع العلمية في مكة، وفي الحجاز بصفة عامة، طبعًا كان له تأثير بكثرة العلماء، والمجاورين، وكثرة طلاب العلم الوافدين إلى مكة، وكثرة الدعاة المنطلقين من مكة، وغير ذلك من الأشياء التي ترتبط بالجوانب العلمية والثقافية، وجوانبها المختلفة، ومدى تأثيرها على أنحاء العالم الإسلامي، وبالتالي كانت الحركة العلمية نشطه، وجيدة، وكانت مختلف أنواع العلوم والثقافات تنطلق من مكة إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، عبر هذا الارتباط والتواصل الحضاري انتشرت في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي الكثير من الأوضاع التي تخالف الدين الإسلامي، سواء كانت بدع، أو خرافات، أو غير ذلك من الأشياء التي لا تتوافق مع الإسلام، ولا تتوافق مع مبادئ الإسلام وتعاليمه، ودائما تنتقل مثل هذه الأمور في حال الاتصال البشري، وكون مكة مركز ثقافي وديني ومقدس للمسلمين جميعًا، فلابد أن تحدث مثل هذه الأشياء، وتتسرب مع الحجاج إلى مجتمع مكة، وهو ما حدث في ظهور كثير من الأمور المحرمة والشركيات، وانخفاض الأخلاق بين الجهلة ونحوهم.

أما المذهب الديني كان العلويين والأشراف، يعتنقون المذهب الزيدي، وفي فترة تحولوا إلى المذهب السني، وعلى هذا المذهب كافة سُكَّان الحجاز.

. والمدينة لا تختلف عن مكة إلا في ابتعادها عن جدة والساحل، وكونها منطقة أكثر صحراوية من مكة، وهذا أعطاها ناحية إيجابية في الزراعة، وعُرفت المدينة بكونها تشتهر بالعديد من المحاصيل الزراعية على رأسها التموروغيرها ، وهو ما جعلها مركزًا تجاريًّا أو مكان لحرفة الزراعة.

سأتحدث عن أسماء المناطق بمسمياتها الحالية لتتضح،

الأوضاع في جنوب غرب المملكة، واقصد بها «منطقة عسير»، و«منطقة جازان»، و«منطقة نجران»:

. و«منطقة عسير» كانت تُعرف بعسير وتهامه، سواء كانت المرتفعات أو الساحل.

. و«منطقة جازان» التي عُرفت بتاريخ مبكر بالمخلاف السليماني.

. و«منطقة نجران».

وهذه المناطق الثلاثة غلب عليها الطابع القبلي.. نفوذ الأشراف وصل إلى القنفذة في فترة، ولكن في **عسير** النفوذ للزعماء المحليين ، وكان نفوذ الأشراف ضعيفًا اعتمد اعتماد كبيرًا على التبعية فقط، وتقديم الهدايا بالمناسبات، أما زعامة المنطقة ورئاستها؛ فقد كانت لزعماء محليين فيها.

الأوضاع الاقتصادية كانت المقومات الزراعة والثروة الحيوانية، والسمكية على الساحل أبرز مقومات النشاط الاقتصادي للسكان، وبالتالي كانت منطقة اعتمدت على نفسها كثيرًا، وأيضًا اعتمدت على المناطق قريبة منها في أمور التجارة وما يتصل بالتبادل التجاري.

المخلاف السليماني أو بالنسبة لجازان: فكانت هناك محاولات للوحدة الإقليمية فيها ونجح فيها سليمان بن مطرف الحكمي، والذي بناء على اسمه سمي المخلاف السليماني في القرن الرابع الهجري، لكن هذه الوحدة الإقليمية لم تستمر طويلًا، فعاد الإقليم إلى إمارات، متعددة تتنازع النفوذ فيما بينها، فكل إمارة تُسيطر على بلدة من البلدات وكان معظم الإمارات من الأشراف ، والنفوذ السياسي الطاغي على هذه المنطقة كان لحكام اليمن أو أئمة اليمن حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري سنة (١٢٥٠ هـ) ، ثم بعد ذلك للعثمانيين سيطروا على اليمن وقضوا على نفوذ الأئمة فيه.

الأوضاع الاقتصادية جيدة، وليس ببعيد عن عسير، ولكنه كان أكثر خصوبة، و أكثر أمطارًا، الأمر الذي أثَّر على كثرة المحاصيل بكونها بيئة زراعية، وأيضًا الثروة السمكية عُدَّت من المقومات الأساسية للتجارة، والوضع الاقتصادي في هذه المنطقة.

. نجران سكانها من قبائل يام معروفين بطبعهم العسكري والزعامة السياسية والإدارية كانت بيد المكارمة، وكان على رأسهم الحسن بن هبة الله المكرمي استمر هذا حتى دخول المنطقة تحت الحكم السعودي والمنطقة صحراويه اعتمدت كثيرا على المخلاف السليماني وعلى اليمن في الحصول على احتياجتها من المواد الاقتصادية والجوانب الاقتصادية.

* ننتقل إلى الحديث عن الأوضاع في شرق الجزيرة العربية والأوضاع فيها:

المنطقة الشرقية كانت تُسمى بالبحرين، وهذا يشمل منطقتي الإحساء والقطيف، وأيضًا البحرين الحالية، والمناطق الساحلية، في أواخر القرن الثالث الهجري كانت مركز لدولة القرامطة الباطنيين من الروافض وهذه نشأت في مكة أو الحجاز، ثم انتقلت إلى هذه المنطقة وأصبحت مركز لها، حتى حلَّ الضعف في هذه الدولة خلال القرن الخامس الهجري، وبدأت القبائل المنطوية تحتها في الانفصال عنها شيئًا فشيئا، حتى في سنة (٤٦٦هـ) استطاع عبد الله بن علي العيوني من قبائل بني عبد قيس أن يُكَوِّن فيها أول وحده تأسست فيها، وتشمل قبائل ومناطق خارج الإحساء كمناطق من نجد أسس خلالها الدولة العيونية واستمر حكمها لوقت متأخر حتى دبَّ النزاع بين أفرادها الأمر الذي أدى إلى زوالها قبيل منتصف القرن السابع الهجري، حيث أدى خروج قبائل بني عامر وهي من أقوى القبائل المستوطنة في شرق شبه الجزيرة العربية، على أحد زعماء الدولة العيونية وقامت قبيلة بني عامر بالسيطرة على المنطقة بزعامة عصفور بن راشد، وبناء عليه سُميت الدولة العصفورية، وأقام حكم خاص بالدولة العصفورية، أو إمارة آل عصفور، واستمرت حتى نهاية القرن الثامن الهجري، (٨٠٠ـ٨٢٠)إلى حد قريب، ثم فرع آخر من القبائل بدء النزاع في هذه المنطقة، واستمر هذه الفترة المضطربة خمس سنوات انتقل بعدها الحكم إلى أحد فروع قبيلة بني عامر، وهم من آل جروان سنة (٨٢٠ هـ)، حيث حكمت أسرة زامل الجبري هذه المنطقة، وعُرفت في التاريخ بالإمارة الجبرية، أو الجبور، وكان أشهر وأكثر زعمائهم شهرة هو أجود بن زامل الذي اتسع نفوذه ليشمل مناطق كبيرة من الخليج العربي بعمان، إضافة إلى أجزاء من نجد وغيرها، ومن أمرائها المشهورين أيضًا مقرن بن زامل الذي استشهد على يد البرتغاليين سنة (٩٢٧ هـ)، وضعفت إمارة الجبور ودبَّ النزاع بين أفراد الأسرة إضافة إلى الغزو الخارجي الذي حدث من البرتغاليين لمنطقة الخليج وبعد أربع سنوات من هذا توفي مقرن، واستولى راشد بن مغامس على مقاليد البلاد سنة (٩٣١)، وفي هذه الفترة قدم العثمانيون وكانوا قد أخضعوا العراق عن طريق والي العراق للسيطرة على المنطقة حماية لها من التهديد البرتغالي الذي أخذ يزحف عليها، ومثلما فعل العثمانيون في اليمن وحموها من الغزو البرتغالي، وسيطروا عليها أيضًا، واتجهوا إلى الخليج لحمايته من البرتغاليين، وسيطروا على منطقة البحرين والإحساء في هذه المنطقة، وشكلوا قُوَّة لهم ضد النفوذ البرتغالي، واستمرت بحدود (١٢٠) سنة إلى عام تقريبًا (١٠٨٠ هـ)، وعندما دخلت هذه المنطقة تحت حكم آل حميد من بني خالد، وبعد ذلك دخلت تحت الحكم السعودي لأول مره سنة (١٢١٠هـ).

المحاضرة الثانية

نتحدث عن الأوضاع قبل قيام الدولة السعودية:

الأوضاع في نجد كانت منذ القِدم مثل بقية ولايات الدولة الإسلامية عُرفت بولاية «اليمامة» في معظم فترات التاريخ، وتُضاف إما إلى الحجاز، أو إلى البحرين، فلم تنفصل كولاية مستقلة بأمير، وفي منتصف القرن الثالث الهجري كنا تحدثنا عن الثورة العلوية في الحجاز،وقائدها إسماعيل بن يوسف، وقد فشلت في تحقيق استقلال الحجاز عن سلطة الدولة العباسية، وكان لإسماعيل أخوٌ يُقال له محمد، ولقبه الأخيضر، نتيجة فشل الثورة في الحجاز هرب إلى اليمامة مواصلًا الثورة ضد الدولة العباسية، ، وقد انتقلت هذه المحاولات إلى اليمامة، وأسس محمد بن يوسف الملقب بالأخيضر الدولة الأخيضرية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري من سنة (٢٥٣ هـ)، واستمرت حوالي مائتي سنة، ثم بعد زوال الدولة الأخيضرية تفككت الأوضاع في نجد وأصبحت مناطق معظمها بادية والمناطق الحضارية فيها محدودة متنازعة فيما بينها، والغالب يُسيطر على الضعيف، استشرى النزاع والحروب بين هذه البلدات والقبائل، بسبب المناطق الرعوية؛ لأنها مقومٍ اقتصاديٍ رئيسيًّا للبادية والحاضرة معًا، ونتيجة لهذه الأوضاع الداخلية . اصبحت هدفًا للدول المحيطة، سواء الأشراف، أوالإمارات القوية التي قامت بمنطقة شرق البلاد من بين هذه الإمارات، إمارة الجبور التي غزت القبائل النجدية (إقليم العارض) للسيطرة عليه والتوسع على حساب هذه القبائل، وهذا ما نعرفه عن أجود بن زامل أحد أشهر حُكَّام وأمراء الإمارة الجبرية الذي سمي في فترة برئيس نجد دلالة على مدى النفوذ أو بعض مناطق نجد خضعت للدولة الجبرية أو إمارة الجبور..

. عندما سيطر العثمانيون على شبه الجزيرة العربية وكانوا قد سيطروا على الحجاز، واليمن وشمال شبه الجزيرة العربية، وكان الأشراف هم أداتهم في شبه الجزيرة، وبالتالي حاول الأشراف أن يُوسعوا نفوذهم، وبالتالي نفوذ الدولة العثمانية على نجد، وحدثت أكثر من غزوة، من قِبل الأشراف، وأشهر هذه الغزوات مهاجمة الشريف حسن بن أبي نمي سنة (١٩٨٦) لبلدة (معكال) وهي إحدى أحياء مدينة الرياض، وفشلت هذه الحملات والغزوات، ولم تحقق سِوى الحصول على غنائم أو نحو ذلك من الأسلاب التي يكتفي بها الغزاة ويعودون إلى بلادهم وقواعدهم..وبعد نجاح زعيم بني خالد براك بن غرير من إخراج العثمانيين، من شرق البلاد وبسطوا نفوذهم ، وسُحبت القوات الحامية العثمانية الموجودة بالإحساء نتيجة ضغط بني خالد، وبدؤوا

يعملون على بسط نفوذهم على المناطق القريبة، ومن بينها نجد، وعلى بعض جهاتها كالعارض، إذا هناك تنازعًا أو تنافسًا بين الأشراف وبين بني خالد للسيطرة على نجد، وكِلا الطرفين لم يُحقق نجاحًا قويًّا، وظلَّت الأوضاع في نجد منقسمة، فالانقسام هو الصفة الغالبة، بين بلداتها وبين أمرائها وزعمائها، حتى نجح الحكم السعودي في توحيدها من هذا التشرذم وهذا التنازع.

* **الحالة السياسية والاجتماعية في نجد** تعتمد على زعمات سواء في الحضر أو البدو، وهذه الزعامات تتكون من أسر، وهذه الأسر تنتمي إلى قبائل عربية معروفه، وبذلك تنتقل الإمارة بصفة وراثية إلى أفراد هذه الأسرة، والصراعات كثيرًا ما كانت تقوم حول السلطة، وهذا أمر يكاد يكون عامًّا ليس فقط على نجد، ولكنه أحد المظاهر المرتبطة بالسلطة قديمًا وحديثًا، وبرغم من هذا نَجِدُ أنها في نَجْدٍ أقلُّ حِدَّةً عما كان موجودًا في الحجاز، حيث كانت الصراعات أكثر دموية، وأكثر عنفًا مما كان يحدث في نجد، وصلة القرابة موجودة بين الأمراء، فانتمائهم إلى قبيلة واحدة، أو أسرة واحدة أدَّى إلى خلق جوٍّ من التآلف، وبالتالي أدَّى إلى أن تكون النزاعات أقل قوة أو شراسة، والحروب كانت بينهم محدودة، والضعف هو السائد على الإمارات النجدية برغم من أنه ظهرت إمارات قوية كإمارة العيينة.

القبائل الرحل (البدو) أكثر سكانًا، وزعاماتها لا تختلف عن المناطق الحضارية، طالما يملك المؤهلات القيادية، التي تُؤهله من الحصول على الزعامة ومعظم هذه الزعامات تتصف بهذه الصفات، ومعظمها زعامات وراثية تقليدية أي: أسرية وقبلية، والنزاعات كانت تحدث في الغالب بين هذه القبائل على أمرين: ١. مواطن الكلأ. ٢. وموارد المياه.

والانتقال صفه ارتبطت بالقبائل للبحث عن هذه المواطن أو المناطق الرعوية.

* **الحالة الدينية ضعيفة** إلى حد كبير، ويرتبط هذا الضعف بالحالة التعليمة، فلاشك أن لها تأثير قوي على الحالة الدينية، ونطاق التعليم كان ضعيفًا وضيقًا جدًّا، وقسم كبير من السكان كانوا بادية، وحتى الحاضرة كان تعليمهم محدود، مَن لديه القدرة يُدخل أبناؤه لدى علماء، فقد كان العلماء يقومون ـ إلى جانب مهنٍ أخرى ـ بتعليم أبناء القادرين، والأسر الغنية القرآن الكريم، وعلوم محدودة، وترتبط بالشريعة ليس أكثر، هذا يعني بأن هناك محاولات متواضعة، ومظاهر تعليمية بسيطة جدًّا والوثائق الشرعية التي عُثرَ عليها ويعود تاريخها إلى هذه المنطقة تدلُّ على وجود حالة تعليمية بسيطة ووجود علماء فيها، عندما نعرف بأن التعليم والحالة الدينية خلت من الإدارة التعليمية، ومن المصروفات، والموارد المالية فلاشك أنها تعطينا صورة واضحة عن الأوضاع بأنها كانت بسيطة جدًّا، ومتواضعة، ولم يكن هناك مراكز باستثناء أوشيقر، وهي إحدى بلدات منطقة الوشم، فقد كانت أكثر بروزًا واهتمامًا بالجانب العلمي، حتى عُدَّت مركزًا علميًّا بالنظر إلى كثرت العلماء، وبالنظر إلى سِيَرِهم، فنجد بأنهم إما ينتمون إلى هذه البلدة، أو تعلموا فيها، أو إنهم ارتحلوا إليها للاستفادة، وبدأت أعداد العلماء تتزايد في نجد حتى كان في القرن العاشر ضعف ما هو موجود قبل ذلك، والقرن الحادي عشر بلغوا ضعف ما هو موجود في القرن العاشر، وفي القرن النصف الأول من القرن الثاني عشر بلغ ضعف ما هو موجود في القرن الحادي عشر، فكانت أعداد العلماء تزيد شيئًا فشيئًا، الأمر الذي يعني أن الحركة العلمية تتقدم، وإن كان تقدُّمًا بطيئًا، وانتشر فيها المذهب الحنبلي ويعتمد على ظاهر النصوص من القرآن والسنة النبوية، وهذا يرتبط بالبساطة، ونعرف بأن الطابع العام للحياة في نجد يقوم على البساطة والسهولة، فالوصول إلى الحكم المطلوب ببساطة، وهي من الأشياء المحببة في شخصية أهل وسكان نجد، إلى جانب عدم تأثرهم بالخارج كثيرًا، فكان المذهب الحنبلي هو المناسب للبيئة العلوم الشرعية بالغالب، والفقه بصفة خاصة، وهو الذي يُؤهل للقضاء، والمرتبات كان يتم صرفها من الأوقاف ومن مزاولة الزراعة أو التجارة، أو أخذ أجور من المتخاصمين، وقد انتشرت البدع، فعندما ينتشر الجهل والتعليم يضعف؛ فلابد أن يكون لذلك مردود سلبي أو نتيجة سلبية، وبالتالي انتشرت البدع بين المسلمين، ولابد أن تتسرب إلى نجد وإن كان الأمر محدودًا، لكنها انتشرت أو الخرافات انتشرت والتبرك بالأشخاص أو القبور أو نحوها أو جعلها دور للعبادة، والتوسل بها وبالأموات، ونحو ذلك من الأشياء التي اشتهرت في نجد قبل دعوة الشيخ محمد وقيام الدولة السعودية، في القرن الثاني عشر انتشرت في العالم الإسلامي هذه الأمور من البدع والخرافات وغيرها والأمور الجاهلية، فقد كانت صفة غالبة من الصفات أو المظاهر التي انتشرت في كافة المجتمعات الإسلامية، وبالتالي نجد ليست استثناء من هذا الأمر، والمصادر تختلف في الواقع في إعطائنا صوره للأوضاع التي كانت عليها نجد، بحيث أنه كان هناك علماء وكان هناك جهل كان هناك انحراف وبدع وكان هناك مزاولة لشعائر الدين وعباداته فالأمر لا يخلوا من خير ولا يخلو من التمسك بالدين إلى جانب آخر من وجود انحرافات دينية.

الاقتصاد ومقوماته (الزراعة والثروة الحيوانية) ليس أكثر من ذلك، فقد تأثر المقومين تأثُّرًا كبيرًا بحالة المناخ والأمطار، فنعرف الجدب والقحط والأوبئة، حتى عند غزارة الأمطار تظهر مثل هذه الأشياء، فكان الأمر يعتمد اعتمادًا كبيرًا على الثروة الحيوانية من الإبل والغنم، والإبل والماعز في الحاضرة، وكانت هي عماد الثروة ومجال اهتمام السكان في الحاضرة، والبادية، وأهميتها لكِلا الطرفين تكاد تكون متقاربة إلى حد كبير.

التجارة في نجد إما محلية في البلدة أو إقليمية على مستوى البلدات وتبادل التجارات في المناطق خارج نجد وبالذات في المنطقة الشرقية وهي منطقة قريبة من جهة وايضا تشتهر بالكثير من المقومات التجارية ومواني البحر فتصلها تجارات من خارج المنطقة، لهذا كان النشاط التجاري مع الإحساء ومع المنطقة الشرقية أكثر من غيره، إلى جانب قوافل الحجيج مما يُشكل رافدًا تجاريًا أو للتجارة الخارجية في هذه المنطقة.

نتحدث مباشرة عن الدولة السعودية، بعد أن أعطينا صورة عن الأوضاع التي كانت في شبة الجزيرة العربية قبل قيامها..

آل سعود، من الضروري أن نتحدث عن هذه الأسرة الكريمة قبل قيام دولتهم؛ لإعطاء معلومات موجزة عن تاريخ هذه الأسرة قبل قيام الدولة «فآل سعود من بني حنيفة، من وائل من جُديلة بن أسد، بن ربيعة، بن نزار، بن معد بن عدنان»، فهم أسرة عدنانية كانت تُدعى قبل أن يعرفوا بآل سعود بـ «آل مقرن» نسبة إلى جدهم «مقرن، بن مرخان، بن إبراهيم، بن موسى، بن ربيعة، بن مانع بن ربيعة المردي»، وآخرهم هنا مانع بن ربيعة المردي، وهو الذي ورد ذكره في المصادر التاريخية في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري سنة (٨٥٠ هـ)، إذ تذكر أن مانع بن ربيعة المردي كان يسكن بلدة تُدعى «الدرعية» قُرب القطيف في المنطقة الشرقية، وصوله لهذه المنطقة لا غرابة فيه إذا ربطنا ذلك بالمشكلات، سواء كانت اقتصادية أو سياسية ونحو ذلك من دواعي الهجرة وأسباب الانتقال التي كثيرًا ما تؤدي إلى انتقال القبائل والأسر من مواطنهم الأصلية، ولعل وجود الدرعية بالقطيف في المنطقة الشرقية ووجودها في نجد وقرب الرياض مدعاة للحديث عن خلفية هذه التسمية، فتذكر الروايات التاريخية طبعا القبائل والأسر عندما تنتقل من مكانها لابد أن تترك أثرا أو أصل في مواطنها الأصلية أو فروع التي تدل على الصلة بين القبيلة أو الأسرة بموطنها الأصلي، فهذه الأسرة كان لها أصول في نجد، وبتحديد في العارض قرب الرياض، وكان هناك شخصية يدعى «ابن درع» كان يسكن هذه المنطقة حول وادي حنيفة، ويُذكر بأنه حدثت مراسلات بين ابن درع وبين مانع المريدي، انتهت أو نتج عنها انتقال «مانع» إلى العارض، وعند وصوله مع قومه وأسرته وهم كُثر خصَّص لهم أو أقطعهم ابن درع مكانًا يُقال له غصيبة والمليبد، وهما المكان الذي نشأت عليه الدرعية، أو كان هذين المكانين نواة لنشأة الدرعية عاصمة الدولة السعودية في عهدها الأول..

المحاضرة الثالثة

وذكرت في المحاضرة السابقة بأن سبب تسمية الدرعية بهذا الاسم إما لمقرهم الأول مكان الأسرة الأول عند القطيف أو تقديرا لأبن درع الذي أقطعهم هذين المكانيين، وبالتالي التسمية لا تعدوا أن تكون عائدة إلى أحد هذين الأمرين، وكانت الفترة التاريخية بين قدوم مانع وتولي محمد بن سعود إمارة الدرعية حدود (٢٨٠) سنة عاشت الأسرة في هذه الفترة التاريخية مثل بقية الأسر النجدية التي أخذت تتقوى شيئًا فشيئًا وتتوسع على حساب جيرانها، وبالتالي ما ينتج عن هذا التوسع من تنازع وخلافات تحدث بينها وبين أولئك الجيران وأيضًا ما يحدث في الأسرة عادةً من نزاعات وتنافس ونحو ذلك بين أفرادها فيؤدي إلى ضعفها، ثم بعد ذلك تتقوى من جديد، وهكذا حدث لأسرة آل سعود التي توسعت مثلها مثل بقية الأسر الأخرى، وكان هذا على حساب المناطق أو على حساب جيرانها بعد أن ضعفت هذه الأسرة عادت إلى القوة مرة أخرى بعد (١٣) سنة تقريبًا من انتزاع الإمارة منها في فترة مؤقتة، واستعادة قوتها أو نفوذها بعد أن تولى أحد أبنائها ويدعى موسى بن ربيعة بن وطبان الإمارة ثم خلع منها ليتولاها سعود بن محمد بن مقرن حتى وفاته سنة (١١٣٧ هـ) ثم يتولاها بعد ذلك زيد بن مرخان في نفس الوقت الذي كان فيه ظهور الأمير محمد بن سعود وبروز شهرته في هذه الفترة بالذات التي تولى فيها الأمير زيد بن مرخان.ز والأمير موسى بن ربيعة هرب نتيجة الخلافات والتنافس على السلطة بعد خلعه إلى العيينة مستنجدًا بأميرها عبد الله بن معمر، لكنه توفى في أثناء وجود موسى مع عدد من أبناء العيينة بسبب وباء انتشر فيها، استغل الأمير زيد بن مرخان ظروف العيينة في ظل انتشار الوباء، ووفاة كثير من أبنائها، فبدأ يخطط لغزوها بسبب مساعدتها لخصمه موسى بن ربيعة، فعلم أميرها آن ذاك الأمير محمد بن معمر بما يخطط له، فاستدعاه للتفاوض وكانت هذه حيلة من ابن معمر للقبض على الأمير زيد وبالتالي قتله في سنة (١١٣٩ هـ) مقتل الأمير زيد بن مرخان يعني تولي الأمير محمد بن سعود إمارة الدرعية في أول عهد توليه منها، طبعًا تولى أمر الدرعية وكان كبير الأسرة السعودية في هذه الفترة.. عاد الأمير محمد بن سعود بمن معه إلى الدرعية ليتولى أمرها وليحدث في عهده اللقاء الذي غير تاريخ المنطقة، وتاريخ شبه الجزيرة العربية اللقاء الذي جمعه بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ووضع أساس قيام الدولة السعودية في عهدها الأول.

هذه مقدمة موجزة عن تاريخ هذه الأسرة الكريمة قبل بدء قيام الدولة السعودية الأولى، أو الدولة السعودية في عهدها الأول في الدرعية.

* حكم هذه الدولة ألا وهي الدولة السعودية الأولى، أربعة حكام، هم:

- الإمام محمد بن سعود . رحمه الله . حكمها من (١١٣٩ إلى ١١٧٩ هـ) تقريبًا أربعين سنة.

– الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود تولى من (١١٧٩ إلى ١٢١٨ هـ) تقريبًا تسعة وثلاثين سنة.

–الأمير سعود بن عبد العزيز تولى من سنة (١٢١٨ إلى ١٢٢٩هـ) حكم تقريبًا إحدى عشر سنة.

–الإمام عبد الله بن سعود حكم من سنة (١٢٢٩ إلى ١٢٣٤هـ) وحكم تقريبًا خمس سنوات.

نبذة مختصرة عن حكام الدولة السعودية الأولى في عهدها:

. الحاكم الأول:

«الإمام محمد، بن سعود، بن محمد، بن مقرن، بن مرخان، بن إبراهيم، بن موسى، بن ربيعة، بن مانع، بن ربيعة المردي» وُلد عام (١١٠٠ هـ) تولَّى إمارة الدرعية سنة (١١٣٩ هـ)، عُرف برجاحة عقله، وكمال خلقه، وطيب شمائله، كان عادلًا، ومُحبًّا للخير، و شجاعًا، وكان متفتحًا، وكان يحب الخير لنفسه ولغيره، فهذه الخصال أعطته مواصفات قيادية، وأعطته هذه مواصفات زعامة كان مؤهلًا وكفئًا لِمَا تولَّاه من إمارة في عهده.. حدث في عهده اتفاق الدرعية، وتحولت الدرعية في عهده من إمارة إلى دولة، وظهر العداء بين هذه الإمارة وبين الإمارات المجاورة، أدَّى إلى حدوث صراعات فيما بينها، تُوفي سنة (١١٧٩هـ. ١٧٦٥م) بعد أن وضع أسس الدولة وأرسى دعائمها ووضعها على الطريق الصحيح.

. الحاكم الثاني:

«عبد العزيز بن محمد» ومولده كان سنة (١١٣٣هـ) تولَّى الحكم بعد وفاة والده، وقبل وفاة والده ونظرًا لكِبر سن والده أُسند إليه الكثير من المهام، كقيادة الحملات، وتصريف الكثير من شؤون الدولة، ويُعد تولِّيه الحكم استمرار طبيعي لعهد والده، من حيث سياسة الدولة، وطبيعة علاقتها بالقوى المعاصرة، سواء القريبة، أو خارج منطقة نجد، أو خارج شبه الجزيرة العربية تميز عهد عبد العزيز بعدة أمور، وكان لعهده عدة سمات أبرزها:

- اتساع سلطة الدولة ودخول الرياض في نفوذها (سنة ١١٨٧ هـ).
- وضمه للقصيم سنة (١٢٠٢هـ) وكذلك الإحساء سنة (١٢٠٨ هـ).
- انتشرت الدعوة الإصلاحية انتشارًا كبيرًا وأقبل الناس عليها بمختلف أنحاء الجزيرة العربية.
- سمة انتشار الأمن والرخاء كان في كافة ربوع شبه الجزيرة العربية كان سمة من السمات البارزة التي ميزت عهد الإمام عبد العزيز بن محمد.

طبعا اتسم الإمام عبد العزيز بقوة شخصيته وقدرته على مباشرة وتصريف شؤون الدولة وقيادة الحملات بنفسه، وتتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث أصبح أبرز تلاميذه كان لديه حماسًا للدعوة، وحماسًا لتطبيق مبادئها، وبالتالي فلا غرابة أن يبذل في سبيل ذلك جهود جبارة، ومن سمات عصره انتصاراته الكثيرة التي حققها على خصومه، وبالتالي ذلك التوسع الذي وصل إلى مشارف العراق، وبلاد الشام، وضم كافة أنحاء أو بقية شبه الجزيرة العربية، وكانت وفاته . رحمه الله . شهيدًا في أواخر رجب (سنة ١٢١٨هـ).

. الحاكم الثالث:

الإمام سعود بن عبد العزيز الابن الأكبر للإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، نشأ نشأه علميه ودينية، وتتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، واستفاد من علمه وفضله وأدبه الشيء الكثير، إلى درجة بأنه برع في علوم كثيرة أبرزها التفسير والحديث حتى إنه علَّمهما للناس في منزله ومسجده حتى بعد توليه الحكم، فجمع بين الإمامة والعلم والحكم، واستفاد كثيرًا من خبرة والده، وتجاربه، ومن حِنكة والده في سياسته العسكرية، وقيادته العسكرية، وكان للمهام التي قام بها في عهد والده دورًا كبيرًا في بروز شخصيته السياسية والعسكرية، تولى ولاية العهد في سنة (١٢٠٢هـ) وذلك بإشراف من الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذلك لما لمس فيه من صفات تؤهله لتولي الحكم وقوة الشخصية، وقدره وكفاءة لهذا المنصب.

أهم انجازاته في عصره:

يُعد في الواقع عصره العصر الذهبي للدولة السعودية في عهدها الأول، حيث بلغت الدولة في ذلك العهد أوج قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية، فضم مدن الحجاز بما فيها الحرمين الشريفين إلى سلطانه أو إلى نفوذه، وكان لديه الكثير من الانجازات، والكثير من التنظيمات الإدارية التي ميَّزت عهده بصفة خاصة أبرز هذه الأنظمة نظام التضمين، والذي يعني أن لكل أمير ناحية أو لكل أمير بلدة أو شيخ قبيلة ومسئول مسئولية مباشرة عما يحدث في ناحيته؛ لذا ساعد هذا كثيرًا من استقرار الأحوال والقضاء على ما يخل بالأمن في فترة حكمه كانت وفاته في سنة (١٢٣٩هـ)، ودام حكمه (إحدى عشر سنة)، وتُوفي عن (ثمانية وستين سنة).

الحاكم الرابع:

الإمام عبد الله بن سعود تولى الحكم بعد وفاة والده، وبتوليه دبَّ الضعف في أطراف الدولة خصوصًا بعد أن توالت على الحجاز الحملات العثمانية عن طريق والي مصر، وكان هدفه القضاء على الدولة السعودية، ولم يستطع الإمام عبد الله بن سعود التصدي لها وأدرك خطورتها على الدولة وأدرك خطورة الاستمرار في المقاومة بعد حصار الدرعية، فآثر الاستسلام، وقد اشترط حقن دماء المسلمين، في ذي القعدة سنة (١٢٣٣هـ)، وقبل وفاته انتقل إلى مصر، ومنها إلى اسطنبول، حيث قُتل هناك في شهر جمادى الأولى سنة (١٢٣٤هـ)، وبمقتله انتهى العهد الأول للدولة السعودية..

وعندما نريد أن نتحدث بإيجاز عن تطورات الأوضاع في الدولة السعودية في عهدها الأول بدءً من عهد الأمير محمد بن سعود؛ فنجد بأن هذه الدولة شهدت في عهد الأمير محمد بن سعود استقرارًا داخليًّا مُنذ تولّيه إمارة الدرعية، وإمامًا للدولة سنة (١١٣٩هـ)، وأبرز السمات:

-علاقة الدولة كانت متوترة بالتحديد مع زعامة بني خالد التي كانت سببًا في خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بلدته العُيينة، ودعوة الأمير محمد بن سعود للحضور إلى الدرعية.

-في سنة (١١٥٧ هـ) كان اللقاء الذي جَمع الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد بن سعود، وفي هذا اللقاء تعاهدا على أن يعملا على نشر الدعوة الإصلاحية، والتمكين لها في نجد وفي خارج نجد، وقوي هذا الاتفاق من مركز الأمير محمد بن سعود، وفي نفس الوقت مركز الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبالتالي عَمِلَا على انتشار الدعوة الإصلاحية والتمكين للدولة، فكان بيد الأمير محمد بن سعود الأمور السياسية والإداريه، وكان بيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب تدبير الشؤون الدينية.

-انتشرت الدعوة في بداية أمرها بالدرعية، وبدأت نتائجها تظهر شيئًا فشيئًا، وكانت أبرز مظاهر هذا الانتشار هو انتشار مبادئ وأُسس في الإسلام، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإزالة المنكرات، والقضاء على مظاهر الانحرافات كالتوسل بالأشجار وغيرها، وبدأ أنصار الشيخ وتلاميذه بمساعدته في مهمته التعليمية، وفي نشر الدعوة وفي تعليم الناس أصول دينهم وما ينبغي عليهم معرفته في هذا الخصوص.

-بدأت في الواقع دعوة الشيخ تجذب الكثيرين من خارج الدرعية، وبدأ يفد إلى الدرعية الكثير من المؤيدين والأنصار رغبة من الاستفادة في علم الشيخ، ومساعدته في نشر الدعوة، وهروبًا من ضغوط زعمائهم الذين لم يؤيدوا الدعوة في العُيينة أو الرياض أو نحوها، وبالتالي ضاقت الدرعية بمَن وفد إليها، وكان للأمير محمد بن سعود، وللشيخ محمد بن عبد الوهاب جهودًا كبيرة في استيعابهم، وفي استقبالهم وتوفير سبل العيش الكريم لهم.

أمير العيينة ابن معمر لاحظ كثرة الوافدين إلى الدرعية، وبالذات من بلدته، ومن سائر بلدان نجد وأدرك بعد فوات الأوان فداحة الخطأ الذي ارتكبه في حقِّ الشيخ في عدم إبقاءه عنده في العيينة، وبالتالي أدرك ما تحقق للدرعية من قوة وشهرة ونفوذ، نتيجة دعمها ومساندتها للشيخ ولدعوته الإصلاحية، قرر بن معمر أن يُرسل إلى الدرعية وبالتحديد إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية وفدًا من كبار رجالات بلدته يحثون ويدعون الشيخ إلى العودة إلى الدرعية، ويعدوه بالدعم والحماية والنصرة، وكان موقف الشيخ بأن الأمر في هذا الشأن بدرجة أساسية بيد الأمير محمد بن سعود، ومن الطبيعي أن يكون موقف الأمير محمد هو الرفض.

المحاضرة الرابعة

نواصل الحديث عن بداية نشأة السعودية الأولى في عهدها الأول.

ما واجهته الدعوة الإصلاحية من خصوم، ومن عداء من بعض الأمراء:

وكان في مقدمتهم أمير الرياض دهام بن دواس، وهو الذي قاد محاولة الهجوم على منفوحة، ومنفوحة إحدى البلدات التي انضمت إلى الدرعية، وهذا استدعى من الدولة حماية أنصارها، وأرسلت نجدة اضطرت دهام بن دواس؛ للانسحاب، وعودته إلى الرياض مجروحًا، وطبعًا مهاجمة دهام بن دواس لمنفوحة لعدة أسباب:

١. أن أمرائها من أنصار الدعوة.

٢. وأن أمراء منفوحة قد انتزعوا هذه الإمارة من أسرة دهام قبل (٢٠) سنة وهذا دعاه للانتقام.

٣. وكونه بين الدرعية ومنفوحة ساعده على تحين الفرص لتحقيق طموحه لكونها الأضعف والأقرب وقوعا للرياض فأعتقد بأن القضاء عليها ومهاجمتها لتحقيق فوائد اقتصادية وسياسية.

قيام خصوم الدولة بالعمل الفعلي لمواجهة الدعوة والدولة كما حدث من مهاجمة منفوحة، يعني بأن الأمر قد يستدعي من الدولة أن تتخذ كافة الاستعدادات، وتعمل على مواجهة هذا الأسلوب بمثله برغم أن الشيخ قد أوضح بكثير من رسائله: «ليست الحرب، أو القتال، أو الجهاد مما يتطلب الأمر استخدامها لكن عند الضرورة»،ومما قاله الشيخ في بعض رسائله «أما القتال فلم نقاتل أحدًا إلا دون النفس والحرمة»، ويُشير إلى أن خصوم الدولة هم من هاجموا الدولة، وتعرضوا لأعراض الناس، وهذا استدعى الدولة على تقوية نفسها، وتجهيز أمرها، وتكون استعداداتها دائمة، وبشكل لا يعرضها للخطر في أي فترة وأي وقت، ومن ضمن جهود الدولة وسعيها لتوحيد نجد، ونشر الدعوة في هذه المنطقة، وكان لابد من جهد كبير، واستعداد ،ووقت كبير، وكان توحيد نجد من أولويات الدولة السعودية، وأولويات الإمام محمد بن سعود تحديدًا، بحيث كان هدفه الأكبر توحيد نجد التي أضعفها كثيرًا التشرذم والتشتت، بنشر الدعوة الإصلاحية وإعادة لهيبة للإسلام، والقضاء على الانحرافات التي انتشرت.

استغرق توحيد نجد من الدولة حوالي أربعين سنة، وتمَّ على ثلاث مراحل وهذه مدة طويلة لتوحيد نجد وهي منطقة كبيرة تضم وادي الدواسر جنوبا وحايل شمالا وحدود الحناكية غربا إلي المنطقة الشرقية شرقا.

س/ لماذا استغرق توحيد نجد أربعين سنة؟

ج/ ارتبط هذا بسمات وخصائص، ومن أبرز العوامل التي ساعدت على تأخر توحيد نجد، أن أمراء وزعماء القبائل كانوا ينزعون إلى الاستقلالية، ومن هذا نشاء لديهم شعور سلبي لدي الوحدة الإقليمية وهذا ابرز عامل أدى الى تأخر توحيد نجد من جهة والى معاناة الدولة في سبيل جمع ذلك التباين بين الزعماء وكذلك تلك العداوات والمشاحنات التي بينهم.

. المرحلة الأولى: من سنة (١١٥٩هـ) إلى بداية تدخل بني خالد في شؤون نجد عام (١١٧٢هـ).

. المرحلة الثانية: من سنة (١١٧٢هـ) حتى تمكنت الدولة من الاستيلاء على الرياض سنة (١١٨٧هـ).

. المرحلة الثالثة: من سنة (١١٨٧هـ) حتى استكمال توحيد نجد في مستهل القرن الثالث عشر، أي: سنة (١٢٠١هـ).

* سمات المرحلة الأولى:

١. إن الجهود التي بذلتها الدولة وقوتها كانت محدودة، واحتاج ذلك من الدولة وقت للاستعداد والقوة.

٢.كان أشد خصومها دهام بن دواس، حيث إنه حدث بين الطرفين (١٧) موقعة معظمها كان لصالح الدولة الناشئة، وكان البادئ في العداوة أمير الرياض دهام بن دواس بينما الانتصار تحقق بفضل الله للدولة الناشئة.

٣. وحدث بين الدولة ودهام بن دواس هدنة لعام واحد سنة (١١٦٧هـ) وطبعًا كانت هذه الهدنة بطلب من دهام بن دواس بعد أن اضطر لها، واضطر أيضًا لدفع غرامة للدولة، لكي تقبل بهذه الهدنة.

٤. شهدت هذه المرحلة انضمام بلدات نجدية جديدة إلى الدولة أبرزها «شقرا» و«ضرما» وأيضًا شهدت هذه المرحلة تحول أمير العيينة الذي كان من الأمراء الذين انضموا إلي الدولة الناشئة في بداياتها إلى العداء للدولة والدعوة بسبب أمور سياسية وبسبب ضغوط بني خالد لمعاداة الدولة.

٥. شهدت الدولة تمرد من بعض المؤيدين والموالين أو بعض الداخلين بتبعيتهم للدولة أمثال أمير ضرما ومحاربته للدولة وشهدت أيضًا ثورة لأهل حريملاء سنة (١١٦٥هـ)، و ثورة لأهل منفوحة وطبعًا أسباب داخلية أدَّت إلى هذه الثورات وعالجتها الدولة في حينها، ونجحت في إعادة هذه البلدان الثائرة إلى طاعتها، وأدَّى نجاحها إلى انضمام بلدان أخرى مثل القويعية، والمناطق المحيطة بها وأصبحوا تابعين وأنصار للدولة.

في هذه الفترة السابقة، النشاط العسكري للدولة لم يواجه قوة كبيرة بل في معظمها كانت قوى مفككه وبالتالي لم تتعرض الدولة لقوى كبيرة تهدد وجودها وأيضا لم تتعرض لتدخل خارجي يضعف قوتها.

* سمات المرحلة الثانية:

ومن أهم سمات المرحلة الثانية هو التدخل الخارجي، وأتى هذا التدخل من أقرب المناطق الخارجية لنجد وهي المنطقة الشرقية من بني خالد وهو أمر متوقع لان بني خالد معروف عدائهم للدولة وللدعوة وبتالي لابد من مواجهتهم حتى لا يهددوا نفوذهم في نجد ، وأيضًا وجود قوة أخرى لا يعجبها نشوء دولة أو قوة في نجد، وهم قوة الأشراف، أي: في هذه المرحلة واجهت الدولة خطرين: خطر من بني خالد، وخطر من الأشراف،وهذا يدل على السمة البارزة في هذه الفترة وهي التدخل الخارجي وطبعًا قرب بني خالد لنجد، ونفوذهم على بعض المناطق في نجد قبل قيام الدولة، ووجود أنصار لهم؛ أعطاهم فرصة للتدخل العسكري، وحدث هذا قبل أن يتدخل الأشراف بثلاثين سنة، وبعد قيام الدولة السعودية بثلاثة عشر سنة، أي: إنه مواجهة الدولة لخصومها بعد قيامها بـ (١٣) سنة.

ومن أسباب هذا التأخر بالدرجة الأولى : رغبة بني خالد وزعيمهم عريعر بن دجين لتثبيت حكمه وسلطته، خصوصًا بعد فترة نزاع سياسي بين عدد من أمراء بني خالد أمراء في المنطقة الشرقية، وعندما استقر الأمر لعريعر بن دجين سنة (١١٧٠هـ) بدأ يستعد لغزو نجد، ويجهز جيشه للقضاء على الدولة الناشئة وذلك في عام (١١٧٢هـ)، وعندما علمت الدولة بأمر بني خالد حكام الإحساء، بَنَتْ أسوارها حول الدرعية، وعزَّزت من وجودها و أوضاعها الداخلية، ودعت أنصارها ورعاياها لتوخي الحذر والى ان يعملوا على تقوية أنفسهم والاستعداد في حالة الطواري.

ومن تطورات هذه الظروف: أن عريعر بن دجين قام بنفسه بقيادة جيشه، واتَّجه به إلى نجد بعدما سعى للاتصال بأنصار له فيها ومعارضين للدولة، وتوجه بجيشه إلى حريملاء، واستولى عليها، وحاول أن يستولي على بعض المناطق القريبة من الدرعية مثل الجبيلة، ولكنه فشل في غايته، الأمر الذي أدى إلى انسحابه من نجد وعودته إلى الإحساء، وأعطى هذا الفشل لزعيم بني خالد دعمًا وقوة للدولة الناشئة وطبعًا إثبات قوتها لخصومها، وعمل على الخوف منها، فسارع بعض من أولئك الخصوم للاتصال بها ومصالحتها، ودفع غرامات مالية لها، ووسعت الدولة من غزواتها؛ لتضم مناطق لم تصلها من قبل كالوشم وسدير لأول مرة للدولة الناشئة وإظهارًا لقوة الدولة وهيبتها عملت على استعدادات لغزو الإحساء وهذا أعطى الدولة هيبة أكبر وبذات لخصومها في نجد وبهذا سعوا خصومها لطلب ودها، والسلم، ومنهم ألد أعدائها دهام بن دواس أمير الرياض الذي جنح إلى السلم، ودفع غرامه مالية كبيرة للدولة، وواجهت هذه الدولة بعض من المشكلات في المرحلة الثانية، ومن المشكلات صاحب نجران الذي هاجم الدرعية حاول القضاء على الدولة، وكان سبب هذا العداء قبلية بالدرجة الأولى، حيث حدث نزاع بين قبيلتين العجمان، وقبيلة سبيع، وكان العجمان يرتبطون بصلة لقبائل يام النجرانية، وكانت قبيلة سبيع ضمن المؤيدين والمناصرين للدولة السعودية، وبعد تعرض العجمان لهذه القبيلة؛ فلاشك أن الإمام محمد بن سعود سيعمل على نجدتها، وأرسل ابنه إلى تأديب قبيلة العجمان، والعمل على إعادة الأملاك والأموال لقبيلة سبيع التي أخذت منها واستدعى هذا أن تلجئ قبيلة العجمان إلى طلب النجدة من زعيم نجران/ حسن بن هبة الله المكرمي، وطبعًا قبائل ذات طابع عسكري، ودائمًا ما تقوم ببيع خدماتها العسكرية لمن يطلبها من القبائل، وتحقق لها هذا بدرجة خاصة مع الدولة السعودية، والدعوة الإصلاحية التي كان المكرمي في علاقته معها غير ودي، وفي نفس الوقت يُعد من ألد الخصوم والمخالفين لها بالدرجة الأولى الأمر الذي جعله يسارع لنجدة العجمان، ووجد الفرصة ليحقق هدفين:

١. محاولة القضاء على الدولة السعودية الناشئة ودعوة الشيخ.

٢. والفائدة من الغنائم وما قد يحصل عليه من أموال ونحوها من غزوه لنجد.

تطورت الأوضاع ووصل صاحب نجران إلى قرية الحاير جنوب الرياض الحالية ذلك سنة (١١٧٨هـ) والتقى بجيش الدولة الذي كان يقوده الأمير عبد العزيز بن محمد لكن تعرض جيش الدولة إلى هزيمة وقتل بعض من الجيش واضطرت الدولة أن تصالح المكرمي، وتدفع له مبالغ مالية وأن يتبادل الطرفان الأسرى وبالتالي عودته إلى بلاده، فتشجعوا خصوم الدولة لمواجهتها مرة ثانية وراسلوا زعماء بني خالد لاستغلال هذه الفرصة، وأغروهم بضعف الدولة ، وأنها هزمت الأمر الذي يتيح الفرصة لحكام بني خالد للانتقام لهزيمتهم في غزو نجد، وتقدم زعيم بني خالد إلى الدرعية بجيش كبير مليء بالخصوم للدولة، وأيضًا حدثت مُراسلات بينهم وبين المكرمي للتحالف للانضمام ضد الدولة، والعمل على القضاء عليها، ولكن من حُسن الحظ أن هذه المراسلات لم تحقق نتيجة بفعل فشل محاصرة زعماء بني خالد للدرعية وعجزهم عن دخولها لما أبداه أهلها من شجاعة وقدرة على صد الهجوم فاضطر جيش زعماء بني خالد بطلب هدنة للانسحاب إلى المنطقة الشرقية بعد أن فشلت محاولتهم الثانية لغزو نجد والقضاء على الدولة.

هذا الانتصار رفع من معنويات الدولة خصوصًا بعد هزيمتها من المكرمي في الحاير، فاضطر خصومها لطلب رضاها وكان في مقدمة ذلك عدوها دهام بن دواس أمير الرياض، وفي نهاية ربيع الأول عام (١١٧٩هـ) في هذه المرحلة توفي الإمام محمد بن سعود وخلفه ابنه عبد العزيز بالإمامة، وحكم الدولة السعودية الناشئة ولم تأتِ سنة (١١٨٥هـ) إلا وقد بسطت الدولة نفوذها على مناطق واسعة من نجد وصل إلى القصيم شمالًا وانضمام كافة بلدان القصيم إلى الدعوة أو إلى الدولة السعودية، وأعلنت ولائها إلى قادة الدرعية سنة (١١٨٢هـ). ودهام بن دواس أدرك عجزه عن مواجهة الدولة وقيادة قوة يواجه بها الدولة لتقدمه في العمر ، ومما زاد الأمر مقتل ابنيه في إحدى المواجهات فهرب إلى الخرج مع أسرته وعدد من أنصاره، وهذا آذن بسقوط الرياض وتبعيتها للدولة الناشئة بعد مقاومة دامت (٢٨) سنة، وهذا مكسب كبير للدولة السعودية الذي أعطاها قوة، وتلك القوة التي كانت أبرز سمات المرحلة الثانية من مراحل توحيد نجد ونشر الدعوة الإصلاحية، وبث نفوذها في المنطقة الشرقية والحجاز.

المحاضرة الخامسة

سمات المرحلة الثالثة:

السمة الغالبة على هذه المرحلة هي قوة الدولة فقد حققت الدولة في هذه المرحلة انتصارات متتالية الأمر الذي نتج عنه توحيدها لنجد من أقصى جنوبها الى أقصى شمالها، فباختصار أهم سمات هذه المرحلة هو:

ساعد القضاء على دهام بن دواس واستيلاء الدولة على الرياض بتخلصها من أقوى خصومها السياسيين، وساعدها هذا في أمرين:

١. ساعدها اقتصاديًا.

٢. ساعدها في التوسع نحو الجنوب بدون التعرض للخطر خصوصًا أن الرياض كانت عازلة بين الدرعية وبين توجهها نحو الجنوب.

في هذه المرحلة حاول زعماء بني خالد أكثر من مرة القضاء على الدولة بمهاجمتها في عقر دارها وعندما فشلوا حاولوا في المناطق البعيدة عن الدرعية وفعلًا حاصروا بريدة بغرض الضغط على الدولة بجهاتها المختلفة، فحققوا فشلًا دون نجاح يذكر في هذا الجانب، حتى محاولتهم الأخيرة لحصار الدرعية لم تحقق نجاحًا عندما عجز زعيم بني خالد أمام أسوار الدرعية في تحقيق أقل نصر على الدولة السعودية هذا ما دفع بني خالد لمهاجمة أطراف بعيدة إلى بريدة، واستولوا عليها، وفي طريقه إلى الرياض في مكان يدعى الخابية قرب الأسياح شرق بريدة توفي زعيم بني خالد عام (١١٨٨هـ) مما أدى إلى ضعف موقفهم وتراجعهم ورجوعهم إلى الإحساء، أتاح هذا الموقف للدولة وشجعها، وأعطاها المزيد من القوة كي تبدأ محاولتها والتوجه إلى الجنوب، حيث منطقة الخرج هذا الإقليم الزراعي المهم، ومنطقة الخرج مجموعة من البلدات و الجهات وكان أبرز أمراء الخرج أمير الدلم، زيد بن زامل كان أحد أنصار دهام بن دواس في فترة عدائه للدولة السعودية، وبرغم أن الإمام عبد العزيز بن سعود قد أرسل له يدعوه للخضوع والتبعية والانضمام للدولة، إلا أنه رفض مما اضطر الدولة أن تسلك معه أسلوب الإخضاع بالقوة، والعمل على انضمامه للدولة، وقامت الدولة السعودية وقواتها بالاستعداد لهذا فقامت بقيادة الأمير سعود بمهاجمة عدة مناطق في الإقليم، وحققوا في الواقع هجمات متتالية كان أهمها مهاجمة الدلم الأمر الذي اضطر أميرها إلى أن يهرب باحثًا له عن حليف في مواجهة تهديد الدولة السعودية وكان الأقرب له هو زعيم نجران/ الحسن بن هبة الله المكرمي، والذي كان له سابقاً محاولة مع الدولة السعودية، ونعرف الأهداف الاقتصادية التي يسعى إليها هذا الزعيم عندما يقدم مساعداته العسكرية لأي طرف من الأطراف، وبالتالي كان أمير الدلم قد اضطر إلى هذا الاستنجاد وفعلًا لم يتوانى زعيم نجران لتقديم المساعدة بسبب عاملين :

عدائه لدولة السعودية وبسبب ما يحصل عليه من غنائم وفوائد اقتصادية. طبعًا دفع زيد بن زامل في سنة (١١٨٩هـ) مبالغ طائلة لزعيم نجران الذي قدم بجيشه إلى الدرعية لمهاجمتها والتقى بجيش الدولة السعودية في منطقة الحاير جنوب الرياض تلك التجربة التي تتكرر الآن مع جيش الدولة السعودية في هذه المنطقة، وأخذت الدولة أهبة الاستعداد على أن لا تتكر الهزيمة السابقة، وبعد مناوشات بين الجانبين عجز المكرمي عن تحقيق نصرًا على قوات الدولة مما اضطره إلى الانسحاب إلى ضرماء، وهناك حدثت بين أنصار الدولة، وزعيم نجران معركة حاسمة أدت إلى هزيمته وعودته إلى نجران بعد ما قتل عدد من أتباعه، وطبعًا قد يكون هناك أسباب لهذه النتيجة الجيدة للقوات السعودية:

١. المعنويات المرتفعة لقوات الدولة بعد اسيلائها على الرياض.

٢. وانسحاب قوات بني خالد التي حاولت أكثر من مرة لتحقيق النجاح على قوات الدولة ولم تحقق أي هدف.

٣. ولعدم وجود الثقة بين المتحالفين زيد بن زامل وبين المكرمي التي كان هدفه الأول الفائدة الاقتصادية.

٤. وأيضًا ابن الزعيم النجراني مرض في هذه الفترة مما عجل من انسحابه ومن معه إلى نجران.

أعلن زيد بن زامل بعد فشل هذه المحاولة ولائه للدرعية لكن هذا الولاء لم يطل نصرًا لطموحه السياسي وقناعاته بأن الخضوع والولاء للدولة سيكون على حساب إمارته في هذه المنطقة الأمر الذي دفع الدولة إلى أن ترسل جيشًا بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز إلى الدلم ودخولها، وبالتالي هروب زيد بن زامل منها، ولكنه عاد بعد فترة قصيرة إليها بمساعدة أهلها، والدولة السعودية انشغلت بمشكلتين حدثتا في حرمة، وفي الزلفي طبعًا حرمة قرية قريبة من المجمعة شمال الرياض، وبعد أن أنهت معالجة هاتين المشكلتين جهزت جيشًا سنة (١١٩٥هـ) بقيادة الأمير سعود هاجم الدلم وتعبيرًا عن عزم الدولة لإنهاء هذا الوضع الذي رأت بأنه طال أكثر من ما يستحق، بنى قصرًا أسماه البدع خارج الدلم لهدف مضايقة الدلم سياسيًا واقتصاديًا، وفعلًا حقق هذا الأسلوب هدفه، وزاد هذا من ضغط الدولة على الدلم، وحدثت منازعات سياسية داخل إمارة الدلم وعدد من أفراد الأسرة الحاكمة، والتي كانت تتولى الإمارة منازعات أدت إلى مقتل زيد بن زامل، وولي بعده الإمارة براك وابنه ، ثم قتل براك، ولجأ بعض من أفراد أسرته إلى الدولة

السعودية، وإلى الدرعية لمساعدتها ونجدتها، وهذا أدى بإسراع الدولة بتجهيز حملة للاستيلاء على الدلم، وأيضًا مكنها ذلك من ضم المناطق القريبة من الدلم كالحوطة والحريق، وأدى نجاح الدولة على أن تستولي على منطقة الخرج ليفد عليها زعماء وادي الدواسر معلنين خضوعهم وولائهم للدولة، ولم تأتِ سنة (١٢٠٢هـ) إلا وقد انضمت كامل الأجزاء الجنوبية من نجد إلى تبعية الدولة السعودية، انتقلت الدولة بعد ذلك إلى الشمال حيث كانت منطقة القصيم وحائل أو جبل شمر، وكانت بريدة قد أعلنت ولائها كأول بلدة من بلدات القصيم تعلن ولائها للدولة، وقلنا قبل ذلك أنه بسنة (١١٨٢هـ) قد حاصر بن عريعر زعيم بني خالد بريدة، وفشل الحصار، وبالتالي وفاته وانسحاب قواته إلى الإحساء، وكل هذا مهد للبلدان الأخرى في القصيم بأن تعلن ولائها للدولة (١٢٠٢هـ)، ولم تأخذ في الواقع مسألة الانضمام إلى الدولة جهد كبير نظرًا لوجود التهيئة النفسية لمسألة الانضمام في هذه المنطقة. وأعقب ذلك توجه الدولة إلى جبل شمر أو إلى حائل حيث أرسلت حملة بقيادة حجيلان بن حمد أمير بريدة سنة (١٢٠٠هـ) الهدف منها هو إخضاع المنطقة، وفعلًا هذه الحملة أخضعت جبل شمر وما حولها إلى التبعية والولاء للدولة.

أيضًا انتقلت جهود الدولة نحو الشمال حيث منطقة الجوف ووادي السرحان على حدود العراق وبلاد الشام وأرسلت حملتين لهذه المنطقة:

١. حملة بقيادة أمير جبل شمر محمد بن عبد المحسن بن علي توجه إلى الجوف.

٢. حملة بقيادة أمير الوشم محمد بن معيقر، وتوجه إلى وادي السرحان وتيماء وخيبر.

وأدت هذه إلى خضوع المنطقة إلى الدولة وبهذا تكون قد خضعت كافة قبائل نجد إلى الدولة، وأيضًا قد خضعت قبائلها التي تسكن بادية نجد وأبرزها «سبيع . والضفير . مطير . عنزة . ودواسر . والعجمان»، ونلاحظ هذه القبائل يثورون في بعض الأحيان، ولكنهم سرعان ما يعودون عندما يرون حزم الدولة، وكان معظم اقتناع زعماء القبائل إما أن يكون بدعوة، أو خوفًا من عدم قدرتها على مواجهة الدعوة، وخوفًا من أسلوب وسياسة الدولة بإخضاعها معظم الحملات التي وجهتها الدولة نحو صد هذه القبائل ناجحة ماديا وهذا نتيجة الاسلاب والغنائم التي نتجت عن هذه الحروب والمعارك بعد توحيد نجد خضعت كافة القبائل، وهناك بعض القبائل لم تخبذ التبعية للدولة، واختارت المغادرة إلى مناطق في العراق وبلاد الشام، وبهذا تكون الدولة قد وحدت نجد الأمر الذي يدعو بأن تنظر إلى منطقة خارج نجد، وكانت الإحساء هي المنطقة القريبة، وكانت أكثر تهديدًا وخطرًا على الدولة السعودية، وعلى نجد من زعماء بني خالد في محاولاتهم المتكررة مهاجمة الدولة والعمل على قضائها، واستمرت جهود الدولة في هذه المنطقة حدود (١٢سنة) من سنة (١١٩٨هـ) إلى (١٢١٠هـ)، وعداء بني خالد كان أحد الأسباب الرئيسية وتوسع الدولة، وإحساسها بدورها ومهمتها على نشر الدعوة، وضرورة أن يكون ذلك عامًا، ويشمل مناطق خارج نجد أيضًا الدولة تسعى إلى حماية مصالحها بالذات منها التجارية وحماية حدودها، وكما يقال أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم وهذا دعا الدولة لان تحمي مصالحها عبر هذا الأسلوب .

ومن الأمور التي دعت الدولة لضم منطقة الإحساء:

الأهمية الاقتصادية والزراعية، والأهمية البحرية مما يتصل بالتجارة الخارجية، وأمر آخر شجع الدولة وهو عدم خضوعها لأي قوة من القوى، وبالذات القوى العثمانية وهذا ما دعا الدولة لحشد قواتها، واستعداداتها لضم منطقة الإحساء، ولا غرابة بأن تأخذ هذه المنطقة من الدولة الوقت حيث إنها أخذت (١٢ سنة)، وأيضًا احتاج من الدولة أن ترسل تسع حملات عسكرية إلى هذه المنطقة، التفصيلات (انظر إلى المصادر).

- الحملة الأولى سنة (١١٩٨هـ) بمهاجمة الإحساء، وكانت معظم هذه الحملات بقيادة شخصيتين معظمها كانت بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز، وحملتين أو ثلاث حملات كانت بقيادة إبراهيم بن عفيصان، والحملة الأولى سنة (١١٩٨هـ) بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز حققت نجاحًا مبهرًا وبالواقع كان ماديًا من غنائم وأسلاب والمواشي أظهرت به هيبة الدولة وقوتها.
- الحملة الثانية سنة (١٢٠٢هـ) بقيادة إبراهيم بن عفيصان توجهت إلى الحشة وإلى القطيف.
- الحملة الثالثة بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز سنة (١٢٠٣هـ).
- الحملة الرابعة سنة (١٢٠٤هـ).
- والخامسة سنة (١٢٠٦هـ).
- والسادسة سنة (١٢٠٧هـ).
- والسابعة سنة (١٢٠٧هـ) وجميعها بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز وتطورت جهود الدولة في مواجهات قوات بني خالد في الإحساء وهذا ساعدها لتتعدد مناطق الضغط من القوات السعودية لهذه المنطقة مما ساعدها في تحقيق نجاحاتها وأيضاً الضغط على زعماء بني خالد.
- الحملة الثامنة سنة (١٢٠٨هـ).

- والحملة التاسعة سنة (١٢١٠هـ) بقيادة إبراهيم بن عفيصان.

جميع تلك الحملات حققت نجاحات انتهت بإخضاع منطقة الإحساء.

ومن سمات هذه الفترة أنه حصلت نزاعات بين أمراء بني خالد مما ساعد على تفككهم وخضوع المنطقة للدولة السعودية وكانت رغباتهم متذبذبة بين رغبة هؤلاء وهؤلاء وبين تأيدهم وتراجعهم عن هذا التأييد والتبعية وغيرها من الظروف التي دعت الدولة إلى أن تكرر محاولاتها والى أن توجه حملاتها بهدف إخضاع هذه المنطقة وتثبيت وجودها في الإحساء والمناطق حولها وكانت هناك نتائج تمخضت عن سيطرة الدولة على الإحساء...يتبع .

المحاضرة السادسة

انتهينا في المحاضرة السابقة عند نتائج ضم الدولة السعودية الأولى لمنطقة الإحساء، ومن أبرز النتائج التي حققتها الدولة اتساع نفوذها وأملاكها ليشمل هذه المنطقة المهمة على عدة جوانب منها الزراعية والتجارية والبحرية من مقومات المنطقة، وبالتالي حقق الكثير من الفوائد للدولة أيضًا أصبحت الطريق ممهدة لنشر الدعوة الإصلاحية، ونشر مبادئ الدعوة في هذه المنطقة، والمناطق القريبة التي يمكن الوصول إليها عبرها، وهذا ما كانت الدولة تسعى إلى تحقيقه؛ لأننا نعرف أنه من أسس قيام هذه الدولة هذه الوظيفة، وبالنظر إلى خارج المنطقة بدأت القوى المحيطة والخارجية، وفي مقدمتها الدولة العثمانية والإنجليز الذين بدأ نفوذهم بالخليج، و القوة الفارسية، وبدأت بالاهتمام بالدولة الفتية، و تقيم لها وزن وتهتم بجهودها ونجاحاتها في هذه المنطقة، وأيضًا تمكنت الدولة من الوصول إلى البحر وهذا يعني عدة فوائد أبرزها أنه سيضاف إلى مواردها الاقتصادية موارد جديدة، وعلاقاتها التجارية سيضاف لها علاقات جديدة، وجانب آخر هو الجانب الزراعي في هذه المنطقة وما يحققه من موارد اقتصادية للدولة.

أصبح للدولة حدود لبقية إمارات الخليج العربي ومع بشويات بغداد، وهي خاضعة للدولة العثمانية، وهذا يعني مسئوليات تضاف إلى مسئوليات الدولة، وتعدد مناطق نفوذها ليشمل المناطق البعيدة عن مركز الدولة في الدرعية، وهذه أبرز النتائج.

موضوع آخر جهود الدولة في التوسع خارج منطقة نجد، في المنطقة الغربية، وأعني بذلك الحجاز.

الأشراف هم من بيدهم السلطة والحكم في هذه المنطقة، نتكلم بإيجاز عن موقف الأشراف للدولة السعودية والدعوة الإصلاحية نَجِد أن موقفهم موقف عدائي ، والذي أدى إلى هذا الموقف العدائي أن حقيقة الدعوة الإصلاحية والسليمة لم تصل إلى الحجاز بشكل سليم بسبب ما قام به بعض من علماء نجد المعارضين للدعوة من تشويهٍ لحقيقتها، ولصورتها في منطقة الحجاز، وفي الحرمين الشريفين، وكان الشريف غالب بن مساعد أكثر أمراء الأشراف عداء للدولة، وفي عهده أرسل الأشراف أول حملاتهم العسكرية ضد الدولة السعودية وأول احتكاك بين الطرفين كان عبارة عن إقدام الأشراف بسجن عدد من الحجاج النجديين وذلك سنة (١١٦٢هـ)، ومنعهم من الحج، وبعد استيلاء الدولة على الإحساء ميزان القوى في هذه المرحلة مال لصالح الدولة، وأيضًا العثمانيون امتنعوا عن دعم والشريف غالب سنة (١٢٠٧هـ) عندما طالبًا النجدة، والعمل على مواجهة الدولة السعودية، والدولة العثمانية لم تكن تثق بالشريف غالب وهذا ما جعلها تمتنع عن تقديم مساعدات له.

س/ ما سبب تأخر المواجهة بين الطرفين، أو عدم إقدام الأشراف بالتدخل العسكري ضد الدولة حتى وقت مُتأخر مع العلم أن أول حملة عسكرية قام بها الأشراف على منطقة «السر» أو المناطق القريبة من الدوادمي الحالية وكان هذا سنة (١٢٠٥هـ) ؟

ج/ نجد أن الأشراف أول أمرهم لم يكونوا مدركين لخطورة الدولة السعودية الناشئة، وقدرتها على التوسع بهذا الشكل الكبير، وكانوا يعتقدون بأن المعارضة المحلية قادرة على القضاء على هذه الدولة، وكانوا يرون أن أتباعها في الحج سيقوي المعارضين المحليين بذات في إقليم العارض، أيضًا قوة بني خالد في الإحساء كانت من وجهة نظر الأشراف كافية بالقضاء على الدولة السعودية ولكن الأشراف لم يصيبوا في توقعاتهم، ولكنها قضت على زعامة بني خالد و ضم الإحساء، فكانوا يتوقعون فشل الدولة، وهذا ما لفت انتباه الأشراف إلى خطورة ما يتهددهم من جهة الشرق الأمر الذي جعلها تتحرك عسكريا لمحاولة القضاء على هذا التهديد.

الحملة الأولى: أرسل الشريف غالب سنة (١٢٠٥هـ) بقيادة أخيه الشريف عبد العزيز حملة عسكرية فشلت في تحقيق أي انتصار على القوات السعودية برغم من التعزيزات الكبيرة والامدادات التي أرسلها الشريف غالب للحملة.

الحملة الثانية: كانت بقيادة الشريف ناصر بن يحيى سنة (١٢١٠هـ)، واستطاعت القوات السعودية من صد هذه القوات في منطقة «الجمانية» في منطقة ظلم القريبة من شرق الطائف، تمكّنها من هزيمة قوات الشريف هزيمة كبيرة مما أدى إلى سيطرة القوات السعودية بمساعدة القبائل التي خضعت لها في هذه المنطقة على الاستيلاء على الطائف، وهذا الأمر شجع كثيرًا القيادة السعودية على أن تزيد من استعداداتها للقضاء على نفوذ الأشراف في الحجاز، وبعد نجاح القوات السعودية والوصول إلى الطائف وتحقيقها نجاحات في مناطق بيشة والخرمة ادى الى تحول ولاء عسير وتبعيتها للدولة السعودية، فالشريف غالب أدرك عجزه في تحقيق نجاحات ضد الدولة وزاد من صعوبة موقفه أن القبائل الحجازية معظمها قد انضم تحت ولاء الدولة السعودية مما زاد من عدم قدرته على تحقيق أهدافه وبالتالي سعى إلى مصالحة الدولة، فعقد بين الطرفين معاهدة سنة (١٢١٣هـ) مدتها ستة سنوات، ولم يستمر العمل بهذه المعاهدة و الهدنة؛ لأنه كان من شروطها أن القبائل لا تنضم للطرف الآخر، وهذا لم يتحقق لعدم السيطرة على القبائل؛ وبمنعها من الانضمام إليه، وهو ما حدث عندما رغبت بعض قبائل الحجاز إلى الانضمام إلى الدولة السعودية، وعندما رفض الشريف غالب هذا الأمر وأراد إخضاعها فلم تقف الدولة السعودية مكتوفة الأيدي مما جعل الصراع الحربي يعود بين الطرفين عام (١٢١٧هـ) سيطرة الدولة على الطائف شجعها على مواصلة مواجهتها للشريف وانضمام دول منطقة عسير دعاها الى تجهيز قوة عسكرية، فجهزت الدولة قوة عسكرية بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز عسكر بها خارج مكة أواخر سنة (١٢١٧هـ)، حيث أنه انتظر لسبب انتهاء موسم الحج ودعا انصاره للوفود اليه تحقيقا لهذا الامر. وفي محرم من العام التالي سنة (١٢١٨هـ) دخل الأمير سعود بن عبد العزيز مكة وهرب منها الشريف غالب إلى جدة، وطبعًا لم تستطيع الدولة ملاحقته إلى جدة لسببين:

١. لحصانة أسوارها.

٢. لصعوبة تمكين وجود القوات السعودية في مكة.

وبالتالي استدعى ذلك ذهاب بعض قوات الدولة إلى جدة ولكن لم تحقق نجاحا في ذلك، وانتهى الأمر بأن عاد الأمير سعود إلى الدرعية، وقد ترك حامية عسكرية في مكة وقبل أن يغادر أزال كل ما هو مخالفًا لتعاليم الدين الإسلامي مثل القباب المبنية على القبور، وقام بإلغاء الضرائب الجارية والمناداة بالمواظبة على الصلاة، وأيضًا كتب إلى السلطان العثماني سليم الثالث يخبره بالتطورات التي حدثت في مكة، ويطلب منه أن يمنع الحجاج القادمون من بلاد مصر وبلاد الشام من استخدام المحمل وما يصاحبه من طبول ومزامير وأشياء مخالفة للدين وكان هذا في رسالة الى السلطان العثمانيون ثم غادر متوجها إلى الدرعية بعد أن ترك في مكة حاميته العسكرية الصغيرة، وبعد ما علم الشريف غالب بمغادرة الأمير سعود عاد إلى مكة، وأجبر الحامية السعودية على الانسحاب، واستلم مقاليد السلطة من أخيه الأمير عبد المعين الذي عينه الأمير سعود أميرًا ينوب عنه في مكة، وأخذ في بعض الأعمال العسكرية التي حاول من خلالها استعادة ما فقده من نفوذ في هذه المنطقة والمناطق المحيطة فتوالت الحروب بين الطرفين، ومن النجاحات التي تحققت للدولة السعودية إعلان المدينة المنورة خضوعها للدولة السعودية الأمر الذي شجع الأمير سعود للتوجه إلى مكة سنة (١٢٢٠هـ)، وطلب من أتباعه في الحجاز وعسير مقابلته عند مكة، وأيضًا من الأشياء التي عملها الأمير سعود أنه بنى قلعه في وادي فاطمة في منطقة قريبة من منطقة «الزيما» طريق السيل شرق مكة، والهدف من القلعة مضايقة الشريف غالب، والعمل على الضغط عليه عسكريًا واقتصاديًا، أدرك الشريف غالب أن القوات السعودية تتجه مع أنصارها من المنطقة ومن أنصارها من عسير، فطلب الصلح من الإمام عبد العزيز، ورضي أن يكون تابعًا للدولة على أن يكون أميرًا لمكة، وبهذا الشكل خضعت الحجاز للدولة السعودية الأولى لأول مرة.

ما سبب نجاحات الدولة السعودية وقواتها في تحقيق هذا الانتصار الكبير وضم الحجاز أمر بالغ الأهمية، وبالغ الخطورة للدولة من جهة وللقوة المحيطة من جهة أخرى، وإذا أردنا أن نتحدث عن الأسباب نقول أن أبرز سبب:

. إن قوات السعودية كانت تقاتل على نشر عقيدة آمنت بصحتها، وتعمل على حمايتها ونشرها وهذا قد ساعدها في العمل النفسي، وتكون مطمئنة إلى نواياها وإلى أهدافها في ما تقوم به من أعمال.

. إن الدولة السعودية عندما دخلت في صراع مع الأشراف كانت في وضع قوة وكانت الحالة الاقتصادية والعسكرية للدولة جيدًا وبالذات بعدم ضم الإحساء ودخول منطقة عسير للدولة.

. أيضًا اقتناع زعماء قبائل الحجاز بمبادئ الدعوة، سواء كان هذا عن قناعة أو عدم قناعة، أو رغبة في الحصول على الغنائم، فالمهم أن انضمام هذه القبائل للدولة السعودية ساعد كثيرًا على دعم موقفها، وإضعاف موقف الشريف غالب بالذات تدهور الوضع الاقتصادي للشريف غالب، وأيضًا أن منطقة الحجاز مهمة لان الحج عامل مهم بنشاطها الاقتصادي، وتوقف الحج والحروب في مكة والمنطقة عمومًا منع من وصول الحجاج وهذا انعكس

على الوضع الاقتصادي، وكما قلنا أن مكة وضعها الاقتصادي يعتمد كثير على الحج أيضًا امتناع العثمانين عن مساعدة الأشراف، وبالذات الشريف غالب إما عدم ثقتهم بالشريف لموقفه منهم و لانشغالها بمشاكلها الداخلية وهذا بذاته شكل أسبابًا مهمة أدت إلى نجاح الدولة السعودية بضمها للحجاز ونترك نتائج هذا التوسع للحلقة القادمة.

المحاضرة السابعة

نستكمل اليوم الحديث عن توسع الدولة السعودية الأولى في (عهدها الأول)، ونتكلم عن جنوب غرب شبة الجزيرة العربية وسبق أن قسمنا هذه المنطقة إلى ثلاث أقسام: عسير ـ المخلاف السليماني ـ نجران.

منطقة عسير كانت الدولة السعودية، قد وصلت في توسعها جنوب نجد إلى وادي الدواسر، وهذا في الواقع مؤشر على توجه أنظار قادة الدولة السعودية إلى مد نفوذهم على عسير نتيجة استيلائهم على الجهات المتاخمة لها، ولابد أن تتوجه أنظار الدولة لها لأمر مهم أن منطقة عسير من المناطق المهمة جدًّا حيث أنها تقع ضمن نفوذ الأشراف، وإن كان نفوذًا اسميًّا، كانت البداية قدومهم من بوابة المنطقة من جهة الحجاز، وليس من جنوب نجد، بل غرب نجد حيث بيشة، وهي تُعدُّ بوابة، هذه المنطقة من ناحية الغرب، ودخلت بيشة ضمن نفوذ الدولة السعودية، وبايع سكانها الدولة على السمع والطاعة نتيجة قوة أرسلت لها، وأغارت على حدودها، فلم يكن من صالح الشريف غالب الذي كان في صراع مع الدولة، وقام بجهود لإعادة نفوذه على منطقة بيشة وعسير، وفي محاولة منه للقضاء على النفوذ السعودي بهذه المنطقة، فقد هاجم بيشة، وتم استيلائه عليها ومني هذا الانتصار بهزيمة لاحقة فيما بعد عند الخرمة، وهو عائد من بيشة أو من عسير إلى مكة فمني بهزيمة تعد فاصلة في تاريخ العلاقات الحربية بين أشراف الحجاز وبين قوات الدولة السعودية، وهذا الانتصار يُعد خطوة مهمة لإعادة تأكيد سيطرت الدولة السعودية على بيشة وأعطاها الضوء الأخضر لتواصل اتجاهها جنوبًا إلى منطقة عسير، وأكدت نتيجة المعركة قوة الدولة السعودية وهيبتها عند القبائل الأخرى وبالذات منطقة عسير وأدى إلى تهيئة المنطقة للدخول ضمن نفوذ الدولة ودخول بيشة مهد لدخول عسير لتكون خاضعة للدولة السعودية، وبعد اقتناع زعماء عسير وفي مقدمتهم «عبد الوهاب» وأخيه «محمد» بالدعوة الإصلاحية وقناعتهم بصحة مبادئها وتوجهها قررا الانضمام للدولة السعودية، وكان هذا من أهم العوامل التي أدت إلى دخول منطقة عسير (السراة، وتهامة) تحت نفوذ الدولة السعودية، وبقية من بين المناطق المخلصة في ولائها وتبعيتها للدولة.

المخلاف السليماني وهو منطقة جازان كانت منطقة مضطربة وكان النزاع بينها وبين عسير في الشمال واليمن في الجنوب لا يكاد ينقطع، وكانت البداية الأولى سنة (١٢١٥هـ) عندما التقى بعض من حجاج المخلاف السليماني ببعض من الدعاة وحجاج نجديين، وهو الأمر الذي ساعد على انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه المنطقة، فبجهود الدعاة انتشرت بسرعة الدعوة الإصلاحية، وهذا التأييد للدعوة الاصلاحية يعني من جهة أخرى تأييد لقادة الدولة السعودية، فلم يعجب هذا بعض زعماء المخلاف السليماني وعلى رأسهم الشريف حمود بن محمد الذي كان خصمًا عنيدًا، وكان من بين الزعماء المعارضين لانتشار الدعوة ولتأييد الدولة السعودية فحدث العديد من المناوشات بين أنصار الدعوة، ومؤيدي الدولة السعودية وبين معارضيها، الأمر الذي استدعى الدولة السعودية أن تتدخل لصالح أنصارها مما يعني دخولها في صراع مع الزعماء المعارضين لانتشار الدعوة الإصلاحية استمر بعض الزعماء المحليين في معارضتهم للدعوة، وعلى رأسهم الشريف حمود حتى بعد دخول الدعوة إلى عسير وخضوعها للدولة السعودية، وهذا ما زاد معارضة المخلاف السليماني من الدعوة نظرًا للتنافس بين زعماء الإقليمين وهذا بدوره قد أدَّى إلى إصرار الزعماء بالمعارضة للدعوة استمرت هذه الأوضاع في المخلاف السليماني والضغط السعودي سواء بإرسال مناصرين لأنصارهم، أو لتوجيه زعماء عسير بالعمل على نشر نفوذ الدولة السعودية والانتصار للدعوة بالمنطقة، وبهذا كان هناك ضغط متواصل على المعارضين للدولة وانتشارها في هذه المنطقة حتى ضعف موقف المعارضين، وضعف من مواجهتهم للدولة برغم محاولات الشريف حمود الحصول على المساعدات الخارجية بالذات من إمام اليمن إلا إن إمام اليمن كان يواجهه مشاكل داخلية، والتي منعته من تقديم المساعدة، وهذا ما اضطر الشريف حمود لطلب الصلح، والاعتراف بالتبعية للدولة السعودية، وتعهدهم بدفع الزكاة لها بشرط أن يبقوا على إماراتهم. وافق الإمام «سعود بن عبد العزيز» سنة (١٢٢٦هـ)، وهذه السنة التي بدأت، فيها حملات محمد علي ضد الدولة السعودية، واستمر هذا الأمر في المنطقة ثم ضعف موقف الدولة، وأعطى فرصة للمعارضين والخصوم لبناء قوتهم من جديد ضد الدولة السعودية،

(نجران) وقد عرفنا عن العداء الذي كان قائمًا بين رئيس نجران حسن المكرمي عداء تقليدي ديني ودائم للدولة السعودية وقاداتها، وسبق ذكر واقعتين سنة (١١٧٨. ١١٨٩هـ) التي دخل فيهما رئيس نجران بنزاع مع الدولة السعودية، وهذا يُعطي مؤشرًا عن العلاقة التي كان يرغبها هذا الزعيم بعلاقته مع الدولة السعودية، وفي عام (١٢١٠هـ) غزت قوات السعودية نواحي من نجران، وسلبوا غنائم من باديتهم، فاستمر العداء بين الجانبين، وبعد ذلك بعشر سنوات غزت قوات سعودية أرسلتها الدولة، وانضمت لها قوات من عسير لمضايقة نجران وحصارها اقتصاديًّا، فحقَّقت بعض أهدافها، ولكن لم تحقق الهدف الكبير وهو الاستيلاء على نجران، ولكن اكتفت بمحاصرتها عسكريًّا واقتصاديًّا، وكان هذا عام (١٢٢٠هـ) وبعد ذلك بأربع سنوات عام (١٢٢٤هـ) أرسلت نجران وفد إلى الدرعية لمفاوضة قادة الدولة السعودية بالصلح، فكأنه خضوع لتبعية لدولة بالرغم أن الأمور لم تكن واضحة بدرجه كبيرة ولم يعني خضوع نجران خضوعًا تامًّا للدولة،ولكن كان يعني خضوع المنطقة للنفوذ السعودي، فكانت بعض قبائلها تؤدي الزكاة للأمام سعود وكذلك عسير والمخلاف السليماني وهي ما يكون المنطقة الجنوب غربي من شبه الجزيرة.

ننتقل إلى الخليج وهو البحرين والقواسم وهي الإمارات وعمان، وبداية انضمت قطر للدولة مبكرًا سنة (١٢٠٢هـ) عند استيلاء الدولة السعودية على الإحساء، وكان هناك معارضين للحكم في قطر وهم الزبارا، فقد انتقلوا إلى البحرين حيث القسم الأخر للأسرة الحاكمة.

بالنسبة للبحرين قدمت الدولة السعودية مساعدات لحاكم البحرين حين تعرض لغزو سلطنة عمان سنة (١٢١٦هـ) وهذا مؤشرٌ لخضوع البحرين للدولة السعودية، والاعتراف بالنفوذ السعودي، والكويت لم يحاول السعوديين مد نفوذهم بشكل جدي برغم حدوث بعض مناوشات خفيفة بين الجانبين (١٢٠٨. ١٢١٢. ١٢١٨هـ)، فلم تؤدي إلى الخضوع، وكان الوجود البريطاني متمثل بشركة الهند الشرقية البريطانية التي افتتحت مكتب لها بالكويت، وهذا يعني انها منطقة خاضعة لحماية البريطانيين، وهو ما يُعطي مؤشرًا لعدم رغبة القادة السعوديون بفتح جبهة أو معاداتهم لقوة لها نفوذها في منطقة الخليج كبريطانيا.

بالنسبة للقواسم وهي الإمارات ومركزها رأس الخيمة، فمعروف تأييدهم منذ وصول طلائع القوات السعودية لدخولهم لمنطقة الإحساء، ودخولها ضمن نفوذ الدولة السعودية وكانوا القواسم من الأنصار المتحمسين لدعوة الشيخ (محمد بن عبد الوهاب)، وكان تأييدهم للدعوة، وللدولة يعد مكسبًا مهمًّا للدولة السعودية في هذه المنطقة، وخصوصًا في توجهها نحو عمان، وأيضًا لتشكيل ثِقل بالمنطقة يدعم القواسم من جهة لمواجهتهم للنفوذ البريطاني، ويدعم موقف الدولة السعودية أيضًا.

وبالنسبة لسلطنة عمان سنة (١٢١٩هـ) كان يحكمها بدر بن سيف، وكانت علاقته مع الدولة السعودية وحكامها علاقة وديَّة، ولكنها لم تستمر فقد ثار عليه سعيد بن سلطان، فكان موقفه موقفًا عدائيًّا بسبب قربه لبريطانيا،أكثر من قربه للدولة السعودية وحدث بين الجانبين عدة مواقع حربيه، وصلت إلى حدود مسقط وهو الأمر الذي دفعه إلى دفع مبالغ مالية إلى الدولة السعودية، وانتهت هذه التطورات بتقليص نفوذ الدولة السعودية بالمنطقة نظرًا لوصول الحملات العثمانية المصرية إلى شبه الجزيرة، وسعيها للقضاء على الدولة السعودية، وهو الأمر الذي أضعف من وجود النفوذ السعودي بالمنطقة،وبتالي تكون الدولة قد بلغت حيِّزًا كبيرًا بعد توحيدها، وتوسعها بكل اتجاه من اتجاهات شبة الجزيرة العربية ...

المحاضرة الثامنة

وصلنا في الحلقة السابقة إلى أن الدولة السعودية قد شملت معظم مناطق وأجزاء شبه الجزيرة العربية.

فقد وصلت توسعات الدولة السعودية من الشرق لعمان مما يعني خضوع الإحساء والقطيف والبحرين والخليج، وفي الغرب الحجاز جميعها، ومن جهة الجنوب خضوع عسير بشكل تام للدولة السعودية والدعوة الإصلاحية، وأما المخلاف السليماني تحدثنا عن بعض التقلبات في الخضوع للدولة، ولكن أثبتت الدولة وجودها ونفوذها فيه، في منطقة نجران في أواخر عهد الدولة تقريبًا قبل بدء الحملات العثمانية المصرية على شبه الجزيرة العربية خضعت هذه المنطقة، وإن كان خضوعًا اسميًّا اعترفت بتبعيتها للدولة السعودية وخضوعها لقادة الدرعية.

إذا نظرنا لشمال شبه الجزيرة العربية نجد أن الجيوش السعودية تعدت حدود العراق ووصلت إلى وسطه وإلى بادية الشام، ويكفي أن عدد من قبائل هذين الإقليمين قد دفعت الزكاة لقادة الدولة السعودية مما يعني خضوعها، هذا الاتساع في دولة واحده يعد أمرًا فريدًا في شبه الجزيرة العربية فلم يتحقق منذ مده طويلة في فترة قوة الدولة الإسلامية، هذا إلمام سريع بعلاقات هذه الدولة مع القوة الخارجية، وبالذات المناطق المحيطة الواقعة على

حدود الدولة، وعندما نتطلع للشمال نجد العراق من المناطق المهمة والتي لعبت دورًا في شبه الجزيرة العربية والتأثير ضد الدولة، ويتمثل هذا بمحاولات الوجود العثماني للإحساء ان يخضع لولاية بغداد وأيضًا للدور الكبير الذي قامت به قبائل عراقيه وولاية بغداد التي تقع شرق الدولة السعودية، العلاقة القديمة بين نجد والعراق وبالنسبة للشيخ «محمد بن عبد الوهاب» نعرف أن العراق إحدى الجهات التي ارتحل إليها الشيخ وضمن أسفاره العلمية، وأيضًا كانت العراق من قديم ملجأ للعديد من المعارضين للحكم السعودي منذ بداية تأسيسه وبالذات أولئك الذين لا يرغبون بالخضوع للدولة وقادتها فنجد في المنطقة بين شمال شبه الجزيرة والشمال الغربي والشمال الشرقي تمركز قبائل «المنتفق» بجنوب العراق في منطقة السماوى، وفي شمال وادي السرحان، وهذه القبيلة كانت تشكل أبرز القبائل العراقية التي كانت تُؤدي دورًا رئيسيًّا في أحداث شبه الجزيرة العربية ونجد، قدمت هذه القبيلة أكثر من مرة المساعدة لبني خالد في أثناء نزاعهم مع الدولة السعودية وطبعًا انتقامًا من هذا الدور ما حدث سنة (١٢٠١هـ) عندما غزا «ثويني» بمساعدة قبائل بني خالد نجد وحاصر بريدة، وكان السبب تعرض لقافلة عراقية قادمة إلى هذه المنطقة وانتقامًا لهذا الحدث قام «ثويني بن عبد الله» بقيادة حمله لغزو نجد وفشل بتحقيق أي من أهدافه وعاد إلى العراق وفي عام (١٢٠٣هـ).. وردًّا على هذه الحملة قاد الأمير «سعود بن عبد العزيز» مجموعة من القوات السعودية، وهاجم بها الأراضي العراقيه، واستمر الحال بهذا الشكل واستمرت قبيلة (المنتفق) باستقبال الفارّين من خصوم الدولة والمعارضين لقاداتها، ودفع هذا الدولة السعودية إلى مواصلة تأديبها والعمل على كف تهديدها، هذا بصفة عامة كانت العلاقة بين الجانبين لا تذهب بعيدًا عن ما ذكرناه، ويغلب عليها مسألة تدخل والي بغداد في شأن نجد وتطوراتها ورد السعوديين بالانتقام لهذا التدخل بمهاجمة الأراضي العراقية، وتلك الهجمات التي تصل في بعض الأحيان إلى مناطق في عمق العراق إلى سوق الشيوخ و السماوى، والزبير في مناطق قريبة جدا لبغداد ونتيجة للغزوات المتكررة للقوات السعودية، وكان آخرها هجمات على كربلاء والنجف وهي مناطق شيعيه مما أدَّى بوالي بغداد علي باشا، وحاكم العراق العثماني باستغلال هذه الحادثة حيث أرسل من يغتال الإمام عبد العزيز سنة١٢١٨هـ ، وهو يصلي في مسجد الصريف، ورد السعوديين نتيجة ذلك بهجمات متتالية على الأراضي العراقية، واستمرت بهذا الشكل بصفة تكاد تكون دائمة.

بالنسبة للشام العلاقات محدودة بشكل كبير إلا فيما يتصل بخضوع بعض قبائل بادية الشام إلى الدولة ودفعها الزكاة وإغارت بعض أنصار الدولة والمؤيدين لها على تلك القبائل في وقت مبكر من قيام الدولة السعودية بسبب الغزو وقضيه الحصول على غنائم وأسلاب.

فارس، وفارس هي الضفة الشرقية من الخليج العربي، ولا يعجبها وجود هذه القوة لاختلاف ديني فهي تعارضها بالمذهب في هذا الجانب، ولم يرضِها وجود قوة قويه قادرة على التأثير على النفوذ الفارسي في الخليج ، فكان من موقفها العدائي للدولة السعودية، خصوصًا بعد وصول الدولة إلى منطقة الخليج وخضوع عدد من مناطقه للدولة فوقفت ضد هذا التوسع، وتحاول أن تساعد المعارضين، اما بالنسبة للاختلاف المذهبي فمعروف بين الدولة السعودية والدعوة الإصلاحية وبين فارس، ولابد أن يكون نتيجة ذلك عدم ارتياحها لتوسع الدولة السعودية في منطقة الخليج والإحساء، وعدم الارتياح للهجمات المستمرة من القوات السعودية على النجف وكربلاء، وهذا بدوره قد أدى إلى أن تقف فارس موقف عداء مع قادة الدولة وتوسعها ودفعها هذا إلى مساعدة خصوم الدولة ومعارضيها، وأبرزهم سلطان عمان، طبعًا النفوذ فارسي في المنطقة مع وجود القوة البرتغالية، ثم البريطانيين، كان ضعيفًا وهذا يدعونا إلى أن نتحدث عن النفوذ البريطاني في الخليج، وكان مهمًا لبريطانيا في طبيعة الحال، ومهم لخطوط مواصلات التجارة البريطانية بين الخليج والهند والتحركات السعودية في هذه المنطقة، فيجعل بريطانيا تتخوف من تأثر مصالحها في هذه المنطقة وحماية من الخطر السعودي، وقعت بريطانيا مع سلطان عمان اتفاقيه عام (١٢١٣ هـ) تقرر وقوع السلطان تحت الحماية البريطانية، وهذا كنوع من الوقوف ضد المحاولات المتكررة للقوات السعودية لبث نفوذها وإخضاعها للأراضي العمانية أيضًا من جهة ثانية تسببت الهجمات المتواصلة للقواسم برأس الخيمة وهم حلفاء السعوديين وبالذات هجماتهم على السفن البريطانية، فأدى إلى مهاجمة بريطانيا رأس الخيمة أكثر من مره وأبرزها سنة (١٢٢٠ . ١٢٢٤هـ)، وهذا بدوره يدعو الدولة السعودية إلى تأييد ودعم موقف القواسم بصفة خاصة طبعًا لحماية بريطانيا لمصالحها أعلنت عدم عدائها للدولة السعودية، ورغبتها باستمرار علاقة طيبه بين الجانبين إدراكًا منها لمدى النفوذ السعودي والقدرة السعودية في المنطقة على التأثير على القوة العربية فيها بصفة دائمة ووصول القوة السعودية يعني تهديدًا لمصالح بريطانيا، فبالتالي لابد أن تأخذ بريطانيا موقفًا سلميًّا وديًّا مع هذه القوة لتحمي مصالحها وتحافظ عليها، وأي خطر على هذه القوة يكون لصالح بريطانيا، وهذا ما حدث عندما وصلت الحملات العثمانية المصرية لشبه الجزيرة العربية ضد الدولة السعودية وكانت مصدر سعادة لبريطانيا أو من الأمور التي تتيح لها إضعاف نفوذ الدولة السعودية أو أي خطر ضد المصالح البريطانية، وكانت تهدف إلى القضاء على الدولة من ما يعني زوال الخطر الذي كان يهدد المصالح البريطانية في الخليج، وفعلًا تحقق هذا الأمر عندما أجبرت بريطانيا

شيوخ القواسم على توقيع معاهدة عام (١٢٣٤هـ) مع بريطانيا لحماية المصالح البريطانية في المنطقة، وهذا لم يتحقق لبريطانيا إلا بعد أن بدأ ضغط الحملات العثمانية المصرية على الدولة السعودية التي انكمش نفوذها في هذه المنطقة.

الدولة العثمانية وأبرز العلاقة بين الدولة السعودية والعثمانيون هي الحملات التي أرسلها العثمانيون للقضاء على الدولة السعودية، وبالواقع كانت هذه المحاولات مبكرة وقادها ولاة بغداد وأيقن العثمانيون أن ولاة بغداد لم يكونوا الأشخاص المناسبين للقيام بهذه المهمة فبحث العثمانيون عن من يقوم بهذا الدور ليتطلعون من خلاله الى القضاء على التهديد الذي يعتقدونه من الدولة السعودية ووجدوا ضالتهم، وهو محمد علي حاكم مصر بحيث يقضون عليه وعلى الدولة السعودية في آن واحد؛ لأنهما كانا خطرين يهددان الدولة العثمانية بالمنطقة، ومن هنا يتبين مدى العلاقة بين الجانبين السعودية والعثمانية، وهي علاقة عدائية منذ الوجود العثماني بالإحساء، وحمل والي بغداد الضغط العسكري المتواصل لنجد، ومحاولة الدولة مد نفوذها للمناطق الشمالية، ثم بعد ذلك بالحملات التي قادها محمد علي واعدها للقضاء على الدولة السعودية، وبهذا قد انهينا الحديث عن توسع الدولة من جهة وعلاقات الدولة في عهدها الأول مع القوى المحيطة من جهة ثانية.

المحاضرة التاسعة

وصلنا إلى أخريات موضوعات هذه الدولة وهو ما يتصل بالجوانب الحضارية فيها، فأهم وأبرز الملامح الحضارية لهذه الدولة وما حضيت باهتمامات الدوله، جانب نظام الحكم والأنظمة التعليمية والمالية، ونعرف أن الدولة قامت من خلال ذلك بالتعاون مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته الإصلاحية، وبالتالي ندرك بأن الأساس والمبدأ المهم في قيام الدولة كان تنقية الدين الإسلامي والشريعة من البدع والانحرافات التي خالطتها منذ فترة سابقة، وما يتطلب هذا من تنقية الدين وسلامة المعتقد وإخلاص العبادة لله، أيضاً أساس آخر لا يقل أهمية ، بل إنه يساعد على تحقيق المبدأ الأول: وهو القضاء على حالة التشتت والانقسام التي كانت تعيشها البلدان النجدية بقبائلها وحاضرتها واعتمادًا على هذا المبدأ، فمن خلاله يتحقق المبدأ الأول، وفي نفس الوقت تسعى الدولة من خلاله إلى ترسيخ مبادئ الدعوة الإصلاحية وتنفيذها ودعوة الناس لتطبيقها والعمل بها.

وجانب آخر يرتبط بنظام الحكم كأساس له في هذا النظام يعتمد على إدارة شؤون البلاد، ونعرف أن إدارة شؤون البلاد في هذه الفترة من خلال هذين المبدأين السابقين أنها أدوار مشتركة بين الحاكم والقائمين على الدعوة الإصلاحية، وفي مقدمتها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هنا يتبين لنا أن إدارة شؤون الدولة كانت مقسمة بحيث أن الأمور الإدارية والسياسية يتولاها الأمراء من الأسرة السعودية، والشؤون التعليمية والدينية يتولاها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومَن يراه مناسبًا من العلماء وطلاب العلم ممن هم مؤهلين وذو كفاءة، فالأمر موزع وحتى إن كان التوزيع غير رسمي، فهو بهذا الشكل يوزع المسئوليات بين الجانبين، وأمر آخر هو الانسجام، وقد تحقق بين الشيخ والأمراء في إدارة شؤون البلاد، فكان الانسجام والتنسيق في هذه الإدارة يعطي مزيد من النجاح للجهود التي يقوم بها الجميع في إدارة شؤون الدولة، أمر ثالث يرتبط بنظام الحكم، وهو مسمى الحاكم واللقب نعرف أن حاكم الدولة السعودية يُلقب بالأمير وأضيف له في وقت سابق لقب (الإمام)، وأصبحت كأنها ذات صبغه دينية نسبة لإمامة الصلاة، أوالحاكم إضافة لكونه حاكم سياسي، بل هو أيضًا مؤهل لخلفيته الدينية ومعرفته بالدين بأن يُصبح إمام وهذه سمه انفرد بها الحكام السعوديون، وتطلعهم للأمور الدينية والعلمية، فبعض الأمراء كانوا طلاب علم كالشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبالتالي لديهم المعرفة والثقافة الدينية التي تؤهلهم لهذا المنصب، أمر آخر، وهي وظيفة ولاية العهد، وهي من الأشياء الحديثة للدولة، وهي من النظم الإسلامية المعروفه قديمًا، ولكن لم تكن موجودة قبل قيام الدولة السعودية، وكان كل أمير بمجرد أن تنتهي ولايته يأتي أمير بعده دون أن يكون هناك وجود لهذه الوظيفة، ولكن في الدولة السعودية تمَّ إيجاد مثل هذه الوظيفة، وأصبحت خاصة للابن في حياة والده، فيخلفه بعد وفاته فيما يعرف بالبيعة وإن هذه التنظيمات هي أقرب لسمة الدينية في قيام الدولة ، وهذا ما يتصل بنظام الحكم ويرتبط بهذا أيضا بقضية إدارة شؤون البلاد، فالأمير الإمام يتولى الشؤون المالية والإدارية والشؤون الدينية والاجتماعية والإفتاء يتولاها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أو من يراه مناسب إضافة لهؤلاء وجد مستشارين للحاكم والشيخ، وطبعًا لم يكن الحكام السعوديون عبر تاريخهم، وبالذات الدولة السعودية الأولى يقضون بأمر دون أن يعرضونه على أولئك المستشارين، والذين يثقون بعلمهم ورجاحة عقلهم في اتخاذ ما يرونه مناسبًا لذا كان ما يعرف بمجلس استشاري مكون ممن يختارهم الأمير الإمام، ويرى أن فيهم الكفاءة والمقدرة على تولي مثل هذا الأمر، وبالذات بما يتصل بالاستشارات، سواء كانوا أعيان في البلدة أو المدينة أو كانوا من العلماء أو أمراء المدن ورؤساء القبائل فهؤلاء مثلوا مجلسًا استشاريًّا للحاكم، وكان كثيرًا ما يتم استشارتهم.

قُسمت الدولة في تلك الفترة لمناطق، وتولى إدارة كل منطقة أمراء محليون في الغالب، وطبعًا يتولاها وفقًا لما تتوارثه الأسرة الحاكمة في ذلك الوقت، فيتولى أمير محدد لهذه البلدة تكون الإمارة في أسرته من قبل، وفي فترات استثنائية تختلف القاعدة يعين هؤلاء الإمام وينتقيهم امراء لمناطقهم ويحملهم مسئولية بلدانهم كاملة، وأبرز هذه الوظائف تطبيق أوامر الشرع والمساعدة بجباية الزكاة والأموال المقررة للإسهام بالحروب، وتقديم ما هو مطلوب من أولئك الأمراء تقديمه لجيوش الدولة وقواتها سواء عبر الأفراد أو عبر التجهيزات والذخائر، وهم يقومون عند إدارتهم لمناطقهم بتعيين من يرونه مناسب من القضاة والموظفون ممن يساعدونهم بإدارة شؤون بلادهم أمر أخر يرتبط بالأمن، و من ضمن اختصاصات أولئك الأمراء ما عُرف بسياسة التضمين بحيث أن أمير الجهة والبلدة يتحمل مسئولية الجرائم والحوادث التي تقع في بلدته بحيث أي حادث أو اعتداء يقع فالمسئولية الأولى تقع على عاتقه؛ بهذه الحالة يتحرى ويبحث عن الإجراءات التي يعثر من خلالها على المتسبب بأسرع وقت ومن جهة أخرى تجعلهم مهتمين لإشاعة الأمن بدل من أن يبحثوا عن الاعتداءات والجرائم يسعون لعدم حدوثها بالأصل، وهذا يخفف عنهم ويريحهم، وبالتالي يحافظون على الأمن لمصلحة بلدانهم بالدرجة الأولى، وتنمية أوجه النشاطات المختلفة، وبالذات التجارية والتبادل التجاري من بلدة لبلدة والقوافل والانتقال، ونحو ذلك مما تكتسب البلدة من أثاره الايجابية الشيء الكثير.

النظام العسكري قضية مهمة في الجوانب الحضارية للدولة، لم يكن هناك جيش نظامي وقوات إلزامية كان بالغالب جيوش الدولة تعتمد على المتطوع أو كانوا يُسمون (الغزو) وهؤلاء هم عماد جيش الدولة ، ويشملون سكان الحاضرة والبادية، وإن كان اعتماد الدولة على سكان الحاضرة كمتطوعين، فهناك جنود دائمين مخصصين لغرض وهم نواة لمسألة التنظيم العسكري، وهؤلاء لهم مهمة محدده ترتبط بالحراسات والمرابطات التي تعتمد على هذا النوع من النشاط العسكري في حراسة الأمير أو التجول في الأسواق أو حراسة الأمكنة، وكل أمير ملزم بتجهيز أفراد للغزو والمشاركة بقوات الدولة، ويتحمل كافة تأمين التجهيزات العسكرية، وتكون كل جهة مسئولة عن تقديم عدد من الإمكانات للجيش كل منطقة على قدر إمكانياتها، وترسل هذه المشاركات للحكومة المركزية أو إلى عاصمة الدولة.

للنظام المالي؛ فلا نجد الكثير من التنظيمات المعقدة مما هو موجود الآن فكان الأمر ببساطة يعتمد على أمور سهلة لنظامها المالي ، ولا تختلف كثيرًا عن ما كان في فترة قديمة، ومبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية، فالأنظمة المالية تنقسم إلى إيرادات ومصروفات، ولم تخرج الدولة بعيدًا عن هذا الإطار، فإيراداتها مركزة على مصادر بيت المال من زكاة وغنائم وأوقاف، فلم يكن هناك جهات أخرى كضرائب أو رسوم للدولة، فببساطة كانت إيراداتها وبنفس البساطة نفقاتها، فلم يكن للدولة أماكن تخزين؛ لأن جانب جهات الإنفاق سيكون أكثر من جهة الإيراد، وبالتالي هذا الأمر لا يجعل وجود وفرة في الإيرادات، وبتالي ما يجمع لدى الحكام يُصرف أولًا بأول على المتطلبات الضرورية للحكم من جهة، ولسكان الدولة أوفي مصروفات الضيافة وفي علاقاتها والمحتاجين، والمرتبات وما يتصل بها تدفع الدولة للولاة والقضاة وعمال الزكاة والحرس مما توكل إليهم مهام، وكذلك مكافأة المعلمين وطلاب العلم والمساعدات والصدقات تدخل تحت الضمان الاجتماعي في توزيع ما يتوفر لدولة من أموال على المحتاجين والفقراء.

للجانب العلمي تطورت تطورًا ملحوظًا، ومع وجود اهتمامات من قِبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وطلاب العلم، وتشجيع الحكام والقادة لمجالس العلم، وحضور مناقشات العلم أدَّى إلى نشاط جيد، وإن كان بطيئًا، فقد ازدهرت الحياة العلمية، فقد وجدت المكتبات والمؤلفات والكتب، وإن كان التركيز على العلوم الشرعية بصفة خاصة على التوحيد والفقه، وكان هنالك أيضًا اهتمامًا باللغة العربية والشعر النبطي والفصيح، وإن كان الاهتمام بالشعر النبطي أكثر، وهو القريب من الشعر الفصيح في ألفاظه ومعانيه وأغراضه وبحوره، فكان من التي أثرت النواحي الثقافية.

المحاضرة العاشرة

هنا نلقي الضوء على الأحداث التي أدَّت لنهاية الدولة؛ فالدولة السعودية من خلال توسعها وانتشارها في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية ضمَّت إلى نفوذها منطقة الحجاز، وخروج الحرمين الشريفين من دائرة نفوذ الدولة العثمانية يُعد أمرًا بالغَ الأهمية، وضربة معنوية كبيرة موجهة لنفوذ وهيبت الدولة في العالم الإسلامي ومن هنا عقدت الدولة العثمانية العزم على انتزاع منطقة الحجاز من الدولة السعودية، والعمل على القضاء عليها والتي شملت إلى جانب الحجاز مناطق نفوذ للدولة العثمانية في الإحساء، ومنطقة الخليج فكانت تجارب سابقة للدولة العثمانية في مواجهة النفوذ السعودي وكانت هذه المواجهة ترتكز أو موكلة إلى (باشوية بغداد)، وهي ولاية عثمانية، ولكن باءت جهود الدولة عبر باشوية بغداد بالفشل،

وبالتالي أعطى الدولة السعودية قوة وانتشار في منطقة الخليج من هنا كان على الدولة العثمانية أن تبحث عن شخصية قادرة على أن تقوم بما تريده منها وأن يحقق الهدف الذي تسعى لتحقيقه باستعادة الحجاز فوجدت الدولة العثمانية في محمد علي هدفها وأوكلت إليه في سنة (١٢٢٢هـ) مهمة القضاء على الدولة السعودية، وعلى الخطر الذي مثلته على نفوذ العثمانيون في شبه الجزيرة العربية محمد علي حاكم مصر أحد المماليك، ومن دخل ضمن تبعية الدولة العثمانية من ألبانيا وشرق أوروبا، حكم مصر، وكان عليه أن يتهيَّأ للدور الذي تريد منه الدولة العثمانية القيام به لذا تأخر بدء تنفيذه لما هو مطلوب منه إلى أربع سنوات قادمة أي سنة (١٢٢٦هـ) بدأ محمد علي بجهوده بالقضاء على الدولة السعودية في عهدها الأول.

والأسباب باختصار

-أن قضية الاستعدادات تأتي بالدرجة الأولى، ولقد استدعى هذا من محمد بناء وتجهيز ٢٨ سفينة، وتجهيز مستودعات وأماكن للتموين، في كل من السويس وينبع ومناطق أخرى لإمداد حملته باحتياجاتها الدائمة من المؤن والعتاد .

. إضافة لوجود مشاكل داخلية في ولايته لمصر تطلب منه بعض الوقت لإنهائها، المهم أن كل هذه الاستعدادات تطلبت أربع سنوات من محمد علي للقيام بهذا الجهد، وكان الوضع بالحجاز مهيأ لنجاح حملات محمد علي على شبه الجزيرة العربية؛ لأنه من جهة الأشراف وبالذات الشريف غالب الذي كان يحكم في تلك الفترة لم يكن مقتنع لانضمامه للدولة السعودية، وكان يتطلع لليوم الذي يتخلص منها إضافة إلى أن انقطاع الحج في ظروف الحرب والنزاعات قد أضر بالتجار الحجازيين، وأضر بالقبائل التي كانت تأخذ الضرائب والأتوات من قوافل الحجاج، وهذه الفئات هي التي كان لها النفوذ الأكبر في المجتمع الحجازي؛ لذا توافقت زعاماتها السياسية لهدف واحد وهو القضاء على الدولة السعودية ونفوذها في منطقة الحجاز، اطمئن محمد علي لوضعه الداخلي في مصر واستكمل الترتيبات التي تتطلبها الحملة وعين ابنه طوسون قائد لأول حملاته التي وصلت إلى ينبع سنة (١٢٢٦هـ)، ووصلت برًا وبحرًا لهذه المنطقة، وكان عدد أفرادها (٨٠٠٠)، وكان قد نسق من قبل مع الشريف غالب؛ لتسهيل كافة المهام لهذه الحملة؛ فاتجهت الحملة للمدينة المنورة، بداية وصولها إلى وادي الصفراء استولت على بدر، وعند وصولها لوادي الصفراء قريب من المدينة منيت بهزيمة كبيرة على يد قوات سعودية، وكانت بقيادة عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ومن حُسن حظِّ جنود الحملة بأن القوات السعودية لم تتعقبهم لتقضي عليهم فعادوا إلى ينبع انتظر طوسون في ينبع وصول إمدادات جديدة ومبالغ مالية وغير ذلك ليقوم بالصرف منها على الجوانب المرتبطة بحملته واستمالة زعماء المنطقة، وبالذات زعماء القبائل وفعلًا تحقق له هذا الهدف باستمالته لزعماء بعض القبائل المنتشرة في الإحساء، ثم عاد مرة أخرى ليعمل على استعادة المدينة بتلك القوات، فتوجه إلى المدينة، وكان السعوديون قد انسحبوا منها، وتركوا فيها حامية صغيرة حاصرت الحملة المدينة المنورة وضربتها بالمدافع والمتفجرات، وأيضًا السكان لم يكونوا يُكِنُّونَ مودةً لقوات الدولة السعودية وحاميتها، وتعاونوا مع الجيش التركي و الحملة لتسهيل مهام دخولها للمدينة، وبالتالي تمكنوا من الدخول لها واستسلام الحامية السعودية في شهر ذي القعدة سنة (١٢٢٧هـ)، وتوجه بعد ذلك طوسون باشا باتفاق سرِّي مع الشريف غالب إلى جدَّة ودخلها بسهولة، ثُمَّ توجَّه لمكة ودخلها بسهولة بعد أن تركتها الحامية السعودية التي انسحبت إلى الطائف ودخلتها قوات الحملة في محرم (١٢٢٨هـ)، شجعت هذه النجاحات طوسون إلى أن يسعى لضم مناطق أخرى لتوسيع نفوذه والمحافظة على ما استولى عليه في منطقة الحجاز، فانتقل للطائف ورغب أن يُوالي معرفته وجمع معلومات عن المناطق القريبة أو التالية فأرسل فرقة لمنطقة تُربة وأرسل أخرى للحناكية، وهاتين الفرقتين منيتا بهزيمتين قاسيتين على يد القوات السعودية في الحناكية بقيادة عبد الله بن سعود الذي قبض على كامل الفرقة وعددهم ٣٠٠ جندي، وأيضًا هزيمتها في تربة تكبدت خسائر كبيرة، ومن هنا كان هدف طوسون العمل على طلب إمدادات جديدة من محمد علي خصوصًا أن موقفه بعد هزيمته كان ضعيفًا وقرر محمد علي بنفسه أن يقود الإمدادات الجديدة لعله يتمكن من تغيير الأوضاع لصالحه وصل للحجاز وكان الهدف منها

تمكين لنفوذه في منطقة الحجاز إضافة لسعيه لإعداد قوات الحملة لنوع جديد من الحروب، وهي حروب الصحراء.

ومن هنا كان لابد لمحمد علي أن يعمل وفق هذه الإستراتيجية كي يُحقق الهدف الذي جاء من أجله، فأرسل محمد علي قوات إلى بيشة دخلتها في البداية بسهولة، ولكن القوات السعودية تمكنت من انتزاعها مرة أخرى وهزمة قوات الحملة هزيمة كبيرة، ووصلت إمدادات للحملة من مصر، ومبالغ كبيرة من جهة، ومن جهة أخرى في هذه الفترة أدَّت وفاة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى إضعاف موقف القوات السعودية، وخلفه ابنه عبد الله، ويكفي أن يكون هذا العنصر ذا أثر سلبي ونفسي على القادة السعوديين، والقوات السعودية بهذا الشكل قابلت في سنة

١٢٣٠هـ قوات الحملة قريب من الطائف، وتمكنت من الانتصار عليها قريب من منطقة بيشة، وفعلًا كان انتصار قوات الحملة على القوات السعودية إيذانًا ببدء نشر نفوذ الحملة في منطقة عسير أدَّى هذا الانتصار في بسل لدخول قوات الحملة إلى بيشة، وما حولها، ثم دخول منطقة عسير وتهامة ضمن نفوذ الحملة غادر محمد علي بعد أن اطمئن على أوضاع قوات الحملة، وهناك أسباب دعته إلى الرجوع لمصر:

. وهي التطورات العالمية في ذلك الوقت، وفي النجاحات التي حققتها الحملة في منطقة بيشة وعسير كان طوسون في الجزء الغربي يسعى إلى أن يُؤكد قضية انتصارات الحملة للوصول إلى نجد وإلى الهدف الأساسي لهذه الحملة وصل طوسون في طريقه للقصيم، إلى الرس وكان الإمام عبد الله بن عبد العزيز يتتبع أخباره وعلى علم بتحركاته، فتوجه إلى منطقة عنيزة وعسكر فيها، فالكل يسعى أن يفرض نفوذه على المنطقة، وحاول الطرفان أن يسعيان إلى صلح وفعلًا تحقق بين الطرفين مفاوضات جرت بين عبد الله وطوسون، وانتهت باتفاق الزعيمين على صلح تكون أبرز بنوده هو:

١/ إيقاف الحرب، وجلاء قوات الحملة من نجد.

٢/ والسماح بتنقل أتباع كل جهة للجهة الأخرى.

لتوضع هذه البنود موضع التنفيذ؛ فلا بد من موافقة محمد علي على هذه الهدنة؛ فكان متوقع منه الرفض؛ لأنها لا تحقق الهدف الحقيقي الذي أرسل من أجله الحملات، فرفض وكان الشرط الأساسي في رفضه هو استسلام الإمام عبد الله وقدومه إلى مصر، وكان رفض الإمام لهذا الشرط يعني عودة النزاع والحرب بين الطرفين، لهذا الهدف أرسل محمد علي باشا بحملة جديدة بقيادة ابنه إبراهيم توجهت إلى الحجاز في ذي القعدة سنة (١٢٣١هـ)، وكانت استعدادات الحملة كبيرة وتحمل إمكانيات ضخمة، ومؤن تساعدها في البقاء مدة أطول في سبيل تحقيق الهدف عند وصول إبراهيم إلى المدينة انضمت له قبائل من المنطقة ثم زحف إلى القصيم حاصر الرس والإمام عبد الله بن سعود اتجه لعنيزة لمحاولت صد الحملة ، وبقى هناك يرقب الأوضاع، فقد حاصرت الحملة الرس مدة ٣ أشهر ونصف، وضاق الأمر بأهل الرس، ورأوا وبعد مشاورة للإمام عبد الله فيما يعانون من ضغط وحصار ونفاذ المؤن في قضية مواجهة الحملة أو الاستسلام طبعًا الإمام عبد الله كان موقفه ضعيفًا؛بسبب استعدادات الحملة الضخمة فانسحب لبريدة ومنها للدرعية، وهذه التطورات جعلت قوات الحملة تستولي على الرس وهذا يعني بدء خضوع منطقة القصيم لنفوذ الحملة، وفعلًا وصلت الحملة لعنيزة، واتخذتها مركزًا لوجودها في المنطقة، واتجه إبراهيم باشا بعد نشر نفوذه في القصيم إلى منطقة الوشم، وبزيادة في المعنويات ووصول إمدادات جديدة للحملة وزيادة عدد المنضمين إليها من رجال القبائل، فلابد أن يكون ذا تأثير من جهة على الحملة، ومن جهة أخرى على زعماء الدولة السعودية، وعدم قدرتهم على مواجهة الحملة لتلك المقومات الكبيرة التي كانت تحملها، حاصر إبراهيم باشا شقراء وضربها بالمدافع لمدة أسبوع، ويكفي هذا لأن ترضى بالتسليم بعد أن قدم أهلها الكثير من الشجاعة والصمود لمواجهة الحملة وقد أعطاهم الأمان وطلب منهم أن يسلموا ما لديهم من أسلحة، وأن يعملوا على تموين الحملة باحتياجاتها من الغذاء، اتجه بعد ذلك إلى ضُرما، وحاولت قوات الإمام المواجهة، ولكن بعد حصار أربعة أيام لم تتمكن البلدة من مواصلة الصمود، وبالتالي تمكن من دخولها وهذا يعني انفتاح الباب لمسير الحملة إلى الدرعية، في أول جماد الأول (١٢٣٣هـ) وصل إبراهيم باشا للدرعية، وكان الإمام عبد الله قد جهَّز استعدادات كبيرة، ورتب أمر الدفاع عن عاصمة الدولة، وبعد ثلاثة أسابيع عملت مدافع الحملة عملها بالأسوار والتحصينات للبلدة، وقَلَّتِ المؤن بشكل كبير بمقابل ازدياد معنويات الحملة، وتوالي وصول الإمدادات إليها، فدام حصار إبراهيم باشا للدرعية مدة ستة أشهر أبلى فيها المدافعون والإمام عبد الله بلاء حسنًا وشجاعة فائقة بالدفاع عن عاصمتهم في الوقت الذي كبدوا فيه عدوهم خسائر فادحة إلا أن الضعف والإمكانات المتاحة لابد أن تؤدي إلى نتائج سلبية في ظل الوضع القائم، وبالتالي كان لابد للإمام عبدالله أن يفاوض إبراهيم باشا في قضية التسليم اضطر الإمام عبد الله الخروج لمفاوضة إبراهيم في أمر الصلح ولا غرابة في هذا التوجه من الإمام عبدالله حفاظًا على ما تبقى من عاصمة الدولة وحفاظًا على أرواح السكان فيها واتفق الطرفان بعد مفاوضات على التسليم وعلى عدم إيذاء أهل الدرعية على أن يسلم الإمام عبد الله نفسه لإبراهيم ليبعثه إلى أبيه في مصر، استسلم الإمام عبد الله في ٨ ذي القعدة سنة (١٢٣٣هـ) الموافق ٩ سبتمبر (١٨١٨م)، وبهذا تنتهي حلقة من حلقات الدفاع البطولي الذي قام به السعوديون بالدفاع عن دولتهم وبلادهم.

المحاضرة الحادية عشرة

نبدأ الحديث عن أحداث الدولة السعودية في عهدها الثاني، ما تتسم به هذه الدولة من سمات يجعل الحديث عنها أقل طُولًا أو أقل معلومات من الدولة الأولى، وبالنظر للأحداث التي شهدتها أو الأحداث التي وقعت خلالها.

* المصادر المقررة للعهد الثاني للدولة السعودية هي:

ـ كتاب: «عنوان المجد في تاريخ نجد»؛ لعثمان بن بشر، يتكلم عن لدولة السعودية الأولى والفترة التي سبقت قيام الدولة.

ـ كتاب: «روضة الأفكار لمرتادي حال الإمام»؛ لحسين بن غنام.

ـ للعثيمين أيضا مجموعه من المؤلفات خاصة بتاريخ الدولة السعودية، وله كتاب عن تاريخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، وله كتاب من مجلدين عن تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الأول عن تاريخ الدولة السعودية في عهدها الأول، وفي عهدها الثاني، وخصص الجزء الثاني لتاريخ المملكة العربية السعودية بعد توحيدها على يد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ..

ـ هناك الفاخري محمد بن عمر له كتاب عن الأخبار النجدية.

ـ عبد الرحمن عبد الرحيم له كتاب عن تاريخ الدولة السعودية الأولى.

ـ وكذلك عبد الفتاح أبو علي له كتاب عن تاريخ الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثانية.

-ابن عيسى إبراهيم بن صالح له كتاب عقد الدرر مما وقع من الحوادث والعبر في القرن الثالث عشر

-ابن بسام تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق

هذه أبرز مصادر ومراجع هذا القسم من هذا المقرر.

الحكام الذين تولوا في هذه الدولة:

حكمت الدولة السعودية الثانية للفترة من (١٢٣٥. ١٣٠٩هـ) أي حدود (٧٤) سنة، وحكمها ثمانية من أسرة آل سعود وهم:

حكمها في البداية تركي بن عبد الله في الفترة (١٢٣٥. ١٢٤٩هـ) يعني حدود (١٤) سنة.

وفيصل بن تركي حكمها في فترة حكمه الأول ٤ سنوات من (١٢٤٩. ١٢٥٤هـ).

خالد بن سعود حكمها من سنة (١٢٥٤. ١٢٥٧هـ) حدود سنتين.

الإمام فيصل بن تركي في فترة حكمه الثانية من (١٢٥٩ ـ ١٢٨٢هـ) حدود ٢٣سنة.

الحاكم السادس عبد الله بن فيصل بن تركي سنة (١٢٨٢. ١٢٨٦ هـ) حدود أربع سنوات.

سعود بن عبد الله حكمها من (١٢٨٦. ١٢٩١هـ) حدود خمس سنوات.

وأخيرًا الإمام عبد الرحمن بن فيصل والد الملك عبد العزيز من (١٣٠٧. ١٣٠٩هـ)حدود سنتين.

تحدثنا عن استسلام الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز، حماية للبلاد وعاصمة الدولة وحماية لأرواح السكان، وبرغم الأمان الذي اتفق عليه الطرفان إلا أن إبراهيم باشا لم يلتزم بما اتفق عليه فبالتالي لم يتحقق هذا الأمر من جنود الحملة، ومن إبراهيم باشا بالذات الذي أعطى الإذن لجنوده في أن يرتكبوا الكثير من الأعمال العنيفة الإجرامية في حق البلاد، فأدَّى إلى قتل وتعذيب الكثير من الأمراء والزعماء وخصوصًا من أسرة آل سعود.

أيضًا أرسل كثيرين من أمراء الأسرة وأسرة آل الشيخ إلى مصر رغبة في القضاء على أي إمكانية لأن يعود هؤلاء، أو يعملوا على إعادة الدولة أو بنائها، وأيضا إبراهيم باشا أعطى الإمام عبد الله وعدًا بعدم هدم الدرعية أو التعرض لها، ولكن هذا لم يتحقق إذ قام إبراهيم باشا بهدم الدرعية بناء على أوامر أبيه، وأجبر السكان على الانتقال منها إلى مناطق أخرى وأجبر كافة بلدان نجد والمناطق القريبة من العاصمة إلى هدم الأسوار والدفاعات التي كانت في تلك البلدات ولم يكتفوا بذلك، بل تتبعوا زعماء هذه البلدات وقبضوا عليهم، قتل من قتل وعذب من عذب، وأيضًا المصادرات فسعوا لمصادرة الأموال التي كانت موجودة سواء للدولة السعودية في الدرعية أو في تلك البلدات إلى درجة بأنه بعضهم كان يؤخذ بالقوة والعنف وغير ذلك من الأساليب الوحشية التي استخدمتها الحملة وجنودها في تعاملهم مع السكان هرب كثيرون وهرب زعماء من نجد، خوفا من بطش إبراهيم باشا وأكثرهم انتقل إلى الحجاز، ومنطقة الخليج وإلى عمان يعني إلى مناطق نائية خوف من الملاحقة ، وزعماء بني خالد انتقلوا وهربوا إلى مناطق الحدود العراقية، عند خروج الحملة عادوا إلى منطقة الإحساء واستولوا عليها تولي حكمها مرة أخرى نجد عادت إلى وضعها قبل قيام الدولة السعودية، فكان عدم وجود سلطة سيؤدي إلى إشاعة الفوضى، والاضطراب وتجدد العداوات بين زعمائها وبلداتها والوقت الذي سيطر فيه الخوف واختلال الأمن والاضطرابات والاعتداءات، بسبب عدم وجود قوة الأمر الذي أشعر السكان ونبههم إلى أهمية وجود الدولة السعودية والثمرة التي جنوها من وجود الدولة السعودية هي ـ انتشار الأمن وإشاعته والاستقرار والهدوء في أوطانهم وبلدانهم، فقام محمد بن مشاري بن معمر بالمحاولة الأولى لإقامة دولة في نجد بعد أن سقطت الدولة السعودية وهو أحد أمراء آل معمر أمراء العيينة قبل قيام الدولة السعودية وهذا ما جعل له طموح بإقامة دولة، وللعلم بأن محمد بن مشاري ابن أخت الإمام عبد العزيز بن سعود ، وبالتالي وجد هذا دافعًا لأن يقوم بمحاولته لإقامة دولة نجدية من جديد ، وشجعه

ذلك فقد كان سليل أسرة كانت تحكم في العيينة، وينتسب إلى آل سعود، إضافة إلى أنه كان يمتلك في العيينة كميه جيدة من الأسلحة والأموال التي تساعده للقيام بهذه الطموحات إدراكا لأهمية الدرعية ولأثرها في نفوس الناس قام باتخاذها عاصمة لدولته الجديدة، وأخذ يعيد بنائها مرة أخرى وعمل على تقوية دفاعاتها ودعا زعماء المنطقة إلى مبايعته والعمل على شد أزره، لكن كان له معارضون سعوا إلى معارضته في هذه المحاولة ولأنهم لا يملكون القوة اللازمة التي تمكنهم من تحقيق أهدافهم سعوا إلى طلب المعونة من زعماء آل خالد في الإحساء، ما من شك سعى زعماء آل خالد لمواجهة مثل هذا الطموح فلهم تجارب قديمة في هذا الشأن فسعوا للقضاء على هذه المحاولة مبكرًا قبل أن تتطور وتشتد، ولكن ابن معمر قد تعامل بذكاء مع هذه المحاولة، فأرسل إلى ماجد بن عريعر زعيم آل خالد الهدايا والأموال، وأعلن بأنه بوضعه تابع للدولة العثمانية وتابع لمحمد علي، وبالتالي سيستدعي هذا من بني خالد إلى أن يتوقفوا عن مهاجمته ومخاصمته، وبالتالي عادوا مرة أخرى إلى الإحساء، ثم استمر محمد بن مشاري في جهوده لنشر دولته، وأخذ يدعو من هم خارج نجد أو من خرج منها من الزعماء والقادة وكبار رجالاتها، فوجدوا الفرصة مواتيه للعودة للدرعية مرة ثانية خصوصًا وأن الظروف مهيأة والأوضاع مناسبة، وكان من هؤلاء الأمير تركي بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، وأخذ يُساعد بن معمر في نشاطه وفي التمكين لدولته الجديدة لكن هذا النجاح الذي سار به بن معمر في سبيل إقامة إمارته وتحقيق طموحه السياسي واجه مشكلة لم يتوقعها ودائمًا الجهود تصطدم بعقباتها، وهو خروج مشاري بن سعود بن عبد العزيز أخو الإمام عبد الله بن سعود آخر حكام الدولة في عهدها الأول على ابن مشاري، وكان مشاري بن سعود ضمن مجموعة من الأمراء بطريقهم إلى ينبع، ومنها إلى مصر فهرب من القبض عليه بطريقه من المدينة إلى ينبع، وقد سبق القول بأن حملة محمد علي قبضت على عدد من الأمراء السعوديين لنقلهم إلى مصر، هرب مشاري بن سعود، وتوجه إلى الدرعية، وقبض على ابن معمر، وعاد إلى تولِّي الحكم طالبًا من ابن معمر التنازل، وطالبًا مبايعته من قِبل السكان، تنازل ابن معمر له عن الحكم، في الوقت الذي أضمر في نفسه استمرار أن يعمل بالسر والخفاء على تحقيق طموحاته السياسية والحفاظ على مصالحه في الوقت الذي بويع فيه مشاري بن سعود بالحكم، وحاز على تأييد عدد من أفراد الأسرة السعودية والسكان وزعماء البلدات القريبة، ومن هؤلاء الأمير تركي بن عبد الله الذي وصول إلى الدرعية، وكان ممن أيدوه وعملوا على تأييده والشد من أزره ومساعدته في إدارة شؤون الدولة الجديدة والنهوض بها، أما ابن معمر فقد تنازل و بايع الأمير مشاري بن سعود لكن كان يضمر غير ما كان يظهره للأمير مشاري وخرج من الدرعية، مستأذنا لزيارة بعض أقاربه في بلدة سدوس القريبة من الدرعية، وفي الحقيقة أنه كان يعمل للعودة إلى الحكم، وأخذ يجمع الأنصار وحتى إذا اجتمع لديه أعدادًا جيدة منهم دخل بهم الدرعية على حين غفلة وقبض على مشاري بن سعود واستولى عليه، علم تركي بن عبد الله بنوايا ابن معمر وغدره بالأمير مشاري بن سعود، وبالتالي صمم على مواجهته، وكان تركي قد تركز وجوده في بلدة الحاير جنوب الرياض، فانطلق منها إلى ضرمًا وجمع ما أمكن جمعه من الأنصار المؤيدين، وسار بهم إلى الدرعية، وفاجأ بن معمر فيها، وقبض عليه، ثم اتَّجه للرياض واستولى عليها في ظل هذه الظروف لم يكن هناك منافس للأمير تركي وتواجد تركي حدث قبل رحيل الحملة التركية التي موجودة في بعض مناطق نجد، وكان أبرزها الحامية الموجودة في الرياض، وكانت موجودة في منفوحة وثرمدة وعنيزة هذه الحملات للمحافظة على وجود العثمانيون في نجد، محمد علي كان على علم بالتطورات التي شهدتها نجد فسعى على القضاء على أي محاولة من هذا الجانب فبعث فرقة بقيادة أبوش أغا، لنفس الهدف وهو القضاء على أي محاولة؛ لإقامة دولة جديدة تهدد الوجود العثماني أو الوجود التركي أو تهدد نفوذ محمد علي فكان لابد لتركي بن عبد الله أن يعمل على القضاء على الوجود الأجنبي الوجود التركي في منطقة الرياض ومنفوحة، وبالتالي في المناطق الأخرى وفعلًا هذا ما سعى إليه في أولى خطواته لهذا الغرض، وأمكن لتركي بن عبد الله من نشر نفوذه في أكثر من منطقة في نجد والمناطق المحيطة بها وجعل من الرياض لأول مرة مركز لنشاطه وقاعدة للحكم السعودي وبدأ منها أولا خطواته أو جهوده في إعادة نفوذ الدولة السعودية.

المحاضرة الثانية عشرة

نستكمل ما بدأناه عن بدء الإمام تركي بن عبد الله جهوده لإعادة بناء الدولة وتأسيسها، فقد جعل الرياض عاصمة لهذه الجهود لأول مرة، خصوصًا أنه وجد في موقع الرياض وتحصيناتها أنها مُهيأةً لبدء مثل هذه الجهود، و مُهيأةً للدفاع عن الدولة والتي رأى فيها الإمام تركي جاهزية الرياض عاصمة و مركزًا للدولة هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنها منطقة متوسطة بين منفوحة من جهة والعارض والدرعية تكاد يكون موقعها موقعًا نموذجيًّا استراتيجيًّا.. فالخطوة الأولى التي بدأها تُركي عندما علم بنوايا ابن معمر وبالذات بعد غدره بالأمير مشاري فلابد أن يتخذ خطوات في مواجهة هذا التصرف فالخطوة التي قام بها، كان في بلدة الحائر عندما غدر ابن معمر بالأمير مشاري، فانطلق منها لضرما وجمع أنصاره، وانضم إليه

الكثير من المؤيدين، وسار بهم للدرعية سرًا وفاجأ بن معمر ، وقبض عليه، ثم بعد ذلك توجه للرياض واستولى عليها، هذه المحاولة وما حققته من نجاح شجعت الإمام تركي على بذل العمل، والجهود، ولكن محمد علي والدولة التركية وجدوا بأن هذه المحاولات وبالذات بعد أن استقرت الأمور للإمام تركي بن عبد الله فقامت الحامية العسكرية التركية التي كانت موجودة في عنيزة بالعمل على حصار الإمام تركي في الرياض، ومع ذلك لم تحقق هذه المحاولة نجاحًا، وانسحاب المحاصرين للوشم وهذا النجاح كان من ناحيتين:

الأولى: مُشجعًا للإمام تركي ببذل جهود في توسيع نشاطه لضم العديد من المناطق في الوشم، وسدير ومناطق الرياض و نجد، وفي المقابل قام محمد علي بوأد هذه الجهود، وإرسال تعزيزات أخرى للقضاء على الحركة السعودية الجديدة، فأرسل أحد قواده يدعى حسين بيك إلى نجد وبالذات لمنطقة الرياض لوأد هذه المحاولة الذي يبذل الإمام تركي جهود لإحيائها، القائد حسين بيك وصل للمدينة واتجه للقصيم، وفيها انضمت إليه القوة العسكرية و التي كانت بقيادة أبوش أغا، وسار للوشم واستولى عليه، وظل حسين بيك في الوشم، وأرسل أبوش إلى الدرعية والرياض، وتمكن من الاستيلاء عليها نظرًا لإمكانيات الكبيرة التي كانت تصاحب الحملة من جهة، وأيضًا عدم استكمال الاستعدادات التي بذلها الإمام تركي لمواجهة هذه الحملة السريعة، فلم يكن أمام الإمام تركي ألا أن يتسلل من الرياض ليلًا، والاتجاه إلى المناطق الجنوبية في نجد والعمل من هناك على مواجهة الحملة، والجهود التركية، وجهود محمد علي للقضاء على الدولة السعودية، الحملة التي أرسلها محمد علي لم تكن بأحسن حال مما كانت عليه الحملة السابقة، وبالذات حملة إبراهيم باشا التي هدمت الدرعية، وغدر بالكثيرين من أهلها، وأهل الرياض، وطلب أهل الرياض من القائد التركي إبراهيم باشا الأمان؛ فوعدهم به، ثم غدر بهم، وقتل كثيرًا من أهل الرياض، وقد كانت سياسته الملاحقة والاضطهاد، وأبرز ما صنعه هذا القائد عندما جعل ثرمدا قاعدة لتحركه في منطقة الوشم ثم جمع ودعا كثيرين من زعماء منطقة الرياض والدرعية إلى أن يتواجهوا إلى حسين بيك في ثرمدا وقد وتجمع اليه أكثر من (٢٣٠) من كبار الدرعية بحجة ان يرسلهم للمناطق التي يختارون العيش بها وكي يُعطيهم الأمان حتى إذا اجتمعوا عنده قام بقتلهم جميعًا، وهذا أسوء ما عمله هذا القائد، ومن الأشياء التي بلي فيها النجديون من أمثال هذا القائد، وتصرفاته الرعناء وغدره بأهل البلاد، و لم يكتفِ حسين بيك بذلك، بل وزع وفرق ضباطه وجنوده على بلدان نجد يقتلون ويعذبون ويصادرون، إلا أن ما قام به من أعمال إجرامية، كانت سببًا في بثِّ الرعب في قلوب النجديين، وبالتالي لا يكون لديهم الحماس أو الشجاعة لإعادة بناء الدولة أو التفكير ببنائها وقبل انسحاب حسين بيك من نجد ترك أربع حاميات صغيره في ثرمدا، ومنفوحة، والرياض، وعنيزة والهدف منها:

١. إبقاء نفوذ محمد علي وفي نفس الوقت ضمان خضوع هذه المنطقة.

٢. والمرصاد لأي محاوله أخرى لإعادة بناء الدولة أو التفكير في بنائها.

٣. وعدم إعادة التفكير في بناء الدولة من قبل أي من زعيم من زعماء الدولة السعودية.

وبعد انسحاب حسين بيك عادت الاضطرابات إلى نجد، والمنازعات بين الزعامات المحلية؛ فاضطر محمد علي لإرسال حمله عسكرية أخرى بقيادة أحد قواده، ويُدعى حسين أبو طاهر، فلم تكون سيرة هذا القائد تختلف عمَّا قبله من القادة، وهي سيرة أسلافه من قادة حملات محمد علي من حيث الظلم والجور والغدر التي كانت تزاولها مع السكان ومع الزعماء وبالتالي كان شعور السكان تجاه هذه المعاملة له ردة فعل وتحول هذا الأمر إلى ثورة ومقاومه ضد الوجود التركي وقوات محمد علي واضطرت حاميه ثرمدا ثم حامية عنيزة إلى الانسحاب في مواجهة المقاومة الشديدة التي ذهب ضحيتها الكثير من جنود الحملتين في ثرمدا وفي عنيزة واضطرتا مقابل ذلك إلى الانسحاب إلى المدينة المنورة وذلك في شهر رجب (١٢٣٨هـ)، بقيت حاميتا منفوحة والرياض وكان للإمام تركي بن عبد الله جهوده للقضاء عليها، وكان انسحاب حاميتين ثرمدا وعنيزة مشجع للإمام تركي لإعادة نشاطه من جديد في مواجهة القوات الغازية ومواجهة القوات التركية وقوات محمد علي في رمضان (١٢٣٨هـ)، واستأنف نشاطه ضد الوجود الأجنبي وضد الحاميات، وبالذات في منفوحة والرياض، وقد قلنا: إن الإمام تسلَّل من الرياض، واتجه إلى الحاير، ومنها إلى المناطق الجنوبية من نجد، والتي كانت بفعل تكويناتها وتضاريسها منطقة مفتوحة، ويتمكن من خلالها الغير الراغبين في الخضوع للنفوذ التركي، أو لا يرغبون العمل والتعاون معهم أن تكون بيئة مناسبة لهروبهم ولجوئهم لهذه المنطقة بصفة عامة، ومن ذلك اتخذ الإمام تركي بن عبدالله هذه المنطقة مكانًا لوجوده أثناء بقاء القوات التركية الأجنبية، حتى إذا انسحبت بعض هذه القوات؛ عاد إلى نشاطه مره أخرى، ففي رمضان سنة (١٢٣٨هـ) عاد إلى هذا النشاط، وقدَّم من بلدة الحلوة في منطقة قريبة من الحريق قريبة من جنوب الرياض من منطقة الخرج، وقدم منها بمجموعة من أنصاره، واتجه إلى عرقه القريبة من الرياض بعد أن تمكَّن من جعلها مركزًا لتجمع مؤيديه ومناصريه من الوشم وسدير والمناطق القريبة، ثُم هاجم بهم حاميتي الرياض ومنفوحة، واستطاع خلال عام من هذه الجهود أن يُرغم هاتين الحاميتين على الخروج، فاستسلمت حامية منفوحة في البداية ثُمَّ استسلمت حامية الرياض، واضطرت

الحاميتين الخروج من نجد بصفة نهائيّة في نهاية (١٢٣٩هـ)، وفي مستهل أربعين قضى الإمام تركي على الوجود الأجنبي في نجد، وهذا مؤشر مهم على نجاح الخطوات التي بدأها بهذه الجراءة والسرعة، وهذا أذان له بأن يبدأ جهوده لضم مناطق أخرى قريبة وبعيدة من نجد، واتخذ الإمام تركي من الوشم مقرًا له، حتى إذا ضمن خروج القوات الحامية الموجودة بالرياض، وقد أرسل أحد أعوانه إلى الرياض ليتأكد من خروج الحامية التركية، وضمان عدم وجودها ولضبط الأمور في مدينة الرياض، وعندما ضمن ذلك مكثا في منطقة الوشم شهرًا، ثم توجه للرياض ليستقر بها ويقدم له المؤيدون من أنحاء نجد يبايعونه على الإمامة وعلى الحكم إيذانًا بقيام الدولة السعودية الثانية بعد هذه الجهود.

طبعًا وجود الإمام تركي، ورغبت النجديين في عوده الدولة السعودية ومبايعة الإمام تركي بهذه الصورة السريعة، وبهذا الاطمئنان من قبل النجديين إنما يعود لأمرين مهمين:

الأول: رغبة النجديين في زعامة توحدهم بعد تلك الفترة التي خلت من أيّ زعيم في ظلّ الانقسامات والنزاعات بين عدد من زعماء نجد؛ فوجود شخصية تُوحدهم وتجمع شتاتهم وتحقق لهم الأمن الذي فقدوه أحد المطالب المهمة التي دعت النجديين لسرعة مبايعة الإمام تركي.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى وما وجده أولئك في الإمام تركي من مواصفات الزعامة والقيادة التي أثرت في نفوسهم، وجعلت كثيرًا من زعماء نجد يجدون فيه الشخصية الكفء المؤهلة لتولّي الحكم والخضوع له هذا ساعد الإمام تركي على بدء جهوده ونشاطه لبناء الدولة السعودية من جديد فكانت أولى خطواته هي العمل على توحيد المنطقة الشرقية أو الإحساء، فلم يقوم بهذه الخطوة إلّا بعد فترة متأخرة ضَمِنَ من خلالها خضوع كافة مناطق نجد لنفوذه، فبدأ من الشمال من جبل شمر إلى أقصى الجنوب، وهذه المنطقة أعلنت خضوعها وتبعيتها للإمام تركي، وهذا مؤشر نجاح لينطلق الإمام تركي إلى خارج المنطقة، فقبل عامين من بدأ جهوده لضم الإحساء عاد ابنه الأمير فيصل بن تركي سنة (١٢٤٣هـ)من مصر، وكان الإمام فيصل ابن تركي أحد الأمراء الذين أخذوا إلى مصر بعد استسلام الدرعية، وبعد عودته أصبح الساعد الأيمن لأبيه في توطيد دعائم الدولة، وتوسيع نفوذها وأصبح من الأشخاص الذين اعتمد عليهم والده اعتمادًا كبيرًا، وقبل خروج القوات التركية، ولكن قبل ذلك الجهود التي قام بها ابن معمر لتأسيس دولة، وقلنا من قبل إن بني خالد وهم حكام الإحساء كانوا يتطلعون دائمًا إلى إخضاع منطقة نجد لنفوذهم، وكانوا كثيرًا ما يتدخلون بهذه المنطقة، فوجد بنو خالد من زعماء الإحساء مناصرين لهم، وكثيرًا ما تدخل هؤلاء في منازعات نجد أو بالمعارضة و التي تحدث بين الزعماء المحليين، وهذا يدل على استمرار عداء بني خالد لدولة السعودية من جهة، ولرغبتهم لمد نفوذهم في منطقة نجد من جهة ثانية، ولا غرابة في أن يصل عداؤهم مع الجهود التي قام بها الإمام تركي بن عبد الله في بناء الدولة السعودية وإعادة تأسيسها الى دعمهم للمعارضين، وعملهم على مهاجمة نجد بأي مناسبة تُتاح لهم، وأبرز هذه المحاولات غزو أحد زعمائ بني خالد، وهو محمد بن عريعر وأخوه ماجد لبلدة حرما النجدية، وإذا كان هذا الغزو لم يحقق نجاحًا؛ فأنما يدل على نية مبيتة، ويدل على نظرة زعماء بني خالد للدولة السعودية، ولكن الإمام تركي لم يقف مكتوف اليدين أمام هذا الخطر، وبالتالي أمر باستعدادات قوات الدولة لصدِّ هذه المحاولات والعمل على وقفها ومواجهتها، وفعلًا قامت بين الدولة السعودية وقواتهم العديد من المواجهات وكان أبرزها موقعة السبية التي انتصرت بها القوات السعودية، ولكثرة ما سُبي فيها من الأموال والأنعام والأمتعة سُميت معركة السبية ،وهي خطوة مهمة جدًّا أذنت بدخول الإحساء، فكانت الممهد الذي دعا الإمام تركي إلى أن يُخاطب زعماء الإحساء، والذين رحبوا لانضمامهم للدولة السعودية، ووصول الإمام تركي إلى للإحساء ومحاصرته لزعماء بني خالد في قصر الحكم حتى اضطرهم للاستسلام، وبالتالي أصبحت منطقة الإحساء والقطيف منطقتين خاضعتين للدولة السعودية.

المحاضرة الثالثة عشرة

توقفنا عند جهود الإمام تركي وهي جهود مضنية، قام بها في فترة قصيرة ، فدخول الإحساء كان ممهدًا لدخول منطقة الخليج في نفوذ الدولة، وبالرغم من الوجود البريطاني ونفوذه؛ فقد وقف حائلًا لخضوع المنطقة خضوعًا تامًّا لها، وخاصة في البحرين وعمان إلا أنه كانت التبعية واضحة بتقديم هاتين المنطقتين للزكاة وأموال الصدقات للدولة السعودية، وكان دليلًا على التبعية للدولة بالرغم لم يكن خضوعًا تامًا، ومنطقتا رأس الخيمة وقطر خضعت خضوعًا تامًا للدولة، وبالتالي كانت البحرين منطقة أزعجت كثيرًا الإمام تركي في تدخلها في شؤون الإحساء، وهذا ما استدعى أكثر من مرة أن ترسل الدولة السعودية قواتها لهذه المنطقة للقضاء على تمرد قبيلة، أو مواجهة تهديدًا لحاكم البحرين، وفي ظل هذه الظروف وفي أحد التطورات هي

ذهاب الإمام فيصل بن تركي للقضاء على التمرد لإحدى القبائل، وبالذات في أواخر سنة (١٢٤٩هـ) قام أحد الأمراء من البيت السعودي، وهو الأمير مشاري بن عبد الرحمن، وهو ابن أخت الإمام تركي بن عبد الله قام باستغلال خروج القوات السعودية وخلو منطقة الرياض من أي قوات، وهكذا قام باغتيال خاله تركي بن عبد الله لخلافات بينهما، وكانت نهاية الإمام نهاية مأساويه ، وهو الذي قام بخطوات ناجحة، وجهود جبارة بفترة قصيرة بإعادة توحيد نجد والإحساء، وأهم من كل هذا تمكنه من إجلاء القوات الأجنبية والتركية التابعة لحاكم مصر محمد علي، وقد تمتع بصفات قياديه مهمة، وقلنا أن هذه الصفات هي ما دعت النجديين إلى إعادة مبايعته والرضا والقبول بحكمه وأبرز هذه الصفات: هو شجاعته وحسن تخطيطه وجرأته وما يتسم به من عدل من الصفات القيادية التي حببت الناس فيه بشكل كبير، المهم أن مشاري بن عبد الرحمن قد حرم الدولة من جهود قائد كُفؤ ومهم، احتاجته الدولة في هذه الفترة، وكان الإمام فيصل بن تركي في منطقة الإحساء لتأديب والقضاء على تمرد بعض القبائل، وحين علم باغتيال والده عاد مسرعًا إلى الرياض، وحاصر مشاري بن عبد الرحمن في منطقة الرياض حتى قبض عليه، هذه الخطوة الأولى التي قام بها الأمير فيصل هي بدء جهوده للإمامة وإعادة الدولة، والقضاء على أي تهديد يهدد ماقام بها والده من قبل.

كانت له فترتي حكم هذه الفترة الأولى، والفترة الثانية فيما بعد، ونتحدث في هذه المحاضرة عن فترة حكمه الأولى وهي فترة قصيرة:

واجه كثيرًا من المشكلات لبناء الدولة، ولتثبيت أركان الدولة، وأبرزها منازعته للكثير من الخارجين والمتمردين لمنطقة نجد، والذين استغلوا اضطراب الأوضاع بعد اغتيال الإمام تركي، وأبرز هذه المحاولات كانت في المناطق الجنوبية من نجد في وادي الدواسر تحديدًا، وأيضًا من القبائل، وهذين الأمرين سبَّبا إشكالًا كبيرًا للإمام فيصل في بذل المزيد من الجهود في التمكين للدولة، وتأكيد وجودها، وتدعيم وتثبيت أركانها، وتمكن الإمام فيصل من القضاء على هذه المشكلات، ومحاولة بعض البلدان الخروج من تبعيته، وإخضاع بعض القبائل التي امتنعت عن أداء الزكاة للدولة، وبايعوه جميعًا على السمع والطاعة والتبعية، وأكد تبعية منطقة الإحساء والبحرين لحكمه والخضوع لنفوذه في هذه الفترة، في ظل هذه الظروف وهي سنة (١٢٥٣هـ)، وقام الإمام فيصل في أوائل سنة (١٢٥٢هـ) بتعيين صديقه عبد الله بن رشيد في إمارة جبل شمر، وبهذه الإمارة يكون قد وضع أساس إمارة آل رشيد في منطقة جبل شمر، وهي الإمارة التي أصبح لها فيما بعد دورًا مهمًا في تطورات الأحداث في نجد، ولاحظوا ترابط الأحداث التاريخية، ونجاح تركي بن عبد الله في أخراج القوات الأجنبية، ونجاح ابنه فيصل على القضاء على محاولات التمرد بشكل سريع، فنفوذ محمد علي في شبه الجزيرة، ونجاح الحكام السعوديين في تثبيت وجودهم في الإحساء ومنطقة نجد استدعى بدء جهودهم في مناطق أخرى، وهذا ما يخشاه محمد علي في منطقة الحجاز، فبالتالي أدرك خطورة الدولة الناشئة، وعلى نفوذه في شبه الجزيرة، وقد كان من ضمن جهود محمد علي التي كان يبذلها تمكين نفوذه في منطقة الحجاز ومنطقة عسير، وهذه المناطق كان له قوات تعمل لهذا الغرض فيها؛ فأراد أن يختبر الإمام فيصل من ناحية ولائه وخضوعه؛ فطلب منه مؤن وعتاد مساعدة لقواته في الحجاز وعسير، والإمام فيصل يعرف مدى العلاقة القوية والوطيدة بين الحكام السعوديين وحكام منطقة عسير، وبالذات الذين دعموا الدعوة الإصلاحية في فترة مبكرة، وخصوصا انهم يتحمسون لمبادئ الدعوة الإصلاحية بصفة خاصة، وبالتالي رغب الإمام فيصل بدبلوماسية أن لا يرفض الطلب الذي قدمه له محمد علي، وفي نفس الوقت لا يحقق له ما أراده منه، فأرسل لمحمد علي جملة من الهدايا ولكن محمد علي رفض هذا، وأبى إلا أن يرسل المؤن والعتاد كدليل على خضوعه، وهو ما رفضه الإمام فيصل في أواخر سنة (١٢٥٢هـ)، ونتيجة لهذا الموقف؛ جهز محمد علي حاكم مصر حمله بقيادة إسماعيل بك، ورأي ضرورة أن يصحب هذه الحملة أحد الأمراء السعوديين الذين يمثلون نفوذ محمد علي، وفي نفس الوقت يقنعون السكان المحليين بأن الزعامة لازالت في الأسرة السعودية ولتخضع هذه المنطقة لنفوذ محمد علي في سياسة أراد منها أن يقضي على أي محاولات خروج أو تمرد من الجوانب التي تضعف من نفوذه في المنطقة، وصحيح أنه من الناحية الاسمية كان تأثير الحملة بقيادة وزعامة الأمير خالد بن سعود، ولكنها في واقع الأمر كانت بقيادة إسماعيل بك، الأمير خالد بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود هو أخ للإمام عبد الله آخر حكام الدولة السعودية الأولى، وكما قلت إن محمد علي أراد أن يجعل في مقدمة الحملة أحد الأمراء رغبةً في ضمان ولاء النجديين لحكمه، وهو أحد الأمراء الذين أُخذوا إلى مصر بعد حصار الدرعية وهدمها، هذه الحملة زحفت من المدينة إلى الحناكية، واتجهت إلى الرس، وفيها حاول الإمام فيصل مواجهتها وقاد قواته لمنطقة عنيزة، وخرج منها إلى منطقة رياض الخبراء القريبة من الرس، ولكنه فضل التراجع لمزيد من الاستعدادات، ووجد أن استعداداته غير مناسبة، وتحتاج إلى استكمال، فتراجع إلى عنيزة، ومنها راقب وجود الحملة، وعندما علم أن الحملة كانت على استعدادات وقوات نظاميه كبيرة، وجد أن من الأفضل التراجع إلى الرياض، وعمل على استعدادات جيدة، وللأسف عند وصولة لرياض وجد بأن الأوضاع لم تكن في صالحه، بمعنى أنه السكان المحليين والزعماء وجدوا أن وجود الحملة في منطقة نجد القصيم وفي طريقها إلى منطقة الرياض، وهم لم ينسوا بعد تلك الأوضاع التي نتجت عن حملة إبراهيم باشا والحملة الأخرى التي قادها حسين بك، فكل هذا لازال مؤشرًا على ما

قد يواجهه السكان من أساليب تعذيب، أو هدم لمدينتهم، فخالفوا وجهة نظر الإمام فيصل، الأمر الذي وجد من خلاله الظروف غير مناسبة لبقائه في مدينة الرياض، فخرج من الرياض إلى الإحساء، وسارت الحملة كما خطط لها من الرس إلى عنيزة، ومنها أخضعت كافة بلدان القصيم، ومن القصيم إلى الوشم، وكل منطقة تخضع من دون مقاومة، حتى وصلت الرياض في السابع من شهر صفر سنة (١٢٥٣هـ)؛ فخضعت منطقة القصيم، ومنطقة حائل، ومنطقة الوشم، ومنطقة عالية نجد، ومنطقة الرياض، وشمال الرياض، ومنطقة جنوب نجد، وهي كانت مكانًا للكثير من أنصار الحكم السعودي الذين خرجوا من الرياض، ومناطق نجد، فأولئك الذين لا يرغبون بالتعاون مع جيش محمد علي ولا يرغبون بالخضوع للحملة، يعلمون أن الأمير خالد بن سعود الذي يرافق الحملة إنما هو بالاسم فقط، ولا يملك من النفوذ والشخصية التي تُمكنه من تولِّي الزعامة، فقد كانت المعارضة لنفوذه وحكمه كثيرة ما دعت إلى خروج كثير من المعارضين إلى المناطق الجنوبية من نجد، والدليل على هذا أن الأمير خالد بن سعود بعد وصوله إلى الرياض وجد بأن منطقة جنوبي نجد أصبحت مكانًا للخارجين والمعارضين والرافضين لحكمه ومبايعته، فتوجه لهم بقوات لإخضاعهم بالقوة، ولم يحقق نجاحًا، بل حقق فشلًا ذريعًا بعد هزيمة ساحقة له قرب بلدة الحلوة القريبة من الدلم، والقريبة من الحريق، فعاد منهزمًا بفلول جيشه إلى الرياض، فهذه الهزيمة له كانت مؤشرًا مهمًا للإمام فيصل، وبشائر نصر دعته للتوجه مُسرعًا من الإحساء للخرج، وجعل هذه المنطقة مركزًا للمقاومة، ومركزًا جهوده لاستعادة الدولة، ومواجهة قوات محمد علي وقوات الحملة في الخرج، وفي الخرج اجتمع الإمام فيصل مع الكثير من المؤيدين والأنصار، وسار بهم إلى الرياض، وحاصر الأمير خالد بن سعود في الرياض، وقوات حملة محمد علي، وكادت أن تسقط الرياض للإمام فيصل لولا التعزيزات التي وصلت سريعًا إلى الرياض لدعم المحاصرين داخلها، وبالذات من القبائل التي كانت حول محيط نجد، والخاضعة لقوات الحملة وفي ظل هذا الوضع والتهديد الذي وصل إلى محاصرة خالد بن سعود في الرياض والنجاحات التي حققها الإمام فيصل في المناطق المختلفة حول الرياض دعت محمد علي إلى إعادة النظر في هذا الأمر، وأدرك ضعف موقف خالد ابن سعود، وعدم رغبة السكان المحليين لقيادته والخضوع له، الأمر الذي دعاه إلى أن يعمل على إعادة نفوذه في نجد، خصوصًا وقد بدأ الإمام فيصل محاولات للاتصال بالقوة العثمانية بالعراق والوالي العثماني بالعراق كان على نزاع مع محمد علي بسبب رفضه الخضوع له، فكان هذا النزاع استدعى من الإمام فيصل أن يقوم باتصالٍ مع والي بغداد ليساعده في مواجهة قوات محمد علي في نجد، ووصلت هذه الأخبار إلى محمد علي، وهذا يؤذن بتوسع المقاومة، والأخطار التي تواجه نفوذ محمد علي في نجد، مما دعاه إلى تجهيز حملة وعلى رأسها أمهر قادته العسكريين، وهو خورشد باشا، ووصلت الحملة إلى المدينة، ومن المدينة إلى القصيم، ولم يكن الأمر يحتاج إلى جهود لأخضاع المنطقة لنفوذها، وبالذات وقد وصلت الحملة إلى القصيم وأخضعتها،وفي طريقها للرياض وأود أن أشير إلى نقطه مهمة لها تأثيرها فيما بعد، فإمارة حائل وجبل شمر التي كانت لعبد الله بن رشيد استبدلت بالأمير عيسى بن علي في ظل الحملة السابقة حملة حسين بك، وحملة الأمير خالد بن سعود، وطبعًا خروج عبد الله بن رشيد من حكم حائل استدعى منه أن يعمل على التعاون مع خورشد باشا لإعادته مره أخرى لإمارة حائل، وهذا ماتحقق له الأمر الذي مكَّنه من تثبيت وجوده في إمارة حائل وجبل شمر، وهذا له تأثيرات في التطورات التالية فيما بعد، الحملة وصلت إلى الوشم، وإلى الرياض وحاصرتها واستولت عليها، وكان الإمام فيصل في المناطق الجنوبية يحاول، ولكن للأسف الحملة أكبر من طاقته واستعداداته؛ فدخل في مناوشات معها في منطقة الحاير القريبة منها، ومُنيت قوات الإمام فيصل بهزيمة كبيرة، الأمر الذي اضطر الإمام فيصل في الدخول في مفاوضات مع قائد الحملة، وبالتالي استسلامه وترحيله إلى مصر.هذه هي الفترة الأولى تحديد.

المحاضرة الرابعة عشرة

نواصل الحديث عن تطورات الأحداث التي شهدتها الدولة السعودية في عهدها الثاني، بعد الفترة الأولى لحكم الإمام فيصل أنتهت بإستسلامه لخورشد باشا، وانتقاله لمصر مع جملة من الأمراء السعوديين مع ابنه عبد الله وعدد من إخوانه و أمراء البيت السعودي، وذلك سنة (١٢٥٤هـ)، ثم خضعت بلاد نجد عمومًا التي كانت خاضعة للإمام فيصل بن تركي ومن ذلك منطقة الشرقية و الإحساء والهفوف والقطيف و الخليج ووصول خورشد باشا لتلك المنطقة وانتشار نفوذ محمد علي فيها وهذا يعني أنه يهدد المصالح البريطانيه في الخليج، وسبق أن ذكرنا حرص بريطانيا على نفوذها في الخليج، وعملها الدائم على الدفاع عن تلك المصالح حتى لو أدى الأمر للدخول في نزاع حربي ونلحظ هذا في أكثر من مناسبة بدعم بريطانيا للقوى المحليه سواء كانت في البحرين أو عمان وغيرها؛ لعدم التمكين للنفوذ السعودي في هذه المنطقة عندما يصل ذلك النفوذ لسواحل الخليج، وهذه المصالح باتت مهددةً من قبل محمد علي، الأمر الذي أدى لدفع بريطانيا إلى أن تضغط عليه، وأن يتحول النزاع بين الطرفين إلى أزمة

دوليه بين مصر وبين قوى عالمية في تلك الفترة، وأُرغم نتيجتها محمد علي على أن ينسحب من شبه الجزيرة العربية، وينسحب من بعض المناطق كبلاد الشام، وهذا بموجب معاهدة لندن الموقعة بين الطرفين سنة (١٢٥٦هـ)، وبطبيعة الحال وقف نفوذ محمد علي في هذه المناطق انما يتيح لقوة بريطانيا والقوى الإستعمارية وغيرها أن تثبت وجودها في تلك المنطقة، وأن تحافظ على مصالحها، وهو ماكانت تعمل على تحقيقه، معاهدة لندن تطلبت سحب محمد علي لقواته من شبه الجزيرة العربية وهذا يعني خلو المنطقة من حاميات صغيره أو نحو ذلك، أيضًا وجود القوى العثمانية في بغداد يعني تطلع هذه القوة إلى التدخل في شبه الجزيرة العربية بعد أن ضعفت الدولة العثمانية على الأقل لإثبات وجودها في هذه المنطقة، والمحافظه على ما تبقى لها من مصالح فيها..استسلام الإمام فيصل بن تركي لخورشد باشا، وقلنا من قبل بأنه الحملة التي قادها خورشد باشا كان في معيتها خالد بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود أخو الإمام عبد الله بن سعود الحاكم الأخير من حكام الدولة السعودية الأولى، وطبعًا هذا يعني وجود خالد بن سعود في معية القوات لم يحظى بدعم كبير من السكان والزعماء المحليين، وبالتالي كان وجوده ضعيفًا في هذه المنطقة، وحكمه لنجد سيواجه بالكثير من المعارضين، والذين يُعارضون حكم محمد علي، والتدخل الخارجي، ومن خلال هذه الخلفية لم يستمر حكم خالد بن سعود أكثر من عام، حتى ثار عليه أحد أمراء البيت السعودي ويدعى عبد الله بن ثنيان آل سعود، فقام بنزع الرياض وماحولها من الأمير خالد بن سعود والذي اضطر إلى مغادرتها إلى الإحساء، ثم إلى الكويت، ثم إلى القصيم، ومنها إلى مكة المكرمة، في محاولات لاستعادة هذا النفوذ، وعُرف عن عبد الله بن ثنيان بعدم رغبته في الوجود الأجنبي في شبه الجزيرة أو بصلابته وحزمه في هذا الجانب، وتلك الحاميات الصغيرة التي كانت مع خالد بن سعود تركتها حملة محمد علي في هذه المنطقة، وقد تمكن عبد الله بن ثنيان من أن يقضي على هذا التواجد الأجنبي بصفة نهائية، ومن جهة ثانية بعد أن استولى عبد الله بن ثنيان على الرياض؛ قدمت إليه الوفود والكثير من الأنصار والكثير من المؤيدين مُعلنين ولائهم لهذا الأمير الذي كانت سياسته هي الوقوف ضد الوجود الأجنبي، وكثير من الزعماء المحليين يتطلعون لمثل هذا الأمر، فالأمير خالد بن سعود خرج من الإحساء، وبعد أن علم عبد الله بن ثنيان بخروجه من الإحساء بعث بفرقة واستطاعت أن تستولي عليها بسهولة؛ لأن المنطقة كانت تتطلع إلى وجود حاكم من الأسرة السعودية والتي كانت ضمن مناطق نفوذ الدولة السعودية حتى عهد قريب وهو عهد الإمام فيصل بن تركي، عيَّن الأمير عبد الله أميرًا على الإحساء، والقطيف، وتمكَّن من ترتيب أوضاعها، وما أن عاد عبد الله بن ثنيان للرياض حتى واجهته مشكلة ، تتمثل في عودة الإمام فيصل بن تركي من منفاه في مصر إلى نجد، ومهما كانت الأسباب أو الظروف التي أدت بالإمام فيصل بن تركي وتمكنه من الفرار من مصر إلى نجد، فالمهم بأنه وصل لجبل شمر وهو يقع في المنطقة الشمالية من نجد والوصول إليه أسهل، خصوصًا وأن منطقة نجد ومنطقة الرياض كانت تحت حكم الأمير عبد الله بن ثنيان، فأراد الإمام فيصل بن تركي أن يذهب إلى حائل لوجود الأمير عبد الله بن رشيد، وسبق أن ذكرت بأن عبدالله بن رشيد كان أمير هذه المنطقة، وكان أحد القادة المخلصين للإمام تركي بن عبد الله، ومن بعده ابنه الإمام فيصل بن تركي، فوصول الإمام بعد فراره من مصر وكان صديقًا لأمير جبل شمر، وبالتالي لابد أن يحظى بدعمه ومساعدته وهذا ما تحقق، للإمام فيصل، فكتب إلى زعماء المنطقة يخبرهم بوصوله إلى نجد، ويطلب منهم الانضمام إليه، وبالرغم من محاولات عبد الله بن ثنيان في مواجهة الإمام فيصل لكن كان موقفه ضعيفًا، لقناعة سكان المنطقة ومعظم زعمائها بحكم وإمامة الإمام فيصل ورغبتهم في عودة الحكم إليه ولاشك بأنه كانت عناصر ضعف في موقف الأمير عبد الله بن ثنيان، وبالتالي رغم محاولته الوصول إلى القصيم ومواجهة الإمام فيصل بن تركي إلا أن موقفه كان ضعيفًا مما استدعى عودته إلى الرياض، فخضعت منطقة القصيم للإمام فيصل ومنها اتجه إلى الرياض، ودخلها وحاصر الأمير عبد الله بن ثنيان مدة ثلاثة أسابيع حتى ضيَّق عليه الخناق، وأمكن من القبض عليه، وسجنه وعادت فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الثانية، والتي استمرت لفترة (٢٣) سنة، يعني معظمها فاستدعى من الإمام فيصل العمل على تثبيت الحكم، والقضاء على المشاكل الداخلية التي هددت هذا الوجود، وقضى الإمام فيصل معظم هذه السنوات في هذا السبيل أو في خطوات تمكين وتثبيت حكمه لنجد ومنطقة الإحساء بعد وصول واستيلاء الإمام فيصل على الرياض قدمت إليه الوفود من كافة أنحاء البلاد النجدية معلنة الولاء لحكمه، والخضوع لإمامته، ثم بعد فترة بسيطة أرسل قوة إلى الإحساء ومنطقة الخليج لتثبيت الوجود السعودي في هذه المنطقة، وزعماء المنطقة طلبوا من الإمام فيصل بن تركي استعادة الحكم في هذه المنطقة، وبالفعل أمكن له ذلك، ورتب الأمر فيها بتعيينه أميرًا في الإحساء، وأميرًا في القطيف، وبث نفوذه في منطقة الخليج بالذات في منطقة رأس الخيمة وقطر، أما البحرين وعمان فقد شهدتا بعض التقلب والمعارضة في حين، والموافقة في حين أخر، ولم تكن أوضاع الدولة السعودية في هاتين المنطقتين ثابتة بشكل نهائي لطبيعة هاتين المنطقتين بحكم كونهما من مناطق النفوذ البريطاني، وحرص بريطانيا على عدم خضوعهما خضوع تامًا للحكم السعودي، الأمام فيصل في هذه الفترة واجه مشكلتين:

المشكلة الأولى هي مشكلة قبيلة العجمان

والمشكلة الثانية هي مشكلة القصيم أو أهل منطقة القصيم

تبرز مشكلة قبائل العجمان في تمردهم وقد واجه الأمام فيصل عدة مشكلات وهذه هي ابرزها وذكرنا أنه قضى وقت طويل سعيا وراء تثبيت دعائم حكمه والحكم السعودي في الاحساء والخليج والظاهرة التي استدعت منه هذا الأمر هي قبيلة العجمان الذين شكلوا مشكلة للإمام فيصل، وأخذت منه هذه المشكلة وقتًا طويلًا في حلها والقضاء عليها، وبرزت المشكلة في عدم خضوع هذه القبائل للإمام فيصل وخروجها عن تبعيته من جهة، وعدم خضوعها والقيام بالإخلال بالأمن والاضطراب والغزو وما يتصل بهذه الأوضاع التي تستدعي تدخلًا مباشرًا وبالذات حين تطورت هذه الأوضاع بتعرض قوافل الحجاج القادمين من الخليج والعراق إلى مكة المكرمة، ومهاجمتها وبعض المدن جنوب العراق مما استدعى من الإمام فيصل أن يعمل على القضاء على هذه المشكلة ، وبالذات عندما أدت اعتداءتها لتعرض موقفه للخطر، وأدى لتدخل أطراف أخرى خاصة في منطقة العراق ومنطقة الحجاز، وبالتالي لأهمية القضاء على هذا التمرد، وهذه الاعتداءات قاد الإمام فيصل العديد من الغزوات ضد هذه المنطقة، وهاجمها أكثر من مرة، بالرغم أنها حظيت بمساعدات من خارج المنطقة، وبالذات من قبائل جنوب العراق إلا أن الإمام فيصل وبسبب إصراره وحزمه في حل هذه المشكلة تمكن في أكثر من معركة من أن ينتصر على هذه القبيلة وتجمعاتها، وبالذات المناطق الشمالية الشرقية، وكانت معركة الجهراء في الكويت أبرز هذه المعارك، والتي قتل فيها عدد كبير من أفراد هذه القبيلة، وأخضعهم بعد ذلك لحكمه والتبعية له، والمشكلة الأخرى مشكلة القصيم، وهي مشكلة في معظمها لتدخل قوى خارجية أو من ذوو الطموح في المنطقة، وأبرزهم عبد الله بن رشيد والأشراف، والواقع بأن التدخل هنا قد أطال من استمرار هذه المشكلة، بالرغم تفاهة بعض الأحداث المسببة لها في مناطق حمى أو الاستيلاء ونهب بعض الأغنام والإبل، هذه المشكلة أخذت من الإمام فيصل وقتًا طويلًا، وكلفته الكثير من الإمكانات والجهود لقاء حلها والقضاء عليها، فالمهم أن هذه المشكلة قد انتهت بخضوع منطقة القصيم، وبرغم حدوث عدد من المعارك التي حدثت بين جانبين، وكان أبرزها بين الإمام فيصل وبين أهل القصيم معركة اليتيمة التي حدثت عام (١٢٦٥هـ)، وانتصر فيها الإمام فيصل على أهل القصيم، والمعركتين الأخريين أحدهما معركة رواق بين أهل عنيزة وبين الإمام فيصل وانتصر فيها أهل عنيزة، والمعركه الثانية معركة كون المطر، والتي كانت بين أهل عنيزة وبين الإمام فيصل، وهُزم فيها أهل عنيزة التي كانت في سنة (١٢٧٨هـ)، وما بين المعركة الأولى والثانية من وقت مما يعني أن أمد هذه المشكلة قد طال واحتاج وقتًا طويلاً من الإمام فيصل للقضاء عليها وإنهاء الإشكالات، وانتهت هذه المشكلة وتطوراتها بخضوع المنطقة للإمام فيصل بن تركي.

المحاضرة الخامسة عشرة

قد أنهيت الحديث عن أبرز مشكلتين واجهتا الإمام في فترة حكمه الثانية: وهي مشكلة العجمان ومشكلة القصيم.

فيتبقى بعضًا التفصيلات عن نفوذ الإمام فيصل في منطقة الخليج، نظرًا لأن الإحساء ومنطقة الخليج دخلت ضمن نفوذ حكم الإمام فيصل، فبالتالي واجه بعض العقبات في هذه المنطقة برغم أنها عقبات لم تؤثر على النفوذ السعودي في هذه المنطقة، ولكنها كانت عقبة من العقبات التي لم تؤدِ إلى خضوع هذه المنطقة خضوعًا تامًا، ذكرت من قبل أن منطقة قطر ورأس الخيمه دخلت تحت نفوذ الدولة، ومنطقتي البحرين ومنطقة عمان نظرًا لوجود المصالح البريطانية فيهما قد أدَّى إلى أن تقف بريطانيا موقفًا ليس عدائيًا بشكل واضح ولكنه منع من خضوع المنطقتين خضوعًا مباشرًا للدولة السعودية، وإذا ارتضت بريطانيا من أن يدفع حكام المنطقتين الزكاة والصدقات للدولة السعودية، ولكن لم يكن أبعد من هذا التطور في نفوذ الدولة السعودية، والإمام فيصل عليهما، وحرص بريطانيا على مصالحها في هذه المنطقة تبقى موقف الإمام فيصل من الدولة العثمانية، وهو موقف ودي، نظرًا لإدراك الإمام فيصل لقوة الدولة العثمانية من جهة، وأن مُعاداتها سيؤدي إلى مشكلة كما حدث من قبل مع سلفه من الحكام السعوديين من مواجهة حملات محمد علي، وأيضًا محاولات والي بغداد من إرسال عدد من الحملات في منطقة الإحساء والسيطرة عليها، كان من صالح الإمام فيصل أن يحتفظ بعلاقات ودية، وإن لم تكن علاقات قوية، وإن كانت بعض المصادر تذكر بأنه قد خضع اسميًا، وأعلن تبعيته للدولة العثمانية وأنه دفع لها مبلغًا من المال على شكل رمزي دليل على التبعية لهذه الدولة، فهذا ما يتصل بالدولة العثمانية أما منطقة الخليج وبريطانيا ذكرنا أنه من مصلحة بريطانيا أن لا يستولي على هذه المنطقة، أو تقع تحت نفوذ دولة قوية، وموقف بريطانيا من محمد علي وانتشار نفوذه في المنطقة، وما تسبب له ذلك من حدوث أزمة دولية، وانتهت بتقليص نفوذه في منطقة كبيرة من بلاد الشام وشبه الجزيرة وغيره، هذا الموقف من بريطانيا حماية لمصالحها

في الخليج، ولم تكن تسر عندما تعلم بأن قوة مثل الدولة السعودية يصل نفوذها إلى هذه المنطقة مما يهدد مصالحها، فوقفت حائلًا دون توسع هذا النفوذ من جهة، وكذلك كنوع من الاتفاقية غير الموقعة، وكما يقولون اتفاق شفهي، أو اتفاق عرفي، فيما يرتبط بأن بريطانيا ارتضت أن يصل النفوذ السعودي إلى هذه المنطقة دون أن يهدد المصالح البريطانية، وبالتالي حافظ الطرفان على هذه العلاقة، وهذا الوضع بالرغم من أن الإمام فيصل قد أرسل لبريطانيا حرصه على وجود علاقة جيدة بينهما، واقتناع بريطانيا على استمرار هذا الوضع وفي نفس الوقت استدعي هذا عدم تدخلها في الشوؤن الداخلية لمنطقة الإحساء أو مساعدتها للمعارضين للإمام فيصل فهذا ما يتصل بفترة حكم الإمام فيصل الثانية، وهي الفترة التي أنتهت بوفاته في شهر رجب سنة (١٢٨٢هـ)، الفترة التالية وحتى نهاية عهد الدولة التي امتدت من سنة (١٢٨٢هـ حتى ١٣٠٩هـ) كانت أسوء فترة من فترات الحكم السعودي كونها قد أتسمت بنزاع بين أمراء البيت السعودي على الحكم، لن ندخل في التفصيلات ولكن ينبغي الإشارة إلى أغلب سمات هذه الفترة رغبة للإيجاز من جهة، وتركيزًا على أبرز العناصر في هذه الفترة، وكما قلت النزاع على الحكم حدث بين أبناء الإمام فيصل بن تركي، وبالذات أبرز شخصيتين هما الإمام عبد الله بن فيصل وأخيه سعود بن فيصل، ثم بين أبنائه وبين عمهم الإمام عبد الله، واستمر هذا النزاع مدة (٢٧) سنة أي من بعد وفاة الإمام فيصل من سنة (١٢٨٢هـ حتى سنة ١٣٠٩هـ)، وكانت آخر المعارك التي شهدتها هي المعركه التي كان يقودها الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي والد الملك عبد العزيز في معركة حريملاء مع ابن رشيد التي انتهت بهزيمة الإمام، وكانت آخر أحداث الدولة السعودية في عهدها الثاني، وأبرز المحطات التي شهدها هذا النزاع هو تدخل القوة الخارجية وهي الدولة العثمانية، وأيضًا محمد علي وبريطانيا، والقوى المحلية الأشراف وابن رشيد، وتجمعت هذه العوامل وأججت من هذا النزاع بين أبناء الإمام فيصل بن تركي، وإضافة إلى عنصر مهم جدًّا، وهو تشجيع القبائل لهذا النزاع، ودعمهم لهذا الأمير على حساب الأمير الأخر، والأمر الذي أدَّى الى تدخل أولئك الزعماء الطامحين طموحًا ماديًّا أو سياسيًّا، إلى تأجيج الصراع، وإطالة مدته التي شارفت على (٢٧) سنة، وانتهى نهاية مؤسفة وهي انتهاء الدولة السعودية الثانية، وكأنها إرهاصات أو خطوات جديده لمحاولات لإستعادة هذا الحكم، وهي التي قام بها الملك عبد العزيز في جهوده لتوحيد البلاد مرة أخرى هذه أبرز الموضوعات الخاصة بتاريخ السعودية في عهدها الثاني.

أبرز الملامح الحضارية لهذه الدولة والدولة الثانية لا تخرج بعيدًا عما كان عليه الحال في الدولة السعودية الأولى وهي:

. ما يتصل بارتباط زعماء الدولة السعودية في عهدها الثاني بالدعوة الإصلاحية التي كانت أساسَ قيام الدولة السعودية في عهدها الأول، وكانت ركيزه اعتمد عليها حكام الدولة السعودية في عهدها الثاني في تثبيتهم الحكم ومطالبتهم به وحرصهم على استمراره لما فيه اقتضاء المصلحة من استمرار الدعوة الإصلاحية والقضاء على مظاهر التشتت والتخلف، وفي نفس الوقت المحافظة على العقيدة ومواجهة ما تعترضه أو ينال منها .

. النظام العسكري في العهد الثاني يكاد يكون مشابه لحد كبير لما كان عليه الحال في العهد الأول، سواء ما يتعلق في قيادة الجيش من تكوينه أو استعداداته أو الإنفاق عليه، وقلنا من قبل بأن كل منطقة وأمير سواء كان في البادية أو الحاضرة مسئول عن مجموعته يتولى الإنفاق عليهم، ويتولى تأمين احتياجاتهم من المؤن والعتاد، وهولاء يشتركون ضمن القيادة العُليا للجيش كفئة من فئاته حتى إذا انتهت المعارك، والغزوات عاد كلٌ لمنطقته ليكون وضعه طبيعيًا مثل قبل..

بالنسبة للنظام المالي لم يختلف عما كان عليه في الدولة الأولى وخصوصًا في مصادر الدخل ومصادر الإنفاق.

بالنسبه للناحيه العلمية ظلت جيدة وتطورت إلى حد معقول وارتبط هذا التطور بتشجيع أئمة الدولة السعودية وخصوصًا الإمامين تركي بن عبد الله، وفيصل بن تركي لجوانب مختلفة من هذا النشاط بتشجيع العلماء وطلاب العلم وتهيئة الأماكن المناسبة لهم والصرف عليهم وبذل الأوقاف عليهم، وهي شجعت النشاط في هذا الجانب إضافة إلى مسألة تركيز العلم، وكما في الدولة الأولى استمر التركيز على العلوم الشرعية، وبالذات التوحيد وما يتصل بالفقه تحديدًا لمسائل القضاء والملفت للانتباه هنا في مسألة العلوم، وكذلك النشاط الذي حظيت به اللغة العربية من اهتمام أكثر مما كان عليه في العهد الأول، واتسم هذا بظهور العديد من (الكتابات سواء كانت نثرية أو شعرية)، أو ظهور (الشعر العامي) في نجد، فذلك التطور الذي يدل على ازدهار واضح لهذه الحياة الاجتماعية وفي نفس الوقت الاهتمام الاجتماعي بهذا النمط من الشعر، وهو نمط حفظ لنا الكثير من الصور وتطورات الاجتماعية والسياسية وخصوصًا ما خلفه أولئك الشعراء من قصائد ودواوين أسهمت في توضيح جوانب الحياة الاجتماعية.

المحاضرة السادسة عشرة

تاريخ الدولة السعودية في المرحلة التي بدأ فيها عبد العزيز بن عبد الرحمن في استعادة الحكم السعودي، وتوحيد البلاد. موضوعات هذه الفترة، وأبرز المصادر والمراجع:

-كتاب عقد الدرر بما وقع من حوادث في القرن الثالث عشر لابن عيسى إبراهيم بن صالح

-كتاب تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق لأبن بسام

-عبد القادر محمد بن عبدالله كتاب تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء بالقديم والجديد

-مقبل بن عبد العزيز الذكير له مسودة للتاريخ وليس له عنوان

-القاضي إبراهيم بن المحمد القاضي له كتاب تاريخ القاضي

-ابن عبيد إبراهيم ابن عبيد آل عبد المحسن له كتاب تذكرة أولي النهى والعرفان بإيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان

-سعود ابن هذلول له كتاب تاريخ ملوك آل سعود

-وأهمها كتاب خير الدين الزكري شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز

-أمين الريحاني كتاب تاريخ نجد وملحقاتها

-السباعي أحمد له كتاب تاريخ مكة المكرمة

-إبراهيم بن عويض العتيبي كتاب خير من بحث في تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز

-فؤاد حمزة له كتاب البلاد العربية السعودية

-عبدالله العثيمين له كتاب تاريخ المملكة العربية السعودية

-محمد المانع له كتاب توحيد المملكة العربية السعودية

بالنسبة لهذه الفترة سنضطر الحديث عنها بإلمامه سريعة وبإيجاز سريع عن الأوضاع التي في الفترة الانتقالية بين نهاية الدولة في عهدها الثاني وبين بدء الملك عبد العزيز بجهود لتوحيد الدولة، عند انتهاء الدولة السعودية في عهدها الثاني، وقدكان على رأسها الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود والد الملك عبد العزيز فكيف وصل الإمام تركي إلى الحكم ؟!..

في مرحلة من مراحل النزاع، الذي احتدم بين أبناء الإمام فيصل بن تركي، وبالذات بين الإمام عبد الله وبين أخيه الأمير سعود، ثم بعد ذلك بين أبناء الأمير سعود في سنة (١٢٨٨هـ)، وأيضًا إن والي العراق جهز جيشًا بقيادة (نافذ باشا) للاستيلاء على الإحساء، وكانت وقتها خاضعة للأمير سعود، فأراد الأمير سعود مفاوضة الوالي العثماني، فأرسل له أخاه الأمير عبد الرحمن بن فيصل والد الملك عبد العزيز إلى بغداد على الانسحاب من الإحساء، وكان هدف الحملة: هو الاستيلاء على الإحساء إلا أنه لم يبدِ أي استعداد لهذا التفاوض؛ لأنه قد أبقى الأمير عبد الرحمن رهينة عنده في بغداد في سنة (١٢٩١هـ) استطاع الأمير عبد الرحمن مغادرة العراق، ووصل إلى البحرين، ومنها وصل إلى ميناء العقير ميناء الإحساء البحري على الخليج العربي، واستطاع من هناك مقاومة الحامية العثمانية، لكن امدادت عسكرية وصلت إلى الحامية، فاضطر الأمير عبد الرحمن إلى الانسحاب والتوجه إلى الرياض بعد وصوله للرياض بقليل توفي أخوه الأمير سعود، وبالتالي حلَّ الأمير عبد الرحمن محله في الحكم وكان مقتنعاً بعدم جدوى النزاع بين أبناء الأسرة وبضرورة الإصلاح، وبضرورة إنهاء مثل هذا الوضع الغير الطبيعي، فحاول إقناع أبناء أخيه الأمير سعود مع عمهم ولكنهم رفضوا، ولم يُكتبْ لهذه المحاولات النجاح، ففضل الإمام عبد الرحمن التنازل عن الحكم للإمام عبد الله، وذلك سنة (١٢٩٣هـ)، وكان موقف محمد ابن عبد الله بن رشيد، وسآتي بالحديث بإيجاز لوصوله للحكم لضرورة تواصل معلومات أو لضرورة معرفة الخلفية التي انطلق منها محمد بن عبد الله بن رشيد في حكمه لإمارة جبل شمر، وهي إمارة حائل، وكان محمد بن عبد الله بن رشيد قد تحالف مع أمير بريدة الأمير حسن بن مهنا أبا الخيل، وأخذا يهاجمان المناطق النجدية التابعة للإمام عبد الله، والذي كان موقفه ضعيفًا خصوصًا بعد أن حلَّت به هزيمة في(معركة أم العصافير) سنة (١٣٠١)، قرب المجمعة وأدَّت هذه إلى انتشار نفوذ ابن رشيد في المجمعة ومنطقة المحمل والشعيب وسدير، وبعد (معركة أم العصافير) تفاوض ابن رشيد مع الإمام عبد الله واتفقا على أن يكون للإمام عبد الله منطقة العارض والتشعيب والمحمل والوشم وغير ذلك باستثناء المجمعة وأن تبقى الأوضاع كما هي في المناطق الجنوبية خاضعة للإمام عبد الله والمناطق الشمالية تابعة لابن رشيد، واضطر الإمام عبد الله للقبول بهذا الصلح نظرًا لحاجته للاستعداد ولاكتساب مزيدًا من الوقت حتى يتمكن من تقوية موقفه بعد هذه المعركة، أبناء الأمير سعود بن فيصل استغلوا هزيمة عمهم في أم العصافير، فأغرتهم هذه النتيجة بدخول الرياض، والقبض على عمهم، والاستيلاء على مقاليد الحكم فيها وذلك سنة (١٣٠٥هـ)، طبعًا ابن رشيد ولأن تطور الأوضاع في الرياض يعمل لصالحه، وبهدف توسيع دائرة نفوذه في منطقة العارض، ومنطقة نجد توجه إلى الرياض مُظهرًا مساعدة الإمام الشرعي، أو الدفاع عن الإمام الشرعي الإمام عبد الله، وعند وصوله خرج إليه نفر من زعمائه الذين اتفقوا معه على أن يخرج أبناء الأمير سعود إلى الأجزاء الجنوبية من نجد

إلى منطقة الخرج، وأن يدخل الرياض بدون قتال، وعند دخولها أخرج الإمام عبد الله من سجنه، وعيَّن أحد أتباعه ويُدعى سالم بن سبهان أميرًا على الرياض، وعاد إلى حائل وبصحبته الإمام عبد الله وأخوه الإمام عبد الرحمن، بذلك أصبحت الرياض تحت نفوذ ابن رشيد، مما يعني إنه معظم مناطق نجد قد أصبحت خاضعة لابن رشيد في سنة (١٣٠٧هـ) أذن ابن رشيد للإمام عبد الله ولأخيه الإمام عبد الرحمن بالعودة إلى الرياض، وبعد يومين من وصولهما كان الإمام عبد الله مريضًا، بعد يومين من وصوله إلى الرياض توفَّاه الله أبدت التطورات بعد هذا إلى أن يحدث إشكال بين أمير الرياض من قبل ابن رشيد سالم بن سبهان، وبيَّن الإمام عبد الرحمن ما دعا الإمام عبد الرحمن إلى العمل والخروج عليه، والقبض عليه وإيداعه السجن، وهذا استدعى من ابن رشيد أن يتدخل ويجهز جيشًا سار به إلى الرياض ومحاصرتها وقطع كثيرًا من نخيلها، واضطر الإمام عبد الرحمن إلى أن يخرج له وفدًا لمفاوضته، وكان برئاسة هذا الوفد الأمير محمد بن فيصل أخو الأمير عبد الرحمن، وبمعيته بن أخيه الأمير عبد العزيز وهو (الملك عبد العزيز) انتهت هذه المفاوضة باتفاق الطرفين على أن يكون للإمام عبد الرحمن منطقة العارض، ومنطقة الخرج والأجزاء الجنوبية من نجد وأن يكون لابن رشيد منطقة شمال نجد بدء من المجمعة والقصيم وغيرها..وبالتالي بدأ يعمل على هذا الوضع خصوصًا وأن نفوذه في منطقة القصيم لم يكتمل بعد، وبالتالي كان هذا الصلح فرصة لابن رشيد لتمكين نفوذه في القصيم، وفعلًا لم يمضِ شهرًا من عودته إلى قاعدة حكمه في حائل إلا وقد استعد للخروج للقصيم لإخضاعه، والنتائج قد تدل على تفاصيل العداء الذي كان بين الطرفين، وبالتحديد بين أهل القصيم، (أهل عنيزة) وغيرها من المناطق والجهات الغير راغبة بالخضوع لابن رشيد باستثناء بريدة، وبالتالي كان على ابن رشيد أن يخضع هذه المناطق، وبالذات كان التعاون والتحالف بين إمارة بريدة، وإن كان أهل بريدة بذات غير راغبين في هذا التعاون بين أميرهم وبين ابن رشيد، فالمهم بأن التطورات أدت إلى نزاع أهل بريدة مع ابن رشيد وخروجهم على أمير بريدة لتعاونه مع ابن رشيد الأمر الذي أدَّى إلى إخراجهم للأمير، ثم تطور الأمر إلى أن يتفق أهل بريدة مع بقية أهل القصيم لمعادات ابن رشيد والعمل على الخروج عليه، أو على الأقل الثورة ضده تجمع الطرفان، والتقيا في القرعة، شمالي القصيم في منطقة المليداء قريبة من منطقة عيون الجواء، وحقق أهل القصيم في البداية انتصارًا ولكن ابن رشيد لرغبته في أن تكون منطقة مفتوحة ومنطقة كرٍ وفرٍ توجه إلى المليداء والتقى الطرفان وحدثت معركة حاسمة انتهت بهزيمة أهل القصيم، وخضوعها لابن رشيد، سنة (١٣٠٨هـ)، طبعًا هذه المعلومات تدلنا على أمرين أمر يرتبط بالإمام عبد الرحمن، وأمر يرتبط بما بلغه ابن رشيد من نفوذ في نجد، وإدخاله منطقة القصيم المنطقة الحيوية والمنطقة المهمة جغرافيًّا وزراعيًّا واستراتجيًّا لنفوذه، الأمر الذي أتاح لابن رشيد أن يتوسع في هذا النفوذ، وأن لا تكون هناك منطقة فاصلة بين نفوذه في الرياض والعارض وبين نفوذه في منطقة حائل، وبالتحديد أو بشكل عام كونه قضى على هذه المنطقة وأخضعها لنفوذه، مما يزيد من تثبيت أركان دولته وفي نفس الوقت السعي بالتوسع في نفوذه بمناطق أخرى..علم الإمام عبد الرحمن بتطورات الأحداث بين أهل القصيم وابن رشيد، والواقع أن أهل القصيم استنجدوا بالإمام عبد الرحمن، لكنه تأخر في إنجادهم ووصوله بعد انتهاء المعركة بهزيمة أهل القصيم، مما استدعى عدم ضرورة وجوده بالقصيم، فاضطر عائدًا إلى الرياض وابن رشيد استغل هذا التراجع وانتصاره في معركة المليداء، فاتجها إلى الرياض لمحاولة الضغط على الإمام عبد الرحمن الذي وجد بأن موقفه لا يساعده بمواجهة ابن رشيد في هذا الوقت بالذات، فاضطر إلى الخروج ومغادرة الرياض إلى بادية الإحساء وبالتحديد إلى قبيلة العجمان، فتولى أخوه الأمير محمد إمارة الرياض والحكم بالرياض نائبًا عن ابن رشيد.

يتبقى لدينا المرحلة الأخيرة التي استدعت التقاء الإمام عبد الرحمن، بابن رشيد في آخر المعارك، أو آخر محاولة للإمام عبد الرحمن بمعركة حريملاء بينه وبين ابن رشيد، وانتهت بهزيمة الإمام عبد الرحمن، واضطراره إلى الخروج من الرياض إلى بادية الإحساء وإلى العجمان ثم انتقل إلى الكويت، وكان آخر مرحلة في التطورات الأخيرة التي أنهت الدولة السعودية الثاني وهيأت الأوضاع، للملك عبد العزيز لأن يبدأ جهود التوحيد واستعادة الحكم واستعادة ملك آبائه من ابن رشيد هذه هي التطورات، ويتبقى لدينا معلومة بسيطة عن ابن رشيد كنت قد أشرت إلى أن عبد الله بن رشيد (عبد الله بن علي ابن رشيد) كان من أصدقاء قادة السعودية في هذه الفترة، وبعد عودة الإمام فيصل ابن تركي من مصر عيَّن ابن رشيد قائدًا وأميرًا على جبل شمر سنة (١٢٥٩)، واستمر أميرًا على جبل شمر حتى وفاته سنة (١٢٦٣) تولى بعده ابنه طلال الإمارة، ثم تولها أخوه الأمير متعب ونازع الأمير متعب أبناء أخيه طلال (بندر وبدر)، وانتهى الأمر بقتل متعب وتولي بندر إمارة جبل شمر، وكان في ظل هذه الظروف محمد بن عبد الله بن رشيد أخو متعب وأخو عبد الله في الرياض عند الإمام عبد الله بن فيصل، وبعد أن علم بمقتل أخيه متعب غضب غضبًا شديدًا على ابني أخيه، وطلب بندر بن طلال من الإمام فيصل التدخل لحل الإشكال بينهم وبين عمهم، وفعلًا استطاع الإمام عبد الله بالإصلاح بين الطرفين، ولكن كان محمد بن عبد الله بن رشيد يُضمر الانتقام لمقتل أخيه، فقتل ابني أخيه، وقد أوصلته هذه إلى أن يلي إمارة حائل، وبعد وصوله كان الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركي على أشده، فوجد في هذه الظروف فرصة كبيرة وسانحة لتوسيع دائرة نفوذه لتشمل مناطق أخرى غير منطقة جبل شمر..

المحاضرة السابعة عشرة

جهود الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ في بناء الدولة وتوحيدها وفي تأسيسها:

بداية هذه الجهود وتطوراتها لبناء الدولة، وكنا تحدثنا عن التطورات التي وصلتها البلاد في أواخر عهد الدولة السعودية الثانية، ووصول ابن رشيد للحكم ويكاد يكون أبرز خصوم الدولة السعودية، أو ممن كان له أثر كبير في إنهاء الدولة السعودية في عهدها الثاني، وعن الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي وأنه قد استقر في الكويت، وبمعيته الملك عبد العزيز، وسنعطي إلمامة عن الملك عبد العزيز وأبرز ما كان يتمتع به من صفات تدل على مقدرة، وموهبة، وتدل على كثير من الصفات القيادية والشخصية قيادية فذة وعبقرية نادرة التي استطاع من خلال استغلالها ساعدته كثيرًا على توحيد البلاد، و مواطنيها والعمل على بنائها وتحديثها وتطويرها بشكل لم يحدث من قبل.

وُلد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود في الرياض سنة (١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م)، نشأ نشأة مثلما نشأ أفراد الأسرة السعودية وتأدبَ بالآداب المتوارثة التي كان يتوارثها أبناء هذه الأسرة، وإذا علمنا بأن هذه النشأة كانت في أسرة حكم عربية أصيلة في تقاليدها وفي أعرافها وفي ما توارثته من مبادئ، ارتكزت على أساس ديني هدفها مناصرة العقيدة اسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وتنفيذ تعاليم الإسلام، فقد اكتسب مهارات الأسر العربية الحاكمة، مثل: الفروسية، وركوب الخيل، والرماية، والكثير من التقاليد المتوارثة والمتعارف عليها، مثل: الشجاعة، والكرم، والإيباء، وإكرام الضيف، ونصرة الضعيف، وإحقاق الحق، وحب الخير، والعدل، وغير ذلك من الصفات التي نشأت عليها هذه الأسر العربية الحاكمة في التاريخ الإسلامي والعربي،وقد تعلم أصول العقيدة في سن مبكرة، وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، والقراءة والكتابة، وقد وهبه الله ما ساعده على ذلك من ذكاء وفطنة ونبوغ في تعلمه، وما اكتسبه من طبع، وقد أثَّر ذلك في معارفه الشيء الكثير التي أتاحت له توسع أفقه وثقافته في التاريخ والأدب والدين ومعرفة سير الأبطال مماجعله يطلع على التجارب،ويكتسب الخبرات.

وقد تهيأ له من الظروف المحيطة بطفولته ما صقل مواهبه، وأثرى تجاربه، وعمق نظرته للحياة بالذات، وقد تعلم كثيرًا من الدروس والعبر التي رآها وعاصرها من مشاكل الفرقة بين أفراد أسرته، وما كان لها من آثار سلبية على مجتمعه الكبير وعلى مجتمعه الصغير في الأسرة وعلى بلاده، اجتمعت هذه الصفات الذاتية مع مكتسباته وخبراته وتجاربه لتكون شخصية قيادية رائدة وعبقرية فذة وظفها في خدمة دينه وبلاده وأمته وكان نجاحه في توحيد البلاد والسير فيها قدما نحو التحديث والتطوير من أهم نتائج تلك الجهود، فهذا هو الملك عبد العزيز رحمه الله.

وقبل أن أبد بحديثي عن خطواته في توحيد البلاد، ووضع أسس نهضتها الحديثه، بالأوضاع التي كانت عليها البلاد في مختلف مناطقها قبل بدء الملك عبد العزيز بجهود التوحيد، فعندما ننظر إلى الحجاز نجد بأنه كان بيد الأشراف من الناحية الأسمية، ومن الناحية الفعلية بيد الدولة العثمانية، وقد اتسمت هذه الفترة بسمات أبرزها:

كان النزاع دائما بين الأشراف والتنافس مستمر فيما بينهم، وأبرز ظاهرة في هذا هو التتابع للأمراء سريعًا في توليهم للإمارة، وانتهاء عدد غير قليل منهم بالنفي أو القتل أو الإبعاد..فدخلوا في نزاعات مستمرة مع الدولة العثمانية، الأمر الذي أوجد عدم ثقة بين الطرفين، وهذا ما يُفسر كثرة استبدال الدولة العثمانية للأمراء والقبض عليهم، فكما قلت الإمارة بيد الأشراف اسميًّا وكانت الإدارة الفعلية للدولة العثمانية والتي مكنت نفوذها بالعديد من الوظائف والتنظيمات الإدارية التي أضعفت من سلطة الأمراء كان الشريف محمد بن عون أكثر زعماء الأشراف شهرة وولاء للدولة العثمانية، وقد تولَّى شرافة مكة أكثر من مرة، كان آخرها سنة (١٢٧١هـ)، وظلَّ في منصبه حتى وفاته، وبعد ذلك بثلاث سنوات سنة (١٢٧٤هـ) توالى وصول عدد من شخصيات الأشراف إلى سدة الإمارة حتى سنة (١٣٢٦هـ) عندما عَيَّن الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عون شريفًا على مكة وهو الذي قاد بالتعاون مع بريطانيا ما يعرف في التاريخ العربي بـ«الثورة العربية ضد الحكم العثماني»، وهو الذي أدَّى خلافه مع الملك عبد العزيز إلى نهاية حكم الأشراف للحجاز هذا ما يتعلق بالحجاز.

منطقة عسير نجد هذه المنطقة خضعت للنفوذ العثماني أو خاضعة قبل ذلك لقوات محمد علي وحملاته على شبه الجزيرة التي قد بسطت نفوذها عليها، برغم أن المقاومة وزعماء المنطقة استمروا في مقاومتهم طوال بقائها في منطقة عسير، وهذا أدى إلى تحقيق أولئك الزعماء وعلى رأسهم سعيد بن مسلط، وعلي بن مجثل، وعايض بن مرعي، الكثير من النجاحات والانتصارات التي حققوها ضد الوجود العثماني في هذه المنطقة، وبعد وفاة

عايض بن مرعي تولى ابنه محمد مقاليد الأمور في عسير، وصمم على إخراج القوات العثمانية ؛ فقاد عدة محاولات ناجحة للضغط على هذه القوات، مما استدعى من الدولة العثمانية أن ترسل مزيدًا من الإمدادات، والمساعدات العسكرية بقيادة رديف باشا وأحمد مختار باشا تمكنت من إدخال المنطقة بصفة نهائية تحت تبعية وسيطرت العثمانيين، فجعلت هذه المنطقة متصرفية قاعدتها أبها ويتبعها ستة مراكز، واستمرت المقاومة المحلية ضد العثمانيين وقاد علي بن محمد بن عايض عدة محاولات حقق في معظمها انتصارات ضد القوات العثمانية، بعد انسحاب القوات العثمانية بناءً على اتفاقية لندن التي سبق وأن أشرت إليها بين محمد علي وبين الحكومة البريطانية وانسحاب قوات محمد علي من شبه الجزيرة العربية، فاستقل حسن بن علي بن محمد بن عايض بزعامة عسير، أدَّى هذا التطور إلى حدوث خلافات بين الزعمات المحلية، وبين الزعمات في الأقاليم المجاورة حتى دخلت هذه المنطقة تحت نفوذ الملك عبد العزيز والحكم السعودي.

منطقة المخلاف السليماني لم تكن بعيدة عن تطور الأوضاع في منطقة عسير خصوصًا أنها كانت جزء من المناطق التي عملت قوات محمد علي، والحملات العثمانية على إدخالها في التبعية والخضوع لها بعد سقوط الدولة السعودية في عهدها الأول، واستمر النزاع بين زعماء عسير وبين زعماء المخلاف السليماني، وإذا كنتم تذكرون حديثي عن هذه المنطقة وعن تطور الأوضاع فيها حتى خضوعها للدولة السعودية الأولى؛ فقد كان وصول قوات محمد علي إلى هذه المنطقة، وبعد ذلك الحملات العثمانية إيذانًا بوقوعها تحت التبعية للدولة العثمانية، فظلت السلطة بيد العثمانيين حتى فترة متأخرة تمكن فيها السيد أحمد بن علي الإدريسي الذي كان صاحب طريقة صوفية، قدم من المغرب إلى مكة المكرمة، ثم استقر في صبيا سنة (١٢٤٦هـ)، وأخذ ينشر طريقته الصوفية حتى وفاته سنة (١٢٥٣هـ) فعاد إلى المنطقة حفيده محمد بن علي الإدريسي، والذي كان ولد في صبيا (١٢٩٣هـ)، وبدأ نشاطه في هذه المنطقة، وكان نشاطًا دينيًا وسياسيًا، ساعدت الظروف المخلاف الإدريسي على النجاح، وأظهر أنه يعمل لمصلحة الدولة العثمانية، وبالتالي عينته الدولة قائم مقام مما زاد من نفوذه فيها من جنوب القنفذه إلى شمال الحديدة في اليمن، عقد معاهدة حماية مع بريطانيا سنة (١٣٣٣هـ) تعهَّدت فيها بريطانيا بحمايته، واعترفت بسيادته عليها، وتنازلت له عن مناطق من اليمن تحت نفوذه، وبالتطورات في منطقة الحجاز واليمن تحالف مع الملك عبد العزيز سنة (١٣٣٩هـ) لتأمين مركزه ولاستمراره في الحكم حتى وفاته سنة (١٣٤١هـ)، وبالتالي خضوع المنطقة ودخولها تحت نفوذ الملك عبد العزيز.

المنطقة الشرقية ومنطقة الإحساء والقطيف في أثناء نزاع، فكنت قد أشرت إلى وصول حملة تركية بواسطة والي بغداد بقيادة نافذ باشا إلى الإحساء، وتمكنت من بسط سيطرتها على المنطقة سنة (١٢٨٨) ولم يحدث جديد في هذه المنطقة، بل إن الأوضاع فيها قد زادت اضطرابًا، واستمرت المشكلات الأمنية، وأكثر ما يثيرها ويسببها القبائل التي كانت تستوطن المنطقة، وكان الغزو والنهب والاعتداء أبرز سمات هذه المنطقة قبيل ضم الملك عبد العزيز لها فبرزت ظاهره وهي مهاجمة القوافل التجارية، وبالذات البرية، وقوافل الحجيج التي كانت تعبر هذه المنطقة وأصبح المظهر الأكثر تكرارًا وهو قطع الطرق، والإخلال بالأمن، والتعدي على العابرين، فقد ظلت بهذه الأوضاع حتى تمكن الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ من انتزاعها من السيطرة العثمانية أو من الحامية العثمانية سنة (١٣٣١هـ).

نجد كنت قد تحدثت من قبل عن أبرز تطوراتها، فقد كانت نتيجة الصراع بين محمد بن عبد الله بن رشيد، والإمام عبد الرحمن بن فيصل في معركة حريملاء، والتي تغلب ابن رشيد على الإمام عبد الرحمن فيها، وبالتالي بسط نفوذه على نجد، واعترف محمد ابن رشيد بالتبعية لدولة العثمانية، وتعهد لها بالمحافظة على نفوذها في أنحاء نجد خصوصا وأن العلاقة الأسرية كانت قوية بين أسرة ابن رشيد وبين الدولة العثمانية، ولعلكم تذكرون ما قام به عبد الله بن رشيد في أثناء الحملة التي قادها خورشد باشا على نجد سنة (١٢٥٤ هـ) وأصبح بعدها عبد الله بن رشيد أميرًا على منطقة حائل أو بالتحديد تثبيت حكمه لإمارة حائل، وكان العثمانيون يسيطرون على الحجاز والإحساء، ومعلوم أهمية هذه المنطقتين لنجد ولسكانها، وبالتالي كانت منطقة الإحساء والحجاز خاضعتين لنفوذ الدولة العثمانية، وهذا الذي دعى ابن رشيد إلى أن يُشكل حلقة وصل بين المنطقتين وأن يكون في الوسط، للتمكين النفوذ العثماني في هذه المنطقة، وفي نفس الوقت الحصول على دعم الدولة العثمانية بمساعدته في تحقيق طموحه وتوسيع نفوذه في نجد، ظل ابن رشيد محمد بن عبد الله بن رشيد يزداد رسوخًا حتى وفاته سنة (١٣١٥هـ)، فخلفه ابن أخيه عبد العزيز بن متعب، وكان يتصف بالشدة والعنف، وبالظلم والكثير من الأساليب الوحشية التي لم ترقَ لسكان نجد، فنفر النجديين من التبعية له.

المحاضرة الثامنة عشرة

ذكرنا بأن الإمام عبد الرحمن انتقل مع ابنه الملك عبد العزيز وعدد من إخوانه إلى الكويت واستقر بها يرقب الأوضاع، والتطورات في نجد، وأنحاء متفرقة من شبه الجزيرة، وفي هذه الأثناء بعد سنة (١٣٠٩هـ) حدث في الكويت نزاع بين أفراد الأسرة الحاكمة نتج عنه تولي مبارك ابن صباح إمارة الكويت، وحكم البلاد وكان نتيجة لهذه التطورات حدث نزاع بين ابن صباح وابن رشيد وتطور إلى أن قاد مبارك جيشًا نحو نجد لصد تهديد ابن رشيد للكويت في شوال سنة (١٣١٨هـ) وبصحبته الإمام عبد الرحمن وأبنائه عبد العزيز ومحمد وزعماء من نجد والقصيم، ووصل هذا الجيش إلى مكان شمال مدينة الرياض يُدعى (الشوكي) منه انطلق الملك عبد العزيز إلى الرياض في قوة استكشافية بالدرجة الأولى؛ لأنه يُريد أن يرقب الأوضاع، ولمعرفة تطورات الأوضاع عن قرب، ووصل إلى الرياض وحاصر أميرها التابع لابن رشيد في قصر المصمك، وبقية الجيش اتجه إلى القصيم، والتقى بابن رشيد في مكانٍ يُدعى(الصريف) في ذي القعدة من سنة (١٣١٨هـ) وهي معركة كبيرة وللأسف انتهت بانتصار ابن رشيد على خصومه، مما اضطر ابن صباح والجيش إلى الانسحاب إلى الكويت، وسار الإمام عبد الرحمن بن فيصل إلى الرياض ليعلم ابنه عبد العزيز بنتيجة المعركة، وبالتالي سيغادر الملك عبد العزيز المنطقة، ولابد أن أي تطورات أخرى ستكون نتائجها سلبية خصوصًا بعد نتيجة المعركة، وكذا أدرك الملك عبد العزيز أن الأمر يتطلب إعادة النظر، و مزيد من الاستعدادات. وبالتالي عاد أدراجه مع والده الإمام عبد الرحمن إلى الكويت في الكويت بقي الفتى عبد العزيز يرقب وتتحرك في نفسه الآمال وأدرك أهمية التحرك السريع وضرورة تحمل المسئولية لاستعادة حكم أسرته للبلاد، وهذا يستدعي الإلحاح الدائم على والده بالسماح له بالخروج إلى نجد للعمل على تحقيق هذا الأمر الإمام عبد الرحمن مؤقتًا وقف ضد هذه الرغبة، والطموح والتوجه لدى عبد العزيز لتحقيق هذا الهدف، وبالذات بعد معركة (الصريف)، فنتيجة المعركة لا تسمح بالتحرك بهذه السرعة وأن أي عمل عسكري قد يؤدي إلى نتائج سلبية، ومن هنا كان موقف الإمام عبد الرحمن، وبعد إلحاح من الملك عبد العزيز، وقبول لأمير الكويت عمل على إقناع الإمام عبد الرحمن الذي وافق على خروج ابنه الملك عبد العزيز لتحقيق هدفه، وأدرك الملك عبد العزيز بأن الأمر يتطلب خبرة، ومن خلال خبرته وتجاربه السابقة للدخول الرياض ومعرفته بتطورات الأوضاع بمحيطها وبالمناطق الأخرى ومعرفته بالظروف والإمكانات، فأدرك بأن المسئولية جسيمة، وبأن المهمة خطيرة وتحتاج إلى توخي أقصى درجات الحذر والاهتمام والحرص واستراتيجية عسكرية لكي تتخطى الصعاب، والظروف التي يتوقع أن تواجه هذا الهدف أو الجهود التي يسعى من خلالها الملك عبد العزيز لتحقيقها، فالأمر يحتاج إلى شجاعة نادرة، وعبقرية فذة تحقق تلك الاستراتيجية العسكرية التي أراد من خلالها الملك عبد العزيز تحقيق المهمة بأقصر وقت وبأقل الخسائر، كان الملك عبد العزيز في قلب الحدث، وكان هو الشخص المناسب الذي يملك تلك المواهب من جهة، وأن يتعامل معها من جهة أخرى، بسرية تامة خرج الملك عبد العزيز من الكويت بعد أن وافق والده على خروجه مع عدد قليل من أقربائه الذين لم يتجاوز عددهم بضعًا وأربعين رجلًا أي بين الأربعين والخمسين رجلًا، و معهم كمية قليلة من المؤن والسلاح، فتوجه بهم إلى بادية الإحساء وبعد وصوله انضمت إليه فئة من قبيلة العجمان وبعضًا افراد من قبائل أخرى بلغ عددهم تقريبًا الألف، وعلم بأن رشيد بتحركات الملك عبد العزيز، فطلب من الدولة العثمانية بذل الجهود للحد من هذه التحركات والضغط على من مع الملك عبد العزيز لتخلي عنه، نتج عن هذا خوف أفراد القبائل الذين انضموا معه من الملاحقة والعقوبات الاقتصادية، ولحماية مصالحهم ولا يفرض عليهم عقوبات تخلوا عن دعم الملك عبد العزيز مما عاد العدد إلى ما كان عليه أو أكثر بقليل، بعد خروجه من الكويت، حاول الإمام عبد الرحمن بعد أن علم بهذه التطورات أن يثني الملك عبد العزيز عن الاستمرار في محاولاته العسكرية، لكن أبت شجاعة الملك عبد العزيز وإيمانه برسالته وبهدفه إلا الاستمرار في تقدمه، وفي ٢١ رمضان سنة١٣١٩هـ انطلق الملك عبد العزيز بمن معه إلى يبرين المكان الذي كان يستقر فيه في صحراء المنطقة الشرقية عند قبائل العجمان، فاتجه الى الرياض وعندما تجاوز نصف المسافة أعلم صحبه ورفاقه بهدفه وواصل سيره ليلًا وأراح نهارًا حتى كان في ليلة (٢٥) من شوال عند أسوار الرياض، فقسم رجاله إلى ثلاث مجموعات، كانت أسوار الرياض مهدمة والمنطقة مفتوحة من بعض جهاتها، فأبقى قسم من المجموعة:

القسم الأول: خارج الرياض في منطقة النخيل، تبقى عند الإبل حتى الصباح إذا أتاهم خبر وعلم من الملك وإلا على الأفراد أن ينجو بانفسهم.

القسم الثاني: بقيادة الأمير محمد شقيق الملك عبد العزيز، كمنت في إحدى المزارع القريبة من الرياض (على الأسوار) حتى تنتظر أوامر الملك .

القسم الثالث: وهم سبعة رجال رأسهم الملك عبد العزيز وهذه تولت الدخول إلى الرياض، قلت قبل قليل أن الأسوار مهدمة، وهذا العدد القليل لا يلفت انتباه أحد، فسبعة أفراد لا يستدعي الانتباه، لذلك لم يجد الملك عبد العزيز صعوبة في دخول الرياض، والاستقرار في بيتٍ مجاور لعامل ابن رشيد عجلان بن محمد، وعندما اطمئن الملك عبد العزيز بوضعه استدعى أخاه الأمير محمد بمن معه للقدوم إليه، تسلق ليلاً الملك عبد العزيز ورفاقه الستة أسوار بيت عجلان بن محمد، لكنهم لم يجدوه، وأخبرتهم زوجته بأنه لا ينام إلا في قصر المصمك، لعدم اطمئنانه على الأوضاع المحيطة به، ويأتي إلى بيته بعد طلوع الشمس، فالتحق بالملك عبد العزيز المجموعة التي كانت مع أخيه ورتبوا أنفسهم واستعدوا للدخول على ابن عجلان ومن

معه صباح الغد، وانتظروا وصوله حتى إذا كان خارجًا مع باب المصمك، فانقض عليه الملك عبد العزيز، فحاول الهروب نحو المصمك فسبقوة إلى بوابته، وقتلوه مع عدد من اتباعه، واضطر باقي رجاله إلى الاستسلام في ٥شوال الـ(١٥) من يناير (١٣١٩هـ/١٩٠٢ م) نادى المنادي في أنحاء الرياض بأن الملك لله، ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ولتبدأ مع هذا النداء الخطوة الأولى في استعادة الحكم السعودي، وبناء الدولة السعودية الثالثة، والتي نستظل بظله، وننعم بخيره وعطائه في هذا الزمن، فاندفع السكان يبايعون الملك عبد العزيز، عن قناعة وحب وتأييد، وعن معرفة قديمة وخلفية وتجارب سابقة، وما أن استتب الأمر للملك عبد العزيز في الرياض حتى باشر في بناء أسوارها المهدمة، ولم تمضِ خمسة أسابيع إلا وقد شيدت أسوارًا شديدة التحصين لحماية الرياض، أرسل الملك عبد العزيز لوالده ولحاكم الكويت يخبرهما عن تطورات الأمر ويدعوهما إلى إرسال قوة لتثبيت وللعمل على الاستعداد لأي أخطار أو تطورات لاحقة، فوصلته نجدة عاجلة بقيادة أخيه الأمير سعد، وعلم ابن رشيد بتطورات الأوضاع في الرياض ولابد له أن يتحرك، وأن يعمل على تدارك ما يمكن تداركه، وقبل هذا أدت السياسة التي سار عليها ابن رشيد، وهي سياسة البطش والظلم والعنف، وملاحقة المعارضين له وقتلهم والتنكيل بهم إلى كره الناس له، ولسياسته وتطلعهم للخلاص من حكمه، أيضًا ابن رشيد سعى للانتقام من حاكم الكويت والاستيلاء على بلاده نظير إيوائه للامام عبد الرحمن، ودعمه للأسرة السعودية وكان ابن رشيد يتأمل من العثمانين الدعم والمساندة في مواجهة الكويتين، والذين هم حلفاء للبريطانين ووقعوا معهم اتفاقية حماية، فهذه استدعت من ابن رشيد أن يعمل على الانتقام من الكويت، وبعد أن علم عن تطورات الرياض اضطر إلى أن يعود إلى قاعدة حكمه في حائل ليبدأ تجهيز جيشه، واستعداداته لمعالجة هذا التطور الخطير، والمزعج بالنسبة له، الملك عبد العزيز فضل في أن يبدأ في خطوات التوحيد من المناطق الجنوبية للرياض، ونعلم بأن هذه المناطق ذات سمات استدعت هذا التوجه، وأبرز هذه السمات بعدها الجغرافي عن حائل من جهة، ولقربها من الرياض من جهة ثانية، وأن سكانها أكثر ولاء للحكام السعودين، وأكثر معارضة للدولة العثمانية حليفة ابن رشيد أمر آخر بأن هذه المنطقة كانت مأوى لكثير من رافضي الخضوع لدولة العثمانية، وللاستيلاء عليها لموقعها الاستراتيجي والجغرافي المهم، ولكونها منطقة زراعية يعطي بُعدًا عسكريًّا مُهمًّا لتحركات الملك عبد العزيز التالي، وفعلًا لم يحتاج الأمر لوقت كثير من الملك عبد العزيز في تأكيد تبعية هذه المنطقة، ووجد ما توقعه من استجابة له وتعاون معه فدخلت في حكمه مناطق الخرج والأفلاج والحريق والحوطة وأصبح نفوذه يمتد من الرياض وحتى وادي الدواسر، في بداية العام التالي (١٣٢٠هـ) فأراد الملك عبد العزيز استمرار جهوده في توحيد نجد وانطلق إلى عالية نجد المناطق الشمالية الغربية من الرياض، وهي البعيدة نسبيًّا عن ابن رشيد وخارج نفوذه، ومهاجمتها لا تثير كثيرًا ابن رشيد أو تجعل لديه ردة فعل سريعة لمواجهتها، فلابد أن يتحرك ابن رشيد وهو يرى النجاحات التي حققها الملك عبد العزيز والأرضية الصلبة التي ينطلق منها في مقابل الخروج السريع لنفوذ ابن رشيد، فأراد تأكيد ذلك بالعمل على تثبيت ما يمكن تثبيته في المناطق الخاضعة له، في ربيع الأول سنة (١٣٢٠هـ) خرج ابن رشيد من حائل وانضم إليه بعض أتباعه في منطقة القصيم ومنطقة سدير وغيرها.

والخطوات التالية من جهود الملك عبد العزيز بتوحيد نجد وتحديدًا بعد أن بدأ يوسع من هذه الدائرة بضمه مناطق جنوب الرياض، والمناطق الجنوبية من نجد وعالية نجد، يستدعي منه أن يدرك خطورة خصمه وفي نفس الوقت الاستعداد جيدا لأي تحرك مقبل لابن رشيد.

المحاضرة التاسعة عشر

تابع تطورات جهود الملك عبد العزيز في توحيد نجد:

عرفنا نجاحه في ضم المناطق الجنوبية من نجد ومن عالية نجد وهي التي تتسم ببعدها عن نفوذ ابن رشيد، وكان لابن رشيد ردود فعل حول هذه النجاحات، وكان أحدها أنه في ربيع الأول سنة (١٣٢٠هـ) أي بعد عدة أشهر من استعادة الرياض خرج ابن رشيد من حائل وفي طريقه للرياض، وانضم إليه مؤيدوه من القصيم وسدير والوشم والمحمل وغير ذلك من المناطق التي تحت نفوذه واجتمعوا بمنطقة الوشم في رغبة، ثم انتقل إلى الحسي قرب الرياض، وأصيب فيها بوباء كان قد انتشر بنجد ذلك الوقت، ورغبة في خروجه من نجد انتقل إلى الحفر لبعض الوقت.. في الحفر اتصل بقبائل بادية الإحساء لاستمالتهم ولضمهم إلى تبعيته لكنه فشل لأن الملك عبد العزيز سبقه بهذا وكان قد أرسل أخوه الأمير محمد والأمير عبد الله بن جلوي وتمكنا من استقطاب تلك القبائل.. أراد الملك عبد العزيز باستراتيجيته العسكرية أن يستدرج خصمه في مكان مفتوح في وقت ومكان مناسبين له لذلك خرج من الرياض إلى المناطق الجنوبية من نجد، وترك في الرياض قوة تستطيع الدفاع عنها وحمايتها من أي خطر ثم اتجه إلى المناطق

الجنوبية من الرياض إلى حوطة بني تميم، وعندما علم ابن رشيد بخروج الملك، اتجه ابن رشيد للرياض للاستيلاء عليها، لكنه واجه دفاعات قوية استعصت عليه واضطر للانسحاب واتجه للخرج لمواجهة الملك عبد العزيز ونزل قرب بلدة نعجان قرب نجد وبدأ يغير على المناطق القريبة للاستيلاء عليها وصل الملك بقواته التي تبلغ حوالي (٢٠٠٠ فرد)، ودخل نعجان ليلًا دون علم ابن رشيد وعندما أراد ابن رشيد أن يستولي على نعجان والمناطق المحيطة بها وجد تلك الدفاعات القوية والصد الغير المتوقع، فعلم أن الملك قد دخل إلى البلده، فعاد ابن رشيد بعد انسحابه وسار في أثره الملك عبد العزيز وحدثت بين الطرفين مناوشات انتصر فيها الملك وأدرك ابن رشيد أن وضعه لا يساعده على الاستمرار في مواجهة الملك في ظل تلك الظروف، وعرف أن وضعه ضعيف وجيشه مكشوف ففضل الانسحاب خوفًا من هزيمة تقضي عليه، وصل ابن رشيد إلى القصيم، ثم اتجه إلى الحفر متخذًا إياها مركزًا له، وأخذ بمهاجمة بعض القبائل النازله حولها في الشمال، فخاف ابن صباح في الكويت أن يهاجمه ابن رشيد فجأة.. فاستنجد بالملك الذي سار إليه بقوة كبيرة واتجه للحفر لمنازلة خصمه، ولكن علم ابن رشيد بهذا التطور فترك الحفر باتجاه الرياض للاستيلاء عليها مستغلًا خروج الملك منها، ولكن عند وصوله إليها واجه صعوبة دفاعاتها وحصانة أسوارها فاضطر إلى أن ينسحب للقصيم مرة أخرى، يلاحظ التحركات المضطربة لابن رشيد، ولا تعطي آمال لهذه التحركات خصوصا في بعض المناطق القريبة من الرياض مثل الوشم وسدير وهو ما استغله الملك، فثارت شقراء على ابن رشيد وأخرجت حاميته فيها وانتقلت الحامية إلى ثرمداء وأرسل إليهم الملك سرية تساعدهم ضد أي تهديد فهاجمت هذه السرية ثرمداء واستولت عليها في ظل هذا التطور وصل ابن رشيد للوشم محاولة منه لاستمالة أهلها لكنهم لم يستجيبوا له، فحاول إخضاعهم بالقوة واستولى على ثرمداء وجعل فيها حامية، ثم انسحب إلى القصيم، وعاد الملك ووصل إلى الوشم بقواته واستعاد ثرمداء، وبعث بسرية إلى المناطق القريبة من روضة سدير وماحولها نجحت في إخراج حاميات ابن رشيد وفي ضم كافة مناطق سدير باستثناء المجمعة، وتبعه خضوع مناطق أخرى في الوشم وسدير ودخول المحمل والشعيب وهو ما يظهر ميول السكان لحكم الملك عبد العزيز، ونفورهم من حكم ابن رشيد.

وبهذا يكون الملك عبد العزيز حقق نجاحات سريعة في ضم المناطق المحيطة بالرياض، وأبرزها المناطق الجنوبية من نجد ومنطقة الوشم وسدير والقريب منها المحمل والشعيب خاصة.. وعندما ننتقل إلى القصيم نكون لازلنا نتحدث في منطقة نجد، نعرف الأهمية التي تتسم بها منطقة القصيم من ناحيه جغرافيًا وتجاريًا وزراعيًا وسكانيًا عمل الملك على ضم هذه المنطقة بالوقت الذي كان ابن رشيد يحاول بأكثر من طريقة أن تبقى القصيم ضمن نفوذه أو خاضعة له عندما بدأ الملك أولى خطواته التوحيديه كان كثير من زعماء القصيم في مناطق خارجية كالعراق والكويت والشام والخليج..كانوا قد خرجوا من القصيم في ظل التطورات للأوضاع السياسية السابقة في نجد وقت الحملات العثمانية المتتالية من محمد علي التي أدت إلى زوال الدولة السعودية الأولى والثانية، كان من هؤلاء الزعماء خصوصا زعماء بريدة وعنيزة، وهم الذين استقروا تحديدًا في الكويت فرارًا من ملاحقة ابن رشيد ومن بطشه وسياسته التي كانت احد الأسباب التي سعى الملك لأن يُحقق أكثر من غرض بهذه الوسيلة فأراد أن يحقق هدفه في ضم القصيم من جهة وعودة أبناء المنطقة إليها فائده لها أكبر من وجودهم خارجها وبالتالي راسل زعماء القصيم وشجعهم للتوجه إليه ليعملوا جميعا لتخليص القصيم من حكم ابن رشيد، وأولئك الزعماء وغيرهم من سكان القصيم يتمنون العودة لبلادهم ووجدوا هذه الفرصة في دعوة الملك فتوجهوا مع من انضم إليهم من المؤيدين للملك عبد العزيز الذي كان في طريقه للقصيم والتقوا معه في الزلفي في رمضان سنة (١٣٢١هـ) كانت تلك السنة سنة قحط، وكان لا يتوفر للملك عبد العزيز من الإبل والخيل إلا عدد قليل ومحدود ووجد بأنه ليس من المصلحة الاستعجال في مواجهة ابن رشيد في ظل تلك الظروف فعاد إلى الرياض وطلب توجه من معه من زعماء القصيم للوشم.. ابن رشيد لمعرفته بأهمية القصيم وضرورة المحافظة عليها، وبالذات في مواجهة خصومته مع الملك عبد العزيز عمل على التقرب من أهل القصيم وترتيب أوضاعها وتقوية دفاعاتها والعمل على جذبهم واستمالتهم بشتى الطرق في نفس الوقت اتجه لحدود العراق يستنهض قبائل شمر، واتصل بموظفي الدولة العثمانية للحصول على مساعدتها في حربه مع الملك وللتزود بالمؤن والطعام واحتياجات الأسلحة وفي ذي القعدة سنة ١٣٢١هـ خرج الملك الى الوشم وانضم اليه زعماء القصيم وهاجم مؤيدين لابن رشيد في فيضة السر في العشر الأواخر من ذي الحجة خرج الملك عبد العزيز مظهرًا أنه يريد أطراف الكويت لكنه في الحقيقه ينوي التوجه للقصيم وهذه تعني بعد نظره، وإحدى استراتيجياته العسكرية، وصل إلى قرب عنيزة وأمر زعماء عنيزة بدخولها والاستيلاء عليها دخلوها دون صعوبة وحاصر قصر الإمارة، وأرسل إليهم الملك بسرية تساعدهم في الاستيلاء على القصر، ومواجهة من فيه والأمر لم يكن يتطلب الكثير من العناء، وكان الاستيلاء سريعًا في الخامس من محرم سنة (١٣٢٢هـ)..هذا الحدث شجع مناطق أخرى في القصيم، مثل بريدة فتوجه وفد كبير منهم للملك يظهرون تأييدهم له وسير معهم من ارتضوه لإمارة البلدة وسير معهم آل مهنا وتوجه إليها بقواته فبايعه سكانها وحاصر أميرها التابع لابن رشيد واستمر بحصاره لقصر الإمارة مدة شهرين ونصف حتى اضطروا للاستسلام وبدخول عنيزة وبريدة في طاعة الملك عبد العزيز.. ويعد هذا موافقة بدخول بقية المناطق تحت طاعته..

علم ابن رشيد بالتطورات في القصيم، وكان في العلائق الجنوبية قرب جنوب العراق استعجل مساعدة العثمانيين، وقدم لموظفيها الهدايا لكسبهم ودعم طلبه منهم؛ لأن الملك في ظل تلك النجاحات يشكل خطرًا على ابن رشيد ومناطق نفوذه.. وأدركت الدولة العثمانية هذا الوضع، وخشيت من عواقب نجاحات الملك السريعة في توحيد نجد على نفوذها في الحجاز والخليج، وهذا دعاها لأن تستعجل لأمداد ابن رشيد بحاجته من الأسلحة، وأمدته بأسلحة حديثة ومؤن.. وأرسلت معه قوات نظامية لمواجهة قوات الملك، وكانت منطقة القصيم هي مسرح اللقاء والمواجهة بين الخصمين، وتحديدًا في البكيرية حيث التقى الطرفان في ربيع الثاني سنة (١٣٢٢هـ) في معركة البكيرية، وكان في تلك المعركة أكثر من تطور وأكثر من متغير، وكانت نهايتها حاسمة لصالح الملك، وانتصاره على ابن رشيد، والقضاء على عدد كبير من القوات النظامية التي كانت معه..انسحب ابن رشيد كان يُعسكر في الشيحية قرب البكيرية، وعاد مرة أخرى للبكيرية، واستولى عليها، وتوجه إلى الخبراء قرب البكيرية، وحاول الاستيلاء عليها، لكنه فشل ورفض أهلها الدخول تحت طاعته، وهاجموا الفرقه الموجودة فيها لابن رشيد، وانهزمت ولحقوا بابن رشيد في البكيرية فثار أهلها وانهزمت القوة التي أبقاها ابن رشيد، وكان ابن رشيد قد اتجه إلى الشنانة قرب الرس، لحقت به فرقته في الشنانة عاد الملك عبدالعزيز الى البكيرية وهاجم فرقة ابن رشيد ولحقوا به في الشنانه والملك عبدالعزيز بدوره وبسرعة خاطفه وبرغبته في كسب الوقت اتجه الى الرس واستولى عليها قبل أن يستولي عليها ابن رشيد، مما أدى إلى أن جعل الملك الرس مركزًا له، ومكث فيها يرتب أوضاعه ويرقب خصمه مدة شهرين، وكأنه يمهد لمعركة حاسمة مع خصمه، وتلك المعركة إحدى المعارك المهمة في المواجهة بين الملك وخصمه ابن رشيد، وهي معركة الشنانة التي حدثت في (١٨ رجب ١٣٢٢هـ ١٩٠٤م)، ومن تطورات معركة شنانه وكان من أبرز ما فيها من جهة ابن رشيد الذي حاول معه الملك وفاوضه على هدنة وصلح، لكن توقع ابن رشيد أن هذا الطلب موقف ضعف من الملك، فسخر من هذا العرض، وهدد خصومه بالقتل والبطش، وهذا الموقف المشدد كان له رد عكسي على التابعين لابن رشيد وبالذات كبار أتباعه.

المحاضرة العشرون

معركة الشنانة: بعد انتقال ابن رشيد في (١٨رجب ١٣٢٢هـ) إلى الشنانة بعد هزيمته في معركة البكيرية أسرع الملك للاستيلاء على الرس رغبة في الحصول على الموقع الأفضل في سير المعركه، فدخول المدينة أمر مهم لجوانب التحصين، وللحصول على المؤن ومن الضروريات التي يحتاجها، فعرض في هذه الأثناء الملك على ابن رشيد صلحًا، لكن ابن رشيد سخر من العرض، وهدد وتوعد بأن يبطش و لم تتحقق هذه المحاولة من الملك، وسبب هذا الموقف المتشدد من ابن رشيد بمعارضته كبار أتباعه، خصوصًا أن المؤن بدأت تقل وتتناقص وقواتهم النظامية بدأت تضعف وتيأس، خصوصا أنها في محيط جميع سكانه يؤيدون الملك عبد العزيز، فخيروه إما محاربة الملك عبد العزيز، أو الرحيل، فاختار ابن رشيد الرحيل، وبدأ بالتجهيز وبينما هو كذلك استغل الملك استعداد خصمه، وفاجأهم بهجوم مباغت وأوقع خسائر كبيرة في القوات النظامية، واضطر ابن رشيد للانسحاب إلى قصر عقيل في منطقة قريبة، وحاول الاستيلاء عليه، لكنه فشل، فأراد الرحيل منه، وفي أثناء ذلك فاجأه الملك عبد العزيز بهجوم آخر انهزم فيه ابن رشيد وانسحب للنبهانية غرب القصيم جهة حايل مخلفًا كثيرًا من الأسلحة والأموال التي غنمها الملك.

ثُم انتقل ابن رشيد من النبهانية إلى (الكهفة) بين المدينة وحايل، وأخذ في مهاجمة القبائل المسالمة والمعادية، في الوقت الذي بذل فيه جهدًا كبيرًا للحصول على معونات من الدولة العثمانيون، واستمر في المقاومة مدة ثلاث أشهر، أدرك العثمانيون بعدها أن ابن رشيد في موقف ضعيف، خصوصًا وأن عدم تجاوب النجديين معه أدى إلى ضعف مركزه، وأنه شخصية غير قياديه للحكم في هذه المنطقة، والسبب سوء سياسته وإدارته، في الوقت الذي أدركت قوة الملك وتجاوب أهل نجد معه وتأييدهم له في حكمه، فتشجعت الدولة العثمانية بالاتصال بالملك عبد العزيز، والعمل على مفاوضته، لكنها أرادت أن تكون المفاوضات من مركز قوة، وأسندت المهمة إلى واليها بالبصرة، وبتالي أرسلت حملة من البصرة بقيادة المشير أحمد فيضي، وحملة أخرى من المدينة بقيادة صدقي باشا.. ووصلت هاتين الفرقتان إلى القصيم، وجعلت من الشيحية معسكرًا لها في الشمال الشرقي من البكيرية، وبذلك انتهت معركة الشنانة.

معركة «روضة مهنا» لها أهميتها من جهتين: فقد كانت معركة حاسمة، قُتل فيها عبد العزيز ابن رشيد ولم تنجح المفاوضات بين الملك عبد العزيز والعثمانيين؛ لذلك حرص ابن رشيد على استغلال عدم نجاحها، وعاد للنشاط العسكري من جديد لاستعادة نفوذه في القصيم حرصًا على وجود القوات العثمانية، وطمعًا في مساعدتها، وفي ذات الوقت أرسل ابن رشيد قوة للرس استولت عليها، وتبعا لذلك أرسل الملك قوة للقصيم للحفاظ

المكتسبات والنجاحات التي تحققت في المناطق الأخرى في (١٠ شعبان سنة ١٣٢٣هـ) وصل الملك إلى عنيزة، وبعد وصوله بثلاثة أيام أغار ابن رشيد على أطراف بريدة وصده الجيش السعودي الذي كان يرابط في بريدة بقيادة الأمير محمد.. وانتقل الملك عبد العزيز إلى بريدة، وطلب من أتباعه موافاته فيها، وهاجم بعض القبائل الموالية لابن رشيد، ثم عاد إلى بريدة، ومنها إلى الرياض، وفي (١٦ صفر ١٣٢٤هـ) علم الملك بنزول ابن رشيد بقواته قرب روضة مهنا، وهي منطقة بين الزلفي وبريدة، واستعد الملك لمفاجأة خصمه ومباغتته، وكان هذا الأسلوب ناجحًا، وقتل في المعركة ابن رشيد، وانهزم أتباعه منسحبين إلى القصيم تبع ذلك مهاجمة الملك لبعض القبائل الموالية لابن رشيد، وعادت لملاحقة قواته إلى حائل، فدخلت الرس لنفوذه، وبذلك خضعت كافة بلدان القصيم لحكمه، في هذه الاثناء رفض الملك تواجد القوات العثمانية في القصيم ؛ لأن وجودها لا حاجة له بالإضافة إلى أن وجودها سيسبب الكثير من المشاكل لزعماء القصيم تخوفوا منها وتشجيعها لزعامات غير مؤيدة للملك، وزاد من سوءها امتناع الأهالي عن بيعها حاجتها من الأطعمة والمؤن، وفي(١٠ شعبان ١٣٢٤هـ) وصل الملك عبد العزيز إلى عنيزة واتفق مع أمراء القصيم على ضرورة انسحاب القوات العثمانية الذين أصبح وجودها عِبئا على الدولة العثمانية نفسها، وبالفعل سهل الملك عبد العزيز رحيل هذه القوات وغادرت القصيم في (١٥ رمضان ١٣٢٤هـ)، وقد قلنا ضمن هزيمة معركة روضة مهنا مقتل عبد العزيز ابن رشيد وخلفه ابنه متعب، ثم حدثت نزاعات أسرية ذهب ضحيتها العديد من أفرادها، فتولى الإمارة سلطان بن حمود ابن رشيد وأظهر في بداية الأمر مودة للملك عبد العزيز، لكنه كان يعمل على استعادة نفوذه على القصيم، فأخذ يُراسل زعماء القصيم، وفي نفس الوقت أخذ يهاجم القبائل التابعة للملك، وتوجه الملك تبعًا لهذه التطورات إلى القصيم، وانسحب سلطان ابن رشيد إلى حائل، وفي هذه الأثناء قبض أتباع الملك عبد العزيز على رسول من أمير بريدة إلى ابن رشيد يحمل مكاتيب تتضمن استعداد أمير بريده للوقوف معه، والملك عبد العزيز بما أُوتي من حكمة ومن صبر ومعرفة بالظروف لا تستدعي تطور المسألة لم يرغب بالتخلص من أمير بريدة، فقد اكتفى بأخذ البيعة منه مجددًا، لكن أمير بريدة عاد للتعاون مع ابن رشيد، واتفقا على العمل معاً ضد الملك، لتخلص منه وعدم الخضوع له وخروج المنطقة ووصل الملك لعنيزة في منتصف شعبان سنة (١٣٢٥هـ) لمواجهة المتحالفين للقضاء على محاولاتهم وعلى إضعاف نفوذه في المنطقة، في عنيزة، فانضم إليه أعوانه من حضر وبدو، وعسكروا في الطرفية شرق بريدة، وهاجم ابن رشيد وأتباعه الملك في الطرفية، لكنه لم يحقق نجاحًا لاستعداده ولصدِّ الملك لهجماتهم وانسحب، ففاجأه الملك بهجوم، الأمر الذي جعله ينسحب بسرعة لبريدة والتحصن فيها، وقد عمل الملك على التنقل في أنحاء القصيم والإغارة على مناطق قريبة من جبل شمر رغبةً في خروج سلطان ابن رشيد من بريدة؛ لكي لا تكون هذه المدينة مركزًا للحرب، وعمل على إخراجه ودفعه للخروج إلى أرض مفتوحه للمعركة، وعندما لم يتحقق له ذلك عاد الملك إلى الرياض، وبعد ذلك غادر سلطان ابن رشيد بريدة إلى حائل تاركًا أخاه فيصل، وفرقة من الجيش في بريدة لمعاونة أميرها، ولمواجهة أي خطر وفي طريقة إلى حايل هاجم قافلة لأهل بريدة وهذا التطور المهم أوجد رد فعل عكسي من أهل بريدة على ابن رشيد، وأرسلوا عاجل للملك عبد العزيز يطلبونه التوجه إليهم، ومعاونته ضد ابن رشيد واستغل الملك عبدالعزيز هذه الفرصة فخرج بأتباعه من الرياض لعنيزة للعمل على مواجهة ابن رشيد والتخلص من أميرها حليف ابن رشيد، وحددوا موعد مع الملك لدخولها، وبالفعل وصل في الموعد المحدد، ودخل بريدة وحاصر أميرها بقصر الإمارة، حتى اضطر هذا الأمير لطلب الأمان فوافق الملك على خروجه من المنطقة، وبذلك استقرت الأوضاع في بريدة تحت حكم الملك، وكانت هذه سنة (١٣٢٥. ١٣٢٦هـ)..وفي سنة (١٣٢٧هـ) شهدت شبه الجزيرة العربية مجاعة شديدة، وبالذات منطقة نجد، حتى إن السكان سموها سنة الجوع.. وفي السنة التالية (١٣٢٨هـ) كانت حافلة بأحداث مهمة للملك وللمنطقة وكان أبرز هذه الاحداث:

. خروج عددمن أحفاد الإمام سعود بن فيصل من الرياض مغاضبين ومختلفين مع الملك، واستيلاؤهم على الخرج وجنوب نجد.

. أيضًا شهدت نجدة الملك عبد العزيز لأمير الكويت ضد زعيم قبيلة (المنتفق) سعود المنصور وهزيمتهما وانتصاره عليهما..

. شجعت نتيجة هذه المعركه وهي هزيمة أمير الكويت والملك عبد العزيز بن سبهان المشرف على إمارة جبل شمر بغزو بعض المناطق الموالية للملك.

وحينما كان الملك مشغولًا بقضية الخرج مع أحفاد الإمام سعود، وبلغه وصول شريف مكة بقواته في حملة على نجد وقد وصلت إلى القويعية، وقبضت على الأمير سعد شقيق الملك عبد العزيز الذي كان في تلك الجهات لجمع المؤيدين للملك عبد العزيز..

المحاضرة الواحدة والعشرون

الأحداث السابقة، وقد اجتمعت بسنة واحدة سنة ١٣٢٨هـ:

١/ خروج أحفاد الإمام سعود بن فيصل على الملك عبدالعزيز.

٢/هزيمة أمير الكويت والملك عبد العزيزمن قبل زعيم قبيلة المنتفق.

٣/ الحملة التي قام بها الشريف حسين على نجد ووصولة إلى القويعية.

فهذه أبرز الأحداث، وأحداث النزاع بين الملك وابن رشيد، والذي قام على تبعاته بن سبهان المشرف على إمارة جبل شمر بغزو بعض القبائل الموالية للملك وهذه الأحداث اجتمعت في سنة واحدة فما هو موقف الملك من ذلك؟؟

ولابد أن يكون الموقف منها وفق استرتيجية تأخذ في الاعتبار الظروف، وخطورة هذه الأحداث مجتمعة.. وبالتالي النظرة الاستراتيجية للملك عبد العزيز لابد لها أن تعمل عملها في هذه الظروف الحرجة، لذلك اعتمدت هذه الاستراتيجية على أن يتعامل مع كل جهة على انفراد.. وهذا أسلوب بعيد المدى وذو نظرة مستقبلية بحيث لا يدع مجالًا لاتحاد هذه الجهات وتعاونها ضد الملك عبد العزيز تفصيل بسيط لأهم ما صاحب هذه الأحداث:

جبل شمر:

عاش هذا الإقليم نزاعًا داخليًّا بين أسرة ابن رشيد، وذهب ضحيته أفراد من الأسرة وحدثت ضغوط نفسية واجتماعية في هذه المنطقة أدت إلى نزوح عدد من السكان.. وتولى مقاليد الإمارة حمود بن سبهان نائبًا عن سعود بن عبد العزيز بن متعب بن رشيدى في شعبان سنة ١٣٢٦هـ.. في نفس الفترة توفي حمود بن سبهان، وخلفه زامل بن سبهان فحاول أن يظهر قدرته وعداوته للملك عبد العزيز، فهاجم عدد من القبائل الموالية للملك أكثر من مرة، لكن الملك في إحدى هذه الغارات فاجأه في منطقة الأشعلي في (٥) ربيع الأول (١٣٢٧هـ)، فأوقع به وبمن معه هزيمة كبيرة، وفر من المعركة، عرف بن سبهان ضعف موقفه خصوصًا مع زيادة المشكلات الداخلية في الإمارة، وللضغوط على الإمارة نتيجة غارات الملك على أطرافها وللقبائل الموالية لها. وبتالي اضطر لطلب هدنة وصلح مع الملك وإجابه الملك بالموافقة.. واستمر الصلح لمدة عامين وسبق أن قلنا أنه بينما كان الملك مشغولا بمعالجة موقف أحفاد عمه بلغه وصول الشريف في حملة القويعية وقبضه على أخيه فقرر الملك تأجيله لمشكلة أحفاد عمه والتفرغ لمواجهة الشريف وحملته.

حملة الشريف حسين بن علي:

انتقل الشريف من القويعية إلى منطقة نفي في السر جنوب غرب القصيم، وطلب من أهل الوشم والرس وأهالي المناطق القريبة التعاون معه أو بيعه الطعام والمؤن فلم يستجيبوا له، أرسل إلى أهل عنيزة في القصيم يحثهم على تأييده وطاعته والخروج على الملك لكنهم رفضوا وأعلموه أن في أعناقهم بيعة للملك، وكذلك بقية المناطق، ونصحوه بالعودة لمكة، وأن يمنع حدوث حرب بينه وبين الملك، لكنه رفض هذه النصيحة، وكان الملك عبد العزيز قد سار بأتباعه إلى منطقة السر، وعند اقترابه منها أرسل إلى الشريف حسين ينصحه ويدعوة إلى تغليب العقل وضرورة إشاعة السلم بين الطرفين، والعودة للحجاز كي يمنع حدوث حرب بين الجانبين، ويطلق سراح أخيه سعد إذا كان يرغب بالسلام وعدم المهاجمة، الشريف من خلال الأحداث السابقة من رفض أهل القصيم وأهل نجد لمحاولاته بالتعاون معه ، وتأييدهم الملك الذي أقبل بقوات كبيرة،وعدم حصوله على المؤن أدرك ضعفه، إضافة إلى أن الصلح الذي حدث بين الملك وبين جبل شمر ألغت توقعه بالتعاون مع ابن رشيد ضد الملك، ، كل ذلك دعا الشريف أن يحافظ على نفسه ومَن معه من القوات، فأرسل الشريف خالد بن لؤي لمفاوضة الملك، والذي كان لا يكره إشاعة الصلح بين الطرفين، وعودة الشريف بحملته إلى مكة، واتفق الطرفان على عودة الشريف إلى الحجاز وأطلاق سراح الأمير سعد وتم هذا في رمضان سنة (١٣٢٨هـ)، فعاد الملك من عنيزة إلى الرياض ليتفرغ لمشكلة أحفاد عمه سعود.

مشكلة أحفاد عمه سعود:

لم تأخذ منه وقتًا طويلًا إذ سار إلى الخرج، ومنها إلى الحريق وجعل منها مركزًا له، وبعد وصوله حاصر البلدة، لكن المؤيدين لأحفاد عمه سعود خرجوا لمقاتلته، وانتصر عليهم، وانسحب خصومه للحوطة، ورفض أهل الحوطة دخولهم إليها واضطروا للانتقال إلى الأفلاج، وهناك انتهى أمرهم بأن قبض على بعضهم وتفرق بعضهم خارج المنطقة.

توحيد الإحساء والقطيف وهو موضوع مهم:

تعتبر هذه الخطوة مهمة للملك في توحيد البلاد، ولهذه المنطقة أهمية لنجد من ناحية زراعية وتجارية وبحرية، وتطورات الأحداث بين الملك والشريف حسين تنبئ عن أوضاع غير ودية وبتالي لابد للملك أن يؤمن المستقبل، ويعمل على فتح منطقة نجد للاتصال بمناطق مثل الإحساء والقطيف

للحصول على احتياجاتها الزراعية والتجارية، والاتصال بالعالم الخارجي، هذا من جهة.. ومن جهة أخرى أن الإحساء والقطيف والمنطقة الشرقية كانت جزءًا من الدولة السعودية بعهديها الأول والثاني إضافة لاستيلاء العثمانيين عليها وهم مؤيدين لابن رشيد من جهة وللشريف حسين من جهة ثانية لاشك بأن هذا يتعارض مع مصالح الملك وجهوده في توحيد البلاد، ونعلم بأن ضم هذه المنطقة تحت الحكم السعودي يُعزز من موقف الملك في هذه الجهود ويدعمها ويقوي من موقفه في مواجهة خصومه في الشمال والغرب، وهذه من الأسباب التي دعت الملك عبد العزيز لضم الإحساء والقطيف ولم يغب عن بال الملك هذا الأمر خصوصًا بعد معركة روضة مهنا، حيث إنها تشكل انعطافة مهمة في علاقته مع خصمه ابن رشيد، العلاقة الأبرز التي كانت تضعف من انطلاقة الملك خارج المنطقة.. فكر الملك بعد معركة روضة مهنا بضم الإحساء والقطيف، لكنه أدرك أن الظروف لم تكن مناسبة لتحقيق ذلك، وأجَّل هذه الخطوة إلى فترة لاحقة، كانت بداية هذه الفترة سنة (١٣٣١هـ).. وجد أن الظروف مناسبة لضم الإحساء، ولبذل الجهود لتحقيق ذلك.. وكانت التطورات التي دفعت الملك للاستعجال لضم الإحساء، وهي من أبرز الأسباب ومن بينها:

١/ مضايقة الشريف حسين بن علي للتجار النجديين ومنع التعامل معهم؛ وهذا لأن منطقة الإحساء تمثل نافذة لنجد نحو العالم الخارجي، وفي الجانب التجاري والزراعي، ومضايقة الشريف للنجديين يدفعهم للبحث عن بديل آخر..

٢/ سماح السلطات العثمانية بالإحساء لخصوم الملك باللجوء إلى المدن وحمايتهم وهذا يستدعي من الملك الاهتمام به والعمل على القضاء عليه..

٣/ أصبحت كافة نواحي نجد تابعة للملك باستثناء جبل شمر والتي كانت هادئة نسبيًا، وهو عامل مشجع للملك أن يخطو خطوة خارج المنطقة يكتب لها النجاح ـ بإذن الله ـ ..

٤/ التطورات العالمية في ذلك الوقت، وهزيمة العثمانيين في شمال أفريقيا من قبل الإيطاليين وانشغال الدولة العثمانية بأوضاعها في البلقان أضعف من سلطتها في المناطق البعيدة عن مركز الدولة، ومن ذلك الإحساء، وهذا الضعف جعلها تطلب من الملك حماية وجودها وحماية قواتها في المنطقة..

٥/ بما أن المنطقة تحت نفوذ الدولة العثمانية أرهقت السكان المحليين بالضرائب إلى جانب أنها عجزت عن حفظ الأمن حيث كثرت الاعتداءات على بلدان المنطقة وعلى القوافل التجارية المارة بها، فتطلع السكان إلى من يخلصهم من هذه الأوضاع وتجاربهم مع الحكام السعوديين كان لصالحهم ومفيد لهم، وعرف عن الملك الحزم والعدل وحماية الحقوق، وبالتالي وجدوه الشخص المناسب لتخليصهم الدفاع عن مصالحهم وأملاكهم.

٦/هزيمة العثمانيين على الساحة الدولية يتيح للبريطانيين المتواجدين في الخليج تقوية نفوذهم، وبالتالي سيكون له نتائج سلبية على المنطقة وعلى سكانها، فدخول الإحساء والقطيف والشرقية ضمن حكم الملك وتبعيتها للسعودية يقطع الطريق على البريطانيين في الاستيلاء على هذه المنطقة لزيادة نفوذهم فيها، ويقينهم بعدم وجود قوة تقف مقابلهم...

خطوات ضم الإحساء والقطيف:

بداءة اتصل الملك بمن يثق بهم من أهل الإحساء، وأمدوه بالمعلومات الضرورية، ورتبوا له الاحتياجات اللازمة لدخول الإحساء.. فالملك وصل للمنطقة قبل الشروع بضم الإحساء، وقام بعمل استكشافي للتعرف على الجوانب الجغرافية والمناطق المحيطة فيها، ووضع الحامية التركية وتحركاتها، وللحصول على المؤن واحتياجاته، وقد أعلن ذلك لكي لا يلفت الانتباه للهدف الحقيقي من وصوله للمنطقة.. في جماد الأولى (١٣٣١هـ) تحرك الملك نحو الهفوف، وكان لديه المعلومات عن المنطقة وعن الحامية التركية ومواقعها وتحركاتها، وعند وصوله قسم رجاله إلى قسمين: قسم أبقاه خارج المدينة بقيادة الأمير عبد الله بن جلوي للحماية.. وقسم بقيادته استعدادًا للدخول إلى المدينة، وقد هيَّأ له أنصاره فيها الحبال والسلالم لتسلق الأسوار بسرعة خاطفة فتمكن الملك من دخول المدينة والانتشار فيها، واستدعى القوى خارجها وسارع أعيان الإحساء لمبايعته فيما تحصنت الحامية التركية في قصر إبراهيم باشا، فأرسل إليهم الملك يدعوهم للاستسلام وأنهم لن يتعرضوا لأي خطر، وطلب المتصرف التركي الأمان له ولحاميته، والمحافظة على أسلحتهم، وطلب مكتوبًا من أعيان البلاد بعدم رغبتهم ببقاء العسكر التركي فيها.. فاستسلامت الحامية التركية في (٢٨) جماد الأولى (١٣٣١هـ) معلنة ضم الإحساء تحت حكم الملك..

المحاضرة الثانية والعشرون

تبقى جزيئة بسيطة وهي أن الحامية التركية استسلمت في (٢٨) جمادى الأول (١٣٣١هـ)، وقام الملك عبد العزيز بترحيلهم عبر ميناء (العقير) إلى البحرين، وأرسل الملك عدة سرايا في المنطقة أبرزها كانت سرية القطيف، والتي دخلتها دون صعوبة وأتم ضمه لبقية المناطق الأخرى.. كان رد فعل

العثمانين على مفاجأة الملك سريعة، فأرسلوا من البحرين فرقة إلى ميناء العقير، وحاولت النزول إلى الميناء بهدف السيطرة على الإحساء، لكن تمكنت قوات الملك من صدهم، وإجبارهم على التراجع وفي العشر الأواخر من رمضان سنة (١٣٣١) عاد الملك إلى الرياض بعد أن رتب أوضاع المنطقة، واطمئن على استتباب الأمن فيها.. بعد ذلك سنة (١٣٣٢هـ) إلى (١٣٣٧هـ /١٩١٤م) إلى (١٩١٩م) حدثت الحرب العالمية الأولى وفي هذه الفترة حدثت أحداث مهمة على المستوى الداخلي والخارجي في المنطقة، وفي أنحاء شبه الجزيرة العربية، ومن هذه الأحداث التطورات التي شهدها الصراع والنزاع بين الملك عبد العزيز وابن رشيد، والذي شهد معركة (جراب)، وهي معركة مهمة حدثت بين الخصمين و(جراب) مكان قرب الزلفي في(٨ ربيع الأول سنة (١٣٣٣هـ)، وبداية المعركة رجحت الكفة للملك، ولكن بسبب اضطراب أحدثته بعض الفئات من القبائل، وانسحاب بعضها انهزم هؤلاء وبالتالي ضعف موقف الملك عبدالعزيز وتعرض للخسارة مما اضطره للانسحاب إلى الأرطاوية ومنها إلى بريدة، ابن رشيد عاد إلى الإحساء، وعندما علم بأن الملك قد وصل إلى بريدة غادر إقليم القصيم متوجها إلى حائل.. الملك تبعه إلى المناطق القريبة من حائل وأغار على أطراف حائل، ثم عاد مرة ثانية فحاولا الطرفان إقامة صلح بينهما، ولكنه لم يستمر طويلًا وكان بحدود شهر وبضعة أيام، واستغل ابن رشيد هزيمة الملك في معركة (كنزان) مع قبيلة العجمان، فأغار على شرق القصيم، ونهب إبلًا وغنمًا لأهل بريدة، وعسكر في الطرفية في المناطق الشرقية من بريدة، وراسل أمراء المنطقة يدعوهم إلى طاعته والانضمام إليه، ولكنهم رفضوا وأرسل الملك لتدارك محاولات ابن رشيد فرقة بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز بن سعود الكبير.. فدفع هذا ابن رشيد إلى الانسحاب أواخر شوال (١٣٣٣هـ) إلى حائل، ثم أغار الملك على أطراف حائل وحقق نجاحات مهمة واستمرت هجمات الملك على المنطقة رغبة في أضعافها..وفي الأعوام التالية (١٣٣٤هـ) و(١٣٣٥هـ) و(١٣٣٦هـ)، وفي بداية (١٣٣٧) تطورت الأوضاع في إمارة ابن رشيد وكثرة المشكلات الداخلية فيها، وتوقفت الدولة العثمانية عن مساندته بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، انضمت أيضًا فئات من شمر إلى حركة الإخوان، وهذه هي ثلاث عوامل مؤثره ومهمة فقد اثرت تأثيرا كبيرا في التطورات التاليه التي سأتي إليها في وقت لاحق أن شاء الله..فانضمت فئات من شمر إلى حركة الإخوان التي كان ولاؤها للملك عبد العزيز وأثرت كثيرًا في ميزان القوة بين الطرفين، لذا طلب ابن رشيد صلحًا من الملك الذي استجاب له في ذلك.. هذا ما يتعلق بالنزاع بين الملك وابن رشيد..

قضية أخرى وهي قضية العجمان وهي قضية أزعجت الملك عبد العزيز لظروفها التي تدخل ضمن دائرة الأعمال العدائية، وهذه القبيلة التي انسحبت في معركة جراب ولم يكتفوا بذلك، بل استولوا على إبل للملك عبد العزيز وتوجهوا بها إلى شمال شرق شبه الجزيرة العربية، وهناك اعتدوا على عدد من القوافل التجارية ، وانتقلوا بعد ذلك إلى الإحساء فتوجه الملك لتأديبهم في شعبان سنة (١٣٣٣)، ولكنهم وضعوا له عدة كمائن في (كنزان) فأدَّى إلى تعرض الملك إلى خسارة، وانسحابه سريعًا إلى الهفوف، وقد تحصن بها حتى أتاه مدد من الرياض بقيادة أخيه الأمير محمد، فاضطر العجمان إلى الانسحاب إلى الشمال، تبعهم الملك عبد العزيز وهزمهم واضطرهم إلى اللجوء إلى الكويت، فسمح لهم أمير الكويت بدخولها، بعد ذلك خرجوا منها إلى الزبير جنوب العراق، وتعهدوا بعدم القيام بأي أعمال عدائية ضد الملك عبد العزيز، لكنهم لم يلتزموا بهذا التعهد، فعادوا إلى الإغارة على أتباع الملك عبد العزيز، والاعتداء على القوافل التجارية، وبالتالي صمم الملك عبد العزيز على وقف هذه الاعتدات و تأديبهم فضغط على أمير الكويت، وطلب من بريطانيا الضغط عليه لكي لا يساعد هؤلاء أو يأوي زعمائهم، فتغير الموقف، وتحقق من خلاله تأديب هذه القبائل وتغير موقفهم، فتعهدوا للملك بالانقياد والطاعة، فعفى عنهم وعادوا لموطنهم في منطقة الإحساء، هذه القضية حدثت في الفترة المشار إليها.

قضية أخرى تتصل بتوجه الشريف حسين لمنافسة الملك عبد العزيز، ومحاولته الدؤبة للاستفزازه، فساءت العلاقة بينهما بسبب رئيسي هو منع الشريف حسين للحجاج النجديين من الوصول إلى مكة المكرمة، بداية العلاقة ساءت بين الشريف حسين والدولة العثمانية، الأمر الذي دفعه إلى أن يتحالف مع بريطانيا مما نتج عن ذلك ما عُرف بـ«الثورة العربية ضد العثمانين» التي كانت بدعم من بريطانيا، وذلك في (٩) شعبان سنة (١٣٣٤)، الملك عبد العزيز وقف موقفًا حياديًّا من هذه برغم تشككه من موقف الشريف حسين إلا أنه وقف حذرا ووقف أقرب إلى الانحياد ، لكنه عندما أعلن الشريف حسين نفسه ملكًا زادت مخاوف الملك عبد العزيز من طموحات الشريف حسين ومخططاته، فتدخلت بريطانيا لطمأنة الملك عبد العزيز، وضمنت له عدم تدخل الشريف حسين في شؤون بلاده أو التحدث أيضًا بأسم العرب باعتباره ملكًا عليهم، في عام (١٣٣٥هـ) كانت العلاقة سلمية، أو هادئة، وفي العام التالي توترت العلاقة بين الجانبين بسبب انضمام قبائل من بادية الحجاز إلى حركة الإخوان وزاد هذا التوتر إظهار سكان بلدتي (الخرمة وتربة) حماسهم لمبادئ الدعوة الاصلاحية التي قام عليها الحكم السعودي، وقاد هؤلاء أمير الخرمة (الشريف خالد بن لؤي)، فخرج خالد بن لؤي عن طاعة الشريف حسين فحاول الشريف حسين إخضاعه بقوة، ووجه إليه عدة حملات لحقت بها عدة خسائر

متلاحقة كان آخرها معركة (تربة) الحاسمة سنة (١٣٣٧هـ) والتي انتصر فيها خالد بن لؤي انتصارًا حاسمًا، ومعه الإخوان، هذه في تلك الفترة التي حصرناها بفترة الحرب العالمية الأولى.

تطور آخر يرتبط بحركة الإخوان، وحركة الإخوان بذرة من البذور القديمة لم تكن في عهد الملك عبد العزيز، ولم يكن هدف الملك من تأسيسها ما أدت إليه فيما بعد، فهدف الملك هو استيطان البادية أو تحضير البادية، وهو استقرار القبائل الرُّحَّل من مكان لآخر، في أماكن استقرار مناسبة للاستقرار السكاني، والمقصود بكلمة الإخوان: «هم الإخوان الذين تخاووا في طلب العلم بداية، وأيضًا وارتبطوا بمبدأ الإصلاح، ومبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والذي انتشر في نجد منذ عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، واستبدلوا أخوة القبيلة بالإخوة الدينية، ومع حركة الاستيطان التي تمت في عهد الملك عبد العزيز برزت هذه الظاهرة بشكل أوسع وأكثر وضوحًا بين أبناء البادية المستوطنين، ومعروف عن حكام الدولة السعودية مناصرتهم للعقيدة الإسلامية الصافية وتطبيق الشريعة الإسلامية وعملهم على نشرها ودعوة الناس إليها، ومن خلال ذلك أدرك الملك عبد العزيز بموهبته القيادية الفذة واستفادته من دروس التاريخ، وعبر الماضي أن قيام الدولة السعودية وانتشارها وتوسعها يرجع إلى الدور السياسي والديني الذي جمع الدولة والدعوة (الدولة السعودية والدعوة الاصلاحية) هذا من جهة، ومن جهة أخرى أدرك أن النجاح الذي تحقق لأسلافه إنما يعود لاعتمادهم بعد الله على الحاضرة من السكان بسبب أن القبائل الرُّحَّل ليس من السهل صرفهم عن أمور درجوا عليها مدة طويلة، ومن الصعوبة السيطرة عليهم والاعتماد عليهم في المعارك بدرجة كبيرة، من أجل ذلك جاءت توجهات الملك عبد العزيز في مشروعه الرائد في استيطان البادية، وأرسل إلى البادية الدعاة يرشدونهم وينصحونهم ويعملون على تعليمهم وإيصال مبادئ تعاليم الدين الاسلامي إليهم، تبعًا لذلك أخذ أفراد البادية بالاستقرار (يعني بناء مساكن فاطلقوا على هذه المجموعة من المباني البدائيه اسم(هجر)، وكانت أول هجرة أسست هي هجرة مورد الأرطاوية القريبة من المجمعة، ثم بعد ذلك تولى إنشاء الهجر في كافة أنحاء بادية نجد تحديدًا، وكانت من أشهر هذه الهجر وأعظمها هجرة (الغطغط)القريبة من منطقة القويعية غرب الرياض، فشجعهم الملك في الاستقرار ببناء المساجد لهم وإرسال الكتب والدعاة ، وفي نفس الوقت تشجعهم وتحقق لهم الأهداف التي رغبوا فيها، والتي يهدفون إليها من خلال استقرارهم، هؤلاء من بعد استقرارهم أطلق عليهم لقب الإخوان، وأصبح الرابط بينهم ليس القبيلة، بل رابط الإخوة فتحمسوا لحياتهم الجديدة وعارضوا كثيرًا ممن لم ينضم إليهم حتى وإن كان من أفراد قبائلهم، فانضم إليهم كثيرون ممن رغبوا في مسالمتهم ودفع بأسهم، وممن رغب في الحصول على غنائم نتيجة المعارك، فهم قد اتخذوا العنف والبطش والشدة في وجيه الناس وحثهم للانضمام إليهم، وغير ذلك من الأساليب المنفرةالمتشددة أو المتطرفة وكان لهذه الحركة آثار إيجابية، وقلت قبل قليل بأن الملك أراد في الأصل تحضير البادية واستقرارهم، وإدراكه بأن تنمية المجتمع و تطويره كان أحد الأهداف النبيلة التي كانت من بين جهوده لتوحيد هذه البلاد، قلت قبل قليل بأن الآثار الإيجابية لا شك بأنها تحققت من ظهور هذه الحركة،وأبرزها:

– القضاء بنسبة كبيرة على منازعات القبائل فيما بينها،

–تشكلت وحدات عسكرية جمعت بين التدريب العسكري والحماس الديني، وهذا جعلها في الواقع تستبسل في سبيل تحقيق أهداف القائد،

– تخفيف حدة الولاء للقبيلة وزعماتها لحساب الزعامة الدينية بدرجة أولى،

–وأخيرًا تسهيل مهمة الحكومة المركزية في الحفاظ على الأمن واستتبابه، ومحاربة الأعداء والقضاء على الظلم، وغير ذلك من الأشياء أو المظاهر التي تحدث دائما مع النزاعات والاضطرابات.

المحاضرة الثالثة والعشرون

استكمال الملك عبد العزيز جهوده لتوحيد كامل أجزاء نجد، وأعني ضم منطقة حائل إلى الحكم السعودي، والأمور التي مهدت لهذه الخطوة كانت نجاح الملك عبد العزيز في ضم الإحساء والقطيف وهذا جانب مهم أعطى الملك دعما ماديا وعسكريا مهما، وأيضًا عزز من موقفه قضائه على مشكلة العجمان بعد ذلك، وحركة الإخوان كان لها مردود إيجابي في هذا الشأن، هذه ثلاثة عوامل بالغة الأهمية إذا كنتم تذكرون والتي أشرت فيه إلى أن منطقة حائل كانت تُعاني من انقسامات داخلية ومن انضمام بعض قبائلها، إلى حركة الإخوان التي تدين بولائها إلى الملك عبد العزيز، وهذا من العوامل التي شكلت ضغطًا على إمارة جبل شمر، وأتاحت للملك تحقيق نجاحات في تطورات النزاع بينهما فكان النزاع داخل الإمارة وتخلي الدولة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية عن دعمها لإمارة جبل شمر، وهذه التطورات كان لها أثر كبير في إضعاف إمارة جبل شمر، وبالتالي سعي الملك

عبد العزيز لتحقيق هدف طال انتظاره، وهو توحيد كامل نجد تحت سلطته، بدأ الملك عبد العزيز خطواته في تحقيق هذا الهدف في شوال (١٣٣٨هـ) عندما أرسل ابنه سعود على رأس فرقة من القصيم في طريقه للعمل على استكشاف الطريق، والإغارة على أطراف جبل شمر ومسح المنطقة ثم في العام التالي (١٣٣٩هـ) قاد الملك عبد العزيز قواته بنفسه نحو القصيم في طريقه إلى جبل شمر، وعند وصوله قسم جيشه إلى قسمين:

. قسم تحت قيادة أخيه الأمير مُحمد، وهذا القسم توجه إلى حصار المدينة.

. وقسم تحت قيادة ابنه الأمير سعود، وهذا القسم وُكلت إليه مهمة الإغارة على أطراف المنطقة والعمل على إخضاع ومراقبة أي تهديد حولها ثُم بعد ذلك انضم قسم الأمير سعود الى القسم الذي توجه الى حصار مدينة حايل.

استمر الحصار خلال فترات مُتقطعة تخللها عدة هجمات وغارات مُتبادلة، ووصل الملك عبد العزيز، ومعه عدد من الأسلحة الحديثة، وعلى رأسها المدافع، وقام بوضع خطة محكمة لدخول حائل وشدد الحصار عليها، وقضى على فئات من قواتها وقبائلها في خارج المدينة، وبدأت تأثيرات الحصار تظهر في نقص الموؤن ونفاذ الاطعمة من السكان وبدأوا يتأثرون من شدة الحصار فضعف موقفهم واقتنعوا بأن إستمرار مقاومتهم للملك لا فائدة منه وخرج وفد من كبار أهلها، وقد رأوا ضرورة الاتصال بالملك ومفاوضته على التسليم مقابل الأمان لأنفسهم، فدخل الملك ، ثم استسلم ابن رشيد، وكان قد انسحب إلى قصر الإمارة، لكنه أيقن أن اعتصامه لن يحقق له طائل، فاستسلم للملك ، وقد كان في وقت الحصار طلب أهل حائل من الملك عبد العزيز عبر مفاوضته أن يكون الشأن الخارجي للإقليم أو الأمارة للملك عبد العزيز، والشأن الداخلي لابن رشيد، ولكن الملك عبد العزيز رفض العرض، وطالب أن يدخل الإقليم في سلطته مثل ما دخلت بقية الأقاليم الأخرى التي توحدت تحت رايته، المهم أن الملك عبد العزيز عامل أهل إمارة جبل شمر بالحسنى والرعاية، ووزع عليهم احتياجاتهم من الأطعمة والموؤن، ثم بعد ذلك رتب أوضاعها ودبر أمورها، ثم عاد إلى الرياض ومعه أفراد أسرة ابن رشيد معززين مكرمين، نكون بهذا أوضحنا الصورة الخاصة بتوحيد نجد، والجهود المضنية التي بذلها الملك في توحيد نجد بصفة خاصة في ظل تلك الخصومة التي طالت بين الملك عبد العزيز وابن رشيد.

بتوحيد عسير: موضوع آخر مهم:

كنت قد أشرت الى هذه المنطقة وأوضاعها قبل بدء الملك عبد العزيز بجهود التوحيد، وضمها إلى حكمه، وذكرت أن العثمانين فرضوا سيطرتهم الإسمية عليها وأنهم لم يستطيعوا أن يفرضوا سيطرتهم الفعلية عليها، فبفعل استمرار زعمائها في المقاومة ومواجهة القوة العثمانية، ومن ضمن سياسة الدولة العثمانية لمواجهة هذا الموقف جعلت الحسن بن عايض متصرفًا لعسير خصوصًا بعد اضطرارها لمغادرة المنطقة بعد هزيمتها أثناء الحرب سنة (١٣٣٦هـ) وفي أثناء الحرب العالمية الأولى استغل ابن عايض في العام التالي هزيمة الدولة العثمانية، فاستقل بحكم المنطقة في ظل ذلك عندما تحول الشريف حسين في علاقته مع الدولة العثمانية إلى عداء، وبتحالفه مع بريطانيا حاول مع الإدريسي مد نفوذهما إلى (منطقة عسير)، وفي أثناء ذلك كانت النجاحات التي حققها الملك عبد العزيز وقواته تزادد قوة، وانتشاره يزداد، خصوصًا في المناطق النجدية، والمناطق القريبة من عسيرسواء في المناطق الجنوبية من نجد وفي المناطق الغربية مثل الخرمة، وتربة، وما تحقق له من انتصارٍ على قوات الشريف حسين في تربة سنة (١٣٣٧هـ) مع الإخوان، كان عاملًا مهما من العوامل التي دعت الملك إلى أن يسعى لضم هذه المنطقة، وضمن وصول تأثير حركة الإخوان أدى إلى وصول مؤثراتها إلى فئات من قبائل عسير، وهذا أدى إلى حدوث خلاف بين هؤلاء، وبين أمير المنطقة الحسن بن عايض، فاتصلوا بالملك يشكون من تصرف أميرهم ضدهم، فحاول الملك عبد العزيز أن يصلح بين الجانبين، وتوسط بينهما، ولكن ابن عايض رفض هذا التدخل وعده تدخلًا في شؤونه، وبالتالي لم يتطور الأمر أكثر من ذلك، وكانت علاقة الملك عبد العزيز بالإدريسي حسنة، وكان حذرًا من دخول منطقة عسير ضمن نفوذ أحدهما سواء الشريف حسين أو الإدريسي إضافة إلى كونها إحدى المناطق التي شكلت جزءً مُهمًا من أجزاء الدولة السعودية في عهدها الأول، وبناءً عليه أدرك ضرورة التحرك سريعًا لضم منطقة عسير، فأرسل جيشًا بقيادة الأمير عبد العزيز بن مساعد سنة (١٣٣٨هـ) إلى عسير وعند وصوله انضمت الفئات المؤيدون لحكم الملك عبد العزيز، وحاول بن عايض أن يواجه هذه القوة، فحدثت بين الفرقين معركة (حجلة)، وانهزم فيها ابن عايض ولجأ إلى أبها، ثم لاحقته القوات السعودية إلى أبها، وغادرها إلى جبل حرملة، وأدرك عجزه واستسلم للقوة، ومعه أتباعه، وصحبهم إلى الرياض، فمكث في الرياض مُعزَّزًا مُكرَّمًا حدود ستة أشهر، وطلب العودة مرة ثانية إلى المنطقة حتى إذا استقر فيها ثار مرة أخرى ضد الدولة، وفي أثناء وجود ابن عايض في الرياض عيَّن الملك أميرًا على المنطقة، فكثرت الشكاوي عليه، ثم عيَّن أميرًا أخر، وأيضًا لم يكن بأحسن من سابقه، فكثرة الشكاوى على هؤلاء سواء كانت شكاوى كيديه أو حقيقية أدت إلى التململ والاضطراب وإلى أن يقود ابن عايض ثورة حاصرت الأمير وحاميته في أبها وحاول المقاومة، ولكنه فشل، واستولى ابن عايض ومؤيديه على الأوضاع في أبها، الملك عبد العزيز عندما علم بتطورات الموقف في عسير وكان قد ضم إمارة حائل إلى

حكمه، جهز جيشا بقيادة ابنه فيصل، وانطلق به إلى عسير، وعند وصوله إلى المنطقة انضم المؤيدون للحكم السعودي إليه، وعند اقترابه من أبها تركها آل عايض(حسن بن عايض)، وأنصاره واستنجدوا بالشريف حسين بالرغم من أنه قد أمدهم بسرية إلا أن القوات السعودية (قوات الأمير فيصل) قد هزمتها في أكثر من مكان، حصل حسن بن عايض على معونة جديدة من الشريف حسين، واجتمع مع أنصاره وحاصروا الأمير بن عفيصان الذي عينه الأمير فيصل أميرًا على المنطقة، وكادت أن تسقط أبها في أيدي حملة الشريف، لكن وصول إمدادات من الرياض ساعدتها وقوى من موقفها، استمرت الحال في نزاعات بين وقت وآخر ولكن بعد أن تولى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إمارة هذه المنطقة استطاع بحنكته وبقدراته أن يخضع زعماء المنطقة وتحديدًا آل عايض وأن يقنعهم بالسلم والركون إلى الهدوء والإقتناع بخضوع المنطقة للحكم السعودي، فهو في صالحهم بالدرجة الأولى، وبالتالي دخلت هذه المنطقة ضمن نفوذ الملك عبد العزيز، هذا ما يتصل بدخول وضم منطقة عسير وتوحدها ضمن نجد ومنطقة الإحساء ، وحتى الآن منطقة الحجاز ومنطقة المخلاف السليماني جازان لم تدخل ضمن الأجزاء التي وحدها الملك عبد العزيز.

منطقة الحجاز:

تحدثت عن أوضاع الحجاز بعد خروجها عن سلطة الدولة السعودية في عهدها الأول، وذلك من خلال حديثي عن أهم سمات تلك الأوضاع، وتحدثت أيضًا عن حملة الشريف حسين الفاشلة على نجد ووصولها إلى القويعية، وانتقاله إلى القصيم، ثم عودته مرة أخرى إلى الحجاز، لم تكن العلاقة ودية بين الملك عبد العزيز والشريف حسين، وقد سبق أن أشرت إلى منع الشريف حسين للحجاج النجديين من الحج، وازدادت العلاقة توترًا بعد معركة تربة المشهورة التي انهزمت فيها قوات الشريف هزيمة كبيرة (١٣٣٧هـ) بين الإخوان وبين قوات الشريف، أدت هذه التطورات إلى أن يخرج أهم قادة الشريف حسين وأمير الخرمة الشريف خالد بن لؤي عن طاعة الشريف حسين لخلاف بينهما، وبالتالي رغم المحاولات التي حاولها الشريف حسين لإخضاعه واستخدم فيها السلم، والقوة إلا أنه لم ينجح الأمر الذي نتج عنه معركة تربة، والتي أثرت تأثيرًا كبيرًا على الشريف حسين وعلى سمعته بين أتباعه، وقد فقد معظم قواته المدربة والنظامية وأسلحته الحديثة بسبب الهزيمة، وبالتالي كان رد فعل الشريف على هذه المعركة أن منع دخول النجديين نهائيًا لمنطقة الحجاز أو حتى الحج، وقد أمدته بريطانيا بعدد من الطائرات، وأيضًا طلبت من الملك عبد العزيز أن ينسحب من المنطقة أو من تربة، فوافق الملك عبد العزيز شريطة أن لا يقوم الشريف بالاعتداء على الأراضي النجدية أو الواقعة تحت نفوذ الحكم السعودي، نجحت بريطانيا بعقد هدنة بين الطرفين سنة (١٣٣٨هـ) إلا أن الشريف لم يسمح للنجديين بالحج إلا في سنة (١٣٤٠هـ)، وأيضًا للعدد محدود منهم، وحاولت بريطانيا أن تعقد اجتماع في الكويت بين الملك وبين الشريف حسين للنظر في المشكلات العالقة بين الطرفين، ولكن عدم حضور الشريف أو وصول ممثل له أفشل المؤتمر، وبالتالي فإن العلاقة قد زادت توترا ودخولها إلى مرحلة جديدة من مراحل الصراع.

المحاضرة الرابعة والعشرون

نواصل معكم ضم الملك عبد العزيز للحجاز، وتوقفت عند المؤتمر الذي حاولت بريطانيا إقامته لإنهاء سوء الخلاف بين الملك عبد العزيز والشريف حسين، لكن فشل المؤتمر لعدم حضور الشريف حسين، فعاد النزاع بين الطرفين، وفي (١٣٤٢هـ) أعلن الشريف حسين نفسه خليفة للمسلمين، وبالتالي أغضب بذلك الملك عبد العزيز، وعددًا من الزعمات والدول الإسلامية التي رأت في ذلك مخالفة صريحة للإجماع الإسلامي والعربي، ويحتاج هذا الأمر لإجماع واتفاق إسلامي عام يأخذ في الاعتبار كثيرًا من الأسباب والجوانب، أيضًا منع الشريف حسين النجديين من الحج، وليس من حقه منعهم، أوأن يخصص النجديين بالمنع، فهذا يكاد يكون المقصود فيه العداء للملك عبد العزيز، وعقد الملك مؤتمرًا لمواجهة هذا الأمر في الرياض في ذي الحجه سنة (١٣٤٢هـ) ترأَّسه والده الإمام عبد الرحمن بن فيصل، وأعلن فيه أن النجديين يتذمرون من هذا الموقف الذي صدر من الشريف، وشرح الملك الكثير من تطورت هذا الوضع، ومن خطورته في نفس الوقت وخطورة موقف الشريف حسين..وتوصل المجتمعون في المؤتمر إلى وجوب أداء الحج سلم أو بالقوة.. الملك بدأ خطوات عسكرية أرسل خلالها فرق إلى الحدود الشماليه (الحدود مع الأردن والعراق) لمواجهة أي طارئ عسكري يحدث من هاتين الدولتين، وأرسل فرقة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل إلى الحجاز، وتمركزت هذه القوة في تربة، ثم انطلقت صوب الطائف ووصلتها في بداية صفر سنة (١٣٤٣هـ)، والشريف حسين قام بمحاولات لصد هذه القوة فأرسل جيشًا بقيادة ابنه علي إلا أن قوات الملك دخلت الطائف وأخضعتها، ثم هاجمت قوات الشريف علي فهزمته في منطقة الهدا، ولم ينجو منها إلا بفراره من مكة مع من نجا من قواته.

أوضاع أهل مكة:

أحسوا بأن مكة تكاد تدخل ضمن نفوذ الملك عبد العزيز، وبالتالي فر بعض أعيان وكبار أهلها، واجتمع من وجهائها وكبارئها وقرروا ضرورة أن يتخلى الشريف حسين لابنه علي عن الملك على أمل أن هذا التنازل يُؤدي إلى مفاوضات مع الملك عبد العزيز تؤدي إلى حل سلمي بين الطرفين فبُويع علي بن الحسين بالحكم في (٥) ربيع الأول سنة (١٣٤٣هـ)، وغادر أبوه إلى العقبة، وترك الشريف علي مكة متجهًا إلى جدة خوفًا من أن تدب الفوضى في مكة، فاتصل عدد من رجالاتها بالملك عبد العزيز، فأرسل الملك خالد بن لؤي للدخول مكة، وطلبوا منه أن يدخلها بأمان فدخلتها قوات الملك محرمين مهللين مكبرين في (١٧)ربيع الأول سنة (١٣٤٣) الموافق ١٩٢٤/١٠/١٥م، وعند دخول القوات السعودية أعلن خطاب من الملك عبد العزيز موجه إلى أهل الحجاز أوضح فيه مآخذه على الشريف حسين، وأعلن فيه سياسته، وما ينوي أن يفعله في الحجاز ومكة وعامل أهل مكة بالحسنى، وأعلن الاجراءات التي سيتخذها من خلال تدبيره للأوضاع، وفي (٨)جمادى الأولى وصل الملك مُعتمرًا إلى مكة، وأقبل عليه السكان مرحبين به، ومبايعين له بالحكم، ووعدهم بإزالة المظالم وتطبيق الشريعة، وتحقيق الأمن وغير ذلك من الضروريات التي لا يستقيم أمر المجتمع إلا بها، وبقي الملك عبد العزيز في مكة شهرًا وعندما فشلت المفاوضات التي حرص على أن تتم مع الشريف علي لصلحٌ بينهما زحف بقواته إلى جدة، وعسكر في الرغامة شرق جدة، وبدأ في محاصرتها جدة توالي وصول الإمدادات إليه من كافة أنحاء البلاد، الأمر الذي زاد من قوته وحسن من موقفه العسكري، وفي أثناء حصار جدة أرسل الملك عدة سرايا للمناطق القريبة إلى الليث، والقنفذة، ورابغ، وينبع فخضعت كافة هذه المناطق، وبالتالي استطاع الملك من خلال خضوع هذه المناطق وتأمينه للطرق وسعيه لاستتباب الأمن، وضبط الأمور في كل المناطق المحيطة بمكة فأصدر إعلانا للمسلمين أن السبل إلى مكة ميسرة وآمنة لمن أراد أن يحج فكانت هذه دعوة منه للمسلمين بأداء هذه الشعيرة، وتوجه في ذي القعدة إلى مكة لأداء الحج، وللاهتمام بأمر الحجاج والإشراف على حركة الحجيج، وقدم إلى مكة الآلاف من الحجاج من داخل البلاد وخارجها، وأدى الجميع حجهم بكل أمنٍ واطمئنان، وكان هذا الثمرة التي نتجت عن ضم (مكة) تحت نفوذ الملك عبد العزيز، وجهده الذي بذل لتأمين راحة الحجيج، والتسهيل عليهم وتأمين متطلباتهم، فكان له أثر طيب معنويا واقتصاديا وسياسيا، استمر الملك عبد العزيز في ارساله عدد من السرايا)، وكان أهمها تلك الفرقة التي حاصرت المدينة، وشددت الحصار عليها فجعل كبار رجالاتها يفضلون الدخول في طاعة الملك، ففاوضوه على أن يأمن السكان دمائهم وأموالهم، وبذلك دخلت المدينة تحت حكم الملك في (١٨)جمادى الأولى سنة (١٣٤٤هـ . ٣ /١٢ /١٩٢٥ م)، وكان لخروج المدينة من سلطة الشريف علي لصالح الملك عبد العزيز من جهة، وكان له أثر سلبي كبير على معنويات الشريف وقواته وأتباعه، الأمر الذي أتاح للملك الاستيلاء على أسلحة حديثة ومعدات حربية كثيرة، وزاد من مكانته السياسية وتأييده في مختلف أنحاء الحجاز، في الوقت الذي قلت فيه من خلال حصار جدة الأطعمة وأصبح الوضع حرجًا ومياه الشرب والمؤون قَلَّت، ودَبَّ الذعر والخوف في نفوس السكان، وأعلن الملك عفوه العام لمن يغادر جدة إلى مكة، فشجع عدد كبير من المحاصرين للخروج وشجع الكثيرين من كبار رجالاتها، ومن قواتها النظامية على مغادرتها، وأمام هذا الوضع الحرج والضغوط وتردِّي أوضاعه اضطر الشريف علي أن يفاوض الملك حول التسليم، واتفق الطرفان بعد مفاوضات قصيرة بدأت في الأول من جمادى الآخر سنة (١٣٤٤هـ) *واتفقا على النقاط أو البنود التالية:*

١/ تنازل الشريف علي عن ملك الحجاز، والرحيل عنها بممتلكاته الشخصية.

٢/تسليم كل ما هو ملك لحكومة الحجاز من أسلحة ومعدات، ومنشأت وغير ذلك للملك عبد العزيز.

٣/يضمن الملك سلامة الموظفين العسكريين، والأشراف والسكان، وعدم التعرض لهم ومنحهم العفو العام و تأمين احتياجاتهم من الغذاء والمؤون مما يهيئ لهم حياة معيشية كريمة..

غادر الشريف علي جدة في (٦)من جمادى الآخرة سنة (١٣٤٤) موافق (٢١ /١٢ / ١٩٢٥م)، ودخلها الملك وبذلك توحدت منطقة الحجاز مع نجد وعسير والمنطقة الشرقية تحت حكم الملك عبد العزيز ..

منطقة جازان:

سبق أن أعطيت معلومات أوضحت كيف بسط الإدريسي نفوذه على جازان أو المخلاف السليماني، فبعد وفاة محمد بن علي الإدريسي عام (١٣٤١هـ) حدث نزاع في السلطة بين أفراد أسرته وأدت هذه المنافسات إلى إضعاف الإقليم كثيرًا، فجعله مطمعًا لحاكم اليمن، فاستغل ذلك النزاع، واستولى على جزء كبير من الأملاك الجنوبية والشرقية من الحديدة، وإلى الشمال والشرق منه وللحفاظ على بلاده وحمايتها من أطماع حاكم اليمن رأى الحسن بن علي الإدريسي أن يحصل على حماية الملك عبد العزيز، خصوصًا وقد ضم الحجاز إلى حكمه ، فعقدت بين الطرفين سنة (١٣٤٥هـ)

معاهدة مكة أدت إلى اتفاق بينهم، تكون بموجبه الأمور الداخلية بيد الإدريسي والأمور الخارجية بيد الملك ، وفي (١٣٤٩هـ) أسند الإدريسي الأمور الداخلية للملك فأرسل مندوبًا عنه، وبذلك توحَّد مع الأقاليم السعودية..وفي (١٣٥١) عاد الإدريسي وحاول أن يقوم بتمرد ضد تبعيته للملك، فقام بالقبض على الأمير بعد محاصرة مركز الإمارة، لكن أرسل الملك قوات متتالية إلى المنطقة استطاعت إخضاع الإدريسي وإنهاء تمرده وفراره إلى اليمن، وعفى الملك عن المشاركين معه وسمح لهم بالعودة إلى المنطقة أما الإدريسي وعائلته بقوا في اليمن بناء على رغبتهم، وبذلك تمَّ تأكيد خضوع المنطقة للملك، وتوحيدها وبهذا نكون قد غطينا جميع مناطق السعودية، يتبقى لدينا ما يرتبط بالأحداث السياسية التي حدثت في أثناء جهود الملك في توحيد البلاد، ومنها مشكلتين داخليتين هما مشكلة الإخوان ومشكلة حركة بن رفادة..

مشكلة الإخوان:

كنا قد تحدثنا عنها وأوضحت كيفية نشوئها أو ما عرف بالإخوان وكيفية تأسيسها والهدف منها ونتائجها الإيجابية التي تحققت، المهم أنه حدث لهذه الحركة سلبيات أبرز هذه السلبيات:

عدم فهمهم للدين وبساطة فهمًا صحيحًا وولاء المنطوين فيها للزعماء وليس للحكومة المركزية أو للملك ، فتطرفوا كثيرًا وغالوا في الحكم على الأشخاص إلى أن شككوا في إيمان مَن لم يستوطن معهم الهجر فحرموا ذبائحهم وأباحوا الاعتداء عليهم، وأخذوا في إيقاف الناس واعتراضهم ومسائلتهم عن أصول الدين وأحكامه وتكفيرهم فأدرك الملك عبد العزيز خطورة هذا الغلو وأنه ليس من الدين في شيء، فاستفتى العلماء فأفتوه بأن ما يقوم به الإخوان مخالف للدين ويحتاج إلى الوقوف في وجههم وتنبيههم ومعارضتهم وبعد ضم الملك للحجاز زادت بوادر هذا الخلاف (الموقف من الإخوان وزعمائهم)، وبالتحديد حول استخدامات الملك للمخترعات الحديثة من برقيات وهاتف ونحو ذلك، وتعامله مع دول يرونَ بخطأ التعامل معها ، المهم أنه إذا كانت هذه الأسباب حقيقة كانت وراء سبب مخالفتهم للملك عبد العزيز، أو كان هناك خلفية طموحات سياسية أدت إلى هذا الخلاف وإلى هذا الخروج والتمرد؛ فاجتمعوا في مورد الأرطاوية وتعاهدوا أن يكونوا يدًا واحدة وصفًا واحدًا ضد من يخالفهم الرأي.

وقد واجه الملك عبد العزيز هذا الأمر بكثير من الصبر والحكمة، وتجنب مواجهة الإخوان وزعماتهم، وعمل على التقرب منهم ومناصحتهم وإظهار الود لهم، ولكن ما زادهم إلا نفورًا وتعنتًا واعتقادهم بقوتهم وقدرتهم على فرض الأمر الواقع ورأيهم، وهذا احتاج من الملك عبد العزيز أن يبدأ خطوات عملية لمواجهة الموقف وعدم تطوره...

المحاضرة الخامسة والعشرون

نواصل حديثنا عن مشكلة الإخوان، ففي رجب عام (١٣٤٥هـ) دعى الملك عبد العزيز إلى مؤتمر يُعقد في الرياض يحضره زعماء الإخوان، وفيه أعلن منهجه في الحكم وسياسته، وتمسكه بدين الله عقيدة وشرعًا وتطبيقًا، وطلب فتوى العلماء بما يرونه ورأيهم إن كان هناك مأخذًا عليه، وطلب فتواهم فيما يُؤخذ على الإخوان وما أنكروه عليهم، فأفتى العلماء بتوقفهم عند مسألة الهاتف ومسئلة البرقيات، وأنكر الإخوان من حيث الرسوم أو غير ذلك على بعض الخدمات، وربطو قضية الجهاد بالإيمان، بينما الإخوان كانوا مجتهدين فيها، وكانوا يرون أحقيتهم بالجهاد كيف ما أرادو ومتى ما أرادو، وبفتوى العلماء أكدو أنه لا يسمح بالخروج عن طاعة ولي الأمر إذ إنهم بايعوه على الطاعة وأمر الشرع يلزم على طاعة ولي الأمر وأن يعملوا بالبيعة، هذه الفتوى لم تغير شيئًا ولم تمنع بعض الزعماء، بل زادتهم على التمادي في خروجهم على الإمام، وأيضًا اعتدو على مناطق الحدود الشمالية في العراق أو الأردن، حيث إنهم سببوا إحرجًا شديدًا للملك مع تلك الجهات ومع بريطانيا ذات النفوذ في تلك المناطق، وأظهروا عدم قدرته على ضبط البلاد ومعاهدتهم مع تلك البلاد وبريطانيا واستمر المعارضين في تهديدهم، بل زاد نشاطهم بالتعدي على القبائل التابعة للملك وهذا أمر ينبغي مواجهته بكل صلابة وحزم، لدرجة أنهم اجتمعو في السبلة قرب الزلفى لمحاربة الملك ، وتوجه الملك إلى بريدة وأرسل إليهم الأمير عبد العزيز بن مساعد يحاول العمل على ثنيهم وإقناعهم وتلبية طلباتهم، وكان موسم الحج قد اقترب، ولم يكن يرغب بأن تقع مشكلة أو قتال في موسم الحج لما فيه من إزعاج للحجيج وما يثير مشكلة داخل البلاد تسبب بلبلة أو إخلالًا بالأمن، ولهذا أراد تأجيل حسم القضية إلى ما بعد الحج فذهب إلى مكة لرعاية شؤون الحجيج، وبعد موسم الحج عاد في ربيع الأول إلى الرياض، ودعى في ربيع الأول إلى مؤتمر كفرصة أخيرة حرص على أن يحضر زعماء الإخوان وزعماء القبائل، وخصوصًا المعارضين منهم لإقامة الحجه عليهم وتجديد بيعتهم، ولتقوية موقفه فيما سيتخذه من إجراء قد يضطر إليه

بالذات إذا لم يعدلوا عن معارضتهم وخروجهم على اجتماع الأمة ووحدتها وأعلن أنه لم يترك فرصة إلا وقد انتهزها، وأي حل إلى وبادر إليه، ولكن الإخوان وزعمائهم رفضوا كل المحاولات التي قدمها وحرص عليها الأمر الذي أستدعى أن يتخذ أمر لا معنى منه في هذا الصدد لعدم حضور زعماء الإخوان المؤتمر، و أجل الملك موعد افتتاح المؤتمر لإتاحة الفرصة لحضورهم ولكن لم يحدث ذلك، وفي (٢٢) جمادى الأولى بدأ المؤتمر الذي عُرف بالجمعية العمومية، وافتتحه الملك وأوضح به الظروف التي دعت لعقده، ثم أعلن تنازله عن الحكم إذا كان هذا يحل المشكلة، وإذا كان لدى أي إنسان شكوى علية أو على أحد عماله، ووجه سؤالًا إلى العلماء إذا كانوا يرونه مخالفًا للشرع في أي أمر من أموره، وإذا كانوا يرونه غير أهل للحكم، وصوت جميع العلماء بأنهم لا يرضون للملك عبد العزيز بديلًا وأعيد إعلان الفتوى التي سبق وأن أصدرها العلماء بشأن الأمور التي كانت سبب من الأسباب خلاف الإخوان، وجدد الجميع بيعتهم للملك وثقتهم فيه، وفي حكمه وسياسته، وفوضوه باتخاذ ما هو مناسب بإدارة شؤون البلاد وفي مقابل ذلك لم يغير زعماء الإخوان معارضتهم وأعلنوا أنهم القائمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، وعادوا بمهاجمة بعض القبائل الحدودية، بل هاجموا مصالح المسلمين، وأغاروا على عدد من القوافل التجارية، وقتلوا أصحابها، وهذا الأمر يُعتبر تعديًّا وحرابة وأمر بالاستعداد والتوجه إلى القصيم، ومن بريدة انطلق في العشر الأواخر من رمضان عندما تكاملت قواته إلى الزلفي، حيث كان تجمع الإخوان في هجرة الأرطاوية القريبة من الزلفي، ولم تنجح المحاولات الأخيرة لثني زعماء الإخوان عن معارضتهم، ونزولهم على حكم الشرع من ما قاموا به من اعتداءات وقتل، وإنذرهم الملك الإنذار الأخير وإلا سيهاجمهم، ولم تمضِ أقل من ساعة من بدء الهجوم إلا وقد أخذوا بالانهزام، ولم يرغب الملك بتعقبهم خوفًا من تعرضهم إلى القتل، وانتهت المعركة التي سُميت بمعركة السبلة، والتي وقعت في (١٩)شوال سنة (١٣٤٧هـ في ١٩٢٩/٣/٣٠م) بانتصار حاسم للملك ، وقام الملك بعد هذه المعركة نتيجة لها بالقبض على أحد زعماء الإخوان، وهو ابن بجاد، وأرسله إلى سجن الرياض، وكان فيصل الدويش أحد زعماء الإخوان قد أصيب إصابات في المعركة، وعالجه الملك، وعفى عنه، وأرسل الملك ابنه الأمير سعود إلى هجرة الغطغط القريبة من القويعية القريبة من الرياض لهدمها وهدم هجرة كانت تسمى بهجرة بن بجاد، واعتقل عدد من الوعاظ الذين حرضوا الإخوان على التمرد وشجعهم على محاربة الملك وانتصار الملك عبدالعزيز لم ينهي المشكلة ، فقد أمر أمراء المناطق بجمع السلاح والخيل من القبائل التي لم تقف معه وخرجت عليه وتسببوا في الاعتداءات ورفعوا السلاح في وجه الأمراء، وواجه هذه الخطة الكثير من المعارضة، والكثير من النزاع بين القبائل أو بين أولئك الأفراد وأمراء المناطق الذين عملوا على جمع السلاح، وهذا الأمر أدى إلى حدوث حالات قتل خصوصا في المناطق الشمالية الشرقية، وبالتالي عادت المشكلة من جديد وتجمع الإخوان مرة أخرى للموجهة واتفق زعمائهم لاتخاذ رأي واحد في مواجهة الملك وبعد عودة الملك من الحجاز، وما حصل من اتفاق زعماء الإخوان على محاربته وهو في طريقه إلى الرياض دعى القبائل التابعة له وقواته إلى أن تجتمع في الدوادمي وأعلن عزمه بمحاربة المتمردين، وأرسل عدة فرق إلى جهات مختلفة لمواجهة الإخوان وتفريق تجمعاتهم. وعقد مؤتمرًا في الشعراء في جمادى الأولى سنة (١٣٤٨هـ) وقرر من خلاله معاقبة الإخوان على إخلالهم بالأمن وخروجهم على إمام المسلمين وتجمعت بعض قوات الملك في الشوكي قرب الرياض في نهاية جمادى الاخرة، وأرسل بعض زعماء الإخوان يطلبون الأمان بعد أن رأوا الملك مُصِرًّا على مواجهتهم ووقف اعتداءاتهم، وكما عرفنا عن الملك من تحليه بالمرونة والحكمة والعفو عند المقدرة عفا عنهم، وأمَّنهم مع علمه أنهم كانوا مضطرين لهذا الطلب وأيضا أراد أن يستميل اليه القلوب وعدم استخدامه القوة التي قد تتولد منها حزازات وفي (٢٨) رجب هاجمت قوات الملك مواقع الإخوان الذين أصروا على تمردهم وخروجهم واستطاع القضاء على تلك التجمعات والاستيلاء على ما لديهم من إبل وخيل وطعام وخيام، وأدى هذا إلى تفرقهم وتشتت أمرهم، وتتبع جماعات الإخوان والعمل على القضاء عليها فأدى إلى إضعافهم، وأدى إلى خروجهم من المناطق التابعة للملك إلى مناطق خارجية، وهذا ماحدث عندما فر زعماء الإخوان إلى الكويت إلى منطقة الجهراء، واضطروا أن يستسلمو للسلطات هناك، وبالتالي تمَّ تسليمهم إلى الملك الذي أمر بسجنهم وأمر بتحكيم الشرع فيهم وانتهاء هذه المشكلة.

المشكلة الأخرى هي: حركة ابن رفادة وملابستها لقد خضعت منطقة الشمال الغربي ((تبوك)) وجنوبها وحتى عسير والمدينة المنورة للملك وبخضوعها جميعا للملك عبدالعزيز فحامد بن رفادة أحد زعماء قبيلة بلي الذين تمردوا في شمال الحجاز بعد عام (١٣٤٧هـ) بعد خضوع المنطقة للملك، وبتشجيع ودعم من الشريف حسين الذي خرج إلى الأردن لكن فشل تمرده، ولم يستطع أن يحقق مراده في هذا التمرد واضطر إلى الفرار إلى مصر، وعاد إلى الأردن مرة أخرى في أواخر سنة (١٣٥٠هـ)، وحصل على الجنسية الأردنية، وبدأ بتشجيع من الشريف من جديد بحركة تمرد ثم بدأ يعد رجال قبيلته للثورة من جديد، وبدأت الأسلحة تأتيه من الأردن، وأمر الملك الأمير عبد العزيز بن مساعد أن يبعث العديد من السريا إلى المنطقة الشمالية لتتجهز لمواجهة هذه الحركة، وأمر بمجموعات الإخوان بالمرابطة بالطائف وعمل كافة الاستعدادات والاحتياطات لمواجهة الأمر، وأمر القوات النظامية بالحجاز بالاستعداد لأي طارئ، واتصل ببريطانيا لتحذيرها بأن تقدم أي مساعدة أين كانت هذه المساعدة لابن رفادة وقام الملك

رغبة منه بتقليل الخسائر على الطرفين باستدرج ابن رفادة إلى داخل المنطقة حتى إذا وصل إلى جبل شار على بعد (٥٠ كيلو متر) عن ظبي حاصرت القوات السعودية في (٢٦) ربيع الأول (١٣٥١هـ)، وقبضت عليه رغم محاولته للفرار إلا أنه لم يتمكن من ذلك وقاوم ولكن قضي عليه وعلى أتباعه وبهذا انتهت الحركه ونكون في هذا قد أنهينا كافة الأحداث والتطورات التي شهدتها جهود الملك في توحيد البلاد وتأسيس هذا الكيان.

بعض الموضوعات التي قد تكون لها فائدة والتي ترتبط بعلاقاته خارج البلاد:

١. فيما يتعلق بالعرب والمسلمين أقام الملك علاقات ترتبط بروابط الدين والدم والجوار والأخوة إسلامية والعربية مع كافة الدول الأسلامية، وعلى التعاون الوثيق بين هذه القوى.

٢-الحرص على إقامة علاقة قوية ومتينة مع الدول الإسلامية والعربية برغم ما شاب العلاقات بينه وبين بعض تلك الدول من توتر في بعض الاحيان مثل ما حدث مع الكويت واليمن أو مع الأردن ونحو ذلك من أمور ولكن كان رحمة الله حريصاً على إقامة علاقات قوية أخوية تحمل الخير برغم ما تحمله من أذى كبير ولكن لأنها تحمل الخير للمسلمين عامة وللعرب خاصة يسودها السلام والوئام الأخوي، وأن تكون هناك اتفاقيات تنظم العلاقة بما يتعلق بجوانب الحدود اوالجوانب الاقتصادية وغيرها من القضايا الأخرى.

٣-حرص . رحمه الله . على إقامة علاقة متوازنة مع القوى الموجودة في المنطقة، كالدولة العثمانية وبريطانيا من أجل مصالح بلاده بدرجة الأولى وأنه كان يدرك قوى تلك الدول وضرورت تأمين جوانب ومصالح دولته، من سطوة هذه الدول وخصوصًا بريطانيا التي أصبحت صاحبة نفوذ قوي في المنطقة بعد هزيمة الدولة العثمانية، سواء في شمال شبه الجزيرة والعراق والأردن والخليج أذا هي حرصت على اعترافها به وإقامة علاقات رسمية، وهي بدورها حرصت على ألَّا يستمر موقفها السلبي من الملك وتوصلوا إلى عدة اتفاقيات بين الجانبين منها اتفاقية دارين التي وقعت عام (١٣٣٤هـ) واعترفت فيها بريطانيا بالملك وأخيرًا وقعت بين الطرفين اتفاقية جدة(١٨)ذي القعدة (١٣٤٥هـ)، وألغت كل الاتفاقيات السابقة، والتزمت بها بريطانيا واعترفت بالملك عبد العزيز بستقلاله التام داخليًا وخارجيًا.

المحاضرة السادسة والعشرون

في هذه الحلقة سأركز الحديث عن جوانب من النهضة في عهد الملك عبد العزيز، وفي جهوده في الإدارة والتطوير والتحديث.

فلسفة الملك عبد العزيز وسياسته في الإدارة والحكم:

أود أن أشيد بنقطة مهمة جدًّا فلسفة الملك عبد العزيز وسياسته في الإدارة وفي الحكم، وهي أن الملك عبد العزيز أوتي من الحكمة والمهارة والقدرة على إدارة شؤون البلاد بشكل يعطي كثيرًا من الفخر ويعطي الكثير من الجوانب المرتبطة بمسائل التحديث والتطور ، وتلك الرؤى التي ركَّز عليها الملك في ما يتصل في هذه القضية تلفت الانتباه، فهو رجل لم يستكمل توحيد المملكة، ركز على هذه القضية في منظور يرتبط بأهدافه ونظرته بعد التوحيد لهذه البلاد ولشعبها وبالتالي كان يسعى في توحيد الوطن نجده يُبادر في خطوات طموحة إلى الأخذ بأسباب النهضة وتطوير المجتمع منذ فترة مبكرة، وأُشيرُ إلى مثال واضح هذا التوجه وهو «استيطان البادية» ونعرف أن استيطان البادية بدأ منذ فترة مبكرة لإدارة الملك وفي توجهاته الإدارية وهذا أمر في الواقع نلمس منه نوايا الملك في رؤياه في مستقبل البلاد ومواطنيه هذه إلمامه تبرز من خلالها الدور الذي قام به بإدارة شؤون البلاد وما يتمتع به من عقلية إدارية وسياسية من حكمة وحنكة والقادر بتوفيق الله على توحيد أجزاء البلاد وإشاعة الأمن في ربوعها وترسيخ الوحدة وان يدير البلاد إدارة ناجحة وأن يتلمس احتياجاتها وتأمينها هذه إلمامه تبين التوجه الإداري للملك في بنائه لهذا الكيان ولهذا الوطن الكبير وأشير إلى أسلوبه وسياسته في إدارة البلاد، ونعرف أن الملك اكتسب الكثير من الصفات الذاتية، والتجارب الخاصة التي كان لها أثرها في رؤاه المستقبلية في تطوير وتحسين الجوانب الإدارية في الدولة وتنظيمها وفي مقدمة هذه الرؤى:

١. تطبيقه الشريعة الإسلامية، وجعله الدين الإسلامي أساس المُلك والحكم تطبيقًا وشريعتًا ودستور الحياة فهو في هذا يطبع قواعد راسخة وقواعد متينة في مسألة التوجه العام لا من حيث الحاكم ولا من حيث البلاد فبتالي بنا جانب مهم في هذا الأمر.

٢. منذ دخل الحجاز استفاد من تنظيمات الدولة العثمانية في هذه المنطقة، مما يدل على عبقريته أنه راعى ظروف الحجاز الخاصة، وتعامل معها بحكمة ومرونة، واستفاد من تلك التجارب في ذلك التنظيم ليس فقط في الحجاز، ولكن في جميع أرجاء البلاد، وهذا جانب بالغ الأهمية يدل على

النوايا الإصلاحية للملك والأهداف التي أراد أن يستفيد منها في الحجاز لتطوير وتحديث البلاد، لم يرفضها لأنها من أعدائه، بل وجدها تمثل عناصر مهمة في سبيل التحديث والتطوير فاستغلها واستفاد منها لتحقيق هذا الغرض *وأول مابدأ في هذا الشأن:*

١/ أمر بتشكيل «المجلس الأهلي» ويتكون من جهاز يتولى إدارة شؤون الحجاز في كافة جوانب الاهتمامات الحكومية والإدارية، وأبرز هذه الجوانب أنه عهد الى هذا المجلس النظر في أمور المحاكم والأوقاف والأمن والبلدية والصحة والبرق والبريد ونلاحظ أن هذه الأشياء ذات مساس وثيق بحياة الناس واحتياجاتهم، وبالتالي كون هذا المجلس للأشراف والمتابعة والتطوير لهذا الجانب، وبداية وضع ابنة الأمير فيصل نائبًا عنه على الحجاز وكأنه يضع مسئول على رأس السلطة لأن مقر الحكومة في الرياض فتنقله بين الرياض ومكة وإقامته في مناطق من البلاد تستدعي وجود نائب عنه في الحجاز فكانت خطوة مهمة وبهدف المتابعة اللصيقة والوثيقة في إدارة البلاد وتطوير شؤونها وتحديث أمورها . ٢/في سنة (١٣٤٤هـ) شكل هيئه لوضع تنضيمات إداريه للحكومة، ونتج عنها صدور ما يُعرف بالتعليمات الأساسية للملكة الحجازية كان أبرز هذه التنظيمات أن البلاد لا تقبل التجزئة أي كأنها أسس وقواعد للحكم ولا الانفصال وأنها شورية إسلامية مستقلة في أمورها الداخلية والخارجية وأن إدارتها بيد الملك الذي هو مقيد بأحكام الشرع قبل قليل أشرت الى هذه النقطة التي أوضحا الملك في أكثر من خطاب وأكثر من مناسبة اعتزازه بهذا الجانب وأمر لتأكيد هذا المنهج بإنشاء مجلس الشورى يرأسه النائب العام وهو الأمير فيصل نائب عام الملك في الحجاز، وشكل أعضائه ثمانية من ذوي الفضل، وذوي الخبرة من رجالات المنطقة ورجالات مكة. وفي عام (١٣٤٥هـ) أمر الملك بتشكيل مجلس تنفيذي من رؤساء الدوائر الحكومية لمساعدة النائب العام في مهماته الإدارية وتطور هذا المجلس في سنة (١٣٥٠هـ) وهو ما عُرف بمجلس الوكلاء، وكان يرأسه النائب العام وعضويته ووكيليه للإداره الخارجية والإداره المالية، ورئيس الديوان ومعاونه إضافة لرئيس مجلس الشورى، وهذا المجلس أصبح في سنة (١٣٧٣هـ) مجلس الوزراء هذا ما يرتبط بالحجاز وتحديداً في مكة ويشمل الحجاز عموماً وفي نفس الوقت يستفاد من هذه التنظيمات في مناطق أخرى من المملكة التي أوضاعها تتطلب نوعاً من الخصوصية والتنظيم الإداري على سبيل المثال في نجد.

. في نجد كانت هناك عدة أجهزة، وعدة مجالس في إدارة شؤون البلاد، وكان في مقدمتها المجلس الخاص برآسته . رحمه الله . ويحضره أخوه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن، وابنه سعود، ومن يحملون لقب وزير، وعدد من المستشارين الذين يتم اختيارهم من المواطنين، وهناك أيضًا الشعبة السياسية، والتي تعني بشؤون الخارجية والأمور السياسية، وهناك الديوان الملكي ويُعنى بالشؤون الداخلية لمنطقة نجد والمناطق المحيطة بها، وهناك عِدَّة شعب ذات اختصاصات حكومية مثل شعبة البادية، والخاصة الملكية، والمحاسبة، والأعطيات، والاهتمام بالوفود، والضيافة وبقيت المناطق الأخرى تكاد تكون نفس الأسلوب في الإدارة، وبنفس الوقت ترتبط ارتباط مباشر حسب قربها وبعدها من مركز الدولة، ونعرف أن كثيرًا من المناطق كانت تحت إشراف ومتابعة نائب الملك في الحجاز ومنها ما كان تابعًا لمركز الدولة في الرياض، ومنها ما كان تحت متابعة وإشراف أمير المنطقة الشرقية، وهكذا كان التوزيع بشكل عام، أو الترتيب، أو الأشراف، والمتابعة لتلك الأقاليم.

٣. جانب تنظيمي آخر يرتبط باسم المملكة العربية السعودية، وهذا أخذ بعض الوقت لكي يصل إلى هذا المسمى وهذا عندما أطلق على الملك عبد العزيز بعض الألقاب من علماء الدولة عامة، وعلماء نجد خاصة كانوا يطلقون عليه لقب «الإمام»، واستمر يحمل هذا اللقب حتى وفاته، وأيضًا حمل بعض الألقاب الأخرى سواء كانت رسمية أو غير رسمية مما عرف في أوساط شعبية ؛ فاتخذ لقب في المناسبات الرسمية وهو «سلطان»، و«أمير»، و«شيخ»، وعُرف أيضًا بـ«والي نجد وقائدها»، وعُرف بلقب «الباشا»، وعُرف بـ«حاكم نجد والإحساء والقطيف»، وعُرف بـ«سلطان نجد وملحقاتها»، وعُرف بـ«ملك الحجازو سلطان نجد وملحقاتها» ، هذا ما أُطلق عليه في العديد من المناسبات والعديد من مراحل التوحيد وبناء الدولة ففي عام (١٣٣٩هـ) عقد مؤتمر في الرياض تقررًا فيه أن يكون لقبه . رحمه الله . سلطان نجد وملحقاتها.

. في (١٣٤٤هـ) بعد ضم الحجاز ومبايعة أهل الحجاز ملك عليهم فأصبح ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

. في عام (١٣٤٥هـ) بايعه أهل نجد ليكون ملك عليهم وأصبح لقبة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.

. في الشهور الأولى من سنة (١٣٥١هـ)، أصبحت الظروف مناسبة لتوحيد البلاد رسميًّا تحت اسم واحد، فصدر في (٢٧)جمادى الأولى (١٣٥١هـ) مرسوم ملكي بتوحيد البلاد باسم المملكة العربية السعودية اعتبارًا من (١٢)من الشهر المذكور الموافق (٢٣)من الشهر التاسع سنة (١٩٣٢م) وأصبح لقبة ملك المملكة العربية السعودية.

٤. التنظيم المالي:

إن جوانب التنظيم المالي المختلفة لا يختلف كثيرًا على ما كان عليه الحال في عهد أسلافه حكام الدولة السعودية بعهديها الأول والثاني، وبالذات ما يتصل بإيرادات الدولة أو مصادر الإيراد والذي في بداية أمره كان يعتمد على مصادر محدودة ومتعددة في مصادر معينة لا تكون بشكل كبير، وأبرز مصدرين للدخل في ذلك الوقت:

أ/الزكاة.

ب/ الغنائم غنائم المعارك والسبي ونحو ذلك وفي بعض الأحيان كان يفرض رسم مالي على من لم يشترك في المعارك أو لم يدخل ضمن قوات الدولة وكان يسمى هذا بالرسم المالي للجهاد.

جـ/ الجهاد: وهو فرض رسم مالي لمن لم يشترك في المعارك أي أن الشخص كان يدفعه بديل عن مشاركته في الحروب.

د/ أحياناً كان رحمه الله يقترض من التجار احتياجاته من الأموال، وهذه في حد ذاتها دلالة واضحة على ضآلة إيرادات الدولة ومحدوديتها.

هـ/ بعد ضم الإحساء والقطيف استحدث مصدر آخر يرتبط بالجمارك، ونعرف بأنه المنطقة تجارية، وعلى البحر وبالتالي ستكون معبر وميناء تجاري للبضائع والسلع، وأضيف لإيرادات الدولة مصدر آخر للجمارك على البضائع الوارده، وفي مقابل هذا كانت الغنائم تقل فعندما يضم الملك منطقة هذا يعني أنه يرتقي إليه مصدر دخل يرتبط بالغنائم أي ما تخلفه المعارك، وبالتالي تقل هذه الإيرادات من هذا المصدر فيحتاج الى تنمية مصادر أخرى في منطقة الحجاز جَدَّ مصدر يرتبط بالجمارك أيضًا، ونعرف ميناء جده وموانئ أخرى فيها، فلابد أن يستجد تبع لذلك مورد الجمارك.

بطبيعة الحال هذه المصادر لا تفي بحاجة الدولة ومتطلباتها من تطوير تحديث، فتطلب الأمر للملك البحث عن مصادر دخل ضرورية لتواكب تطلعاته الإدارية والإصلاحية، وكان الخبر الذي سار علي يديه بتوفيق الله هو تدفق النفط وتصديره، وبالتالي أصبح المورد الأساسي لخزينتها.

كانت أولى الخطوات التنظيمية للأمور المالية، وما يتعلق بالنظام المالي أمر بتاليف لجنة لدراسة الأوضاع المالية في منطقة الحجاز وأنشأ إدارة مالية في هذا الجانب سنة (١٣٤٤هـ) بعد عامين وحدت جميع الإدارات المالية بإدارة واحدة سُميت مديرية المالية العامة، ثم تحولت إلى وكالة في العام التالي، ثم في عام (١٣٥١هـ) تحولت إلى وزارة.

المحاضرة السابعه والعشرون

نواصل الحديث في الموضوعات الإدارية والتنظيمية في فترة حكم الملك عبد العزيز، إلى أن وصلت إلى الاعتماد على البترول كمصدر أساسيٍ، مما يتصل بإيرادات الدولة وما يتصل بأوجه الإنفاق، نستكمل الحديث عنها فقد كان من بين هذه التنظيمات المرتبطة بالنفقات والصرف على أجهزة الدولة وأوجه الحياة فيها. ضمن هذه الخطوات:

. أن أمر الملك لتأليف لجنه لدراسة الأوضاع المالية في البلاد وبالتالي نتج عن هذا إدارة تختص بذلك وبداية نشأتها سنة (١٣٤٤هـ) وبعد عامين وحدت كافة الادارات المالية في كافة أنحاء البلاد وارتبطت بمالية واحدة مشرفة على بقية الادارات الأخرى وهذه الإدارة وحدت بما يعرف بمديرية المالية العامة وهذه تحولت بالعام التالي إلى وكالة المالية العامة ومن ثم في سنة (١٣٥١هـ) أصبحت وزارة وتضم هذه الوزارة العديد من الاختصاصات، وليس بالضرورة أن تكون اختصاصات مالية وليست حِكرًا عليها فكان فيها العديد من الاختصاصات الغير مالية مثل (الدفاع . الأمن . الزراعه . البرق والبريد . الاشغال العامة . التعدين)، و مثل هذه ليست من اختصاص وزارة المالية، ولكن لعدم وجود وزارات تخدم هذه الاختصاصات ، فلابد أن تظم إلى إدارة تشرف عليها وترعى أمورها، وفي (١٣٧٣هـ) نجد أن كافة هذه الادارات مستقلة ثم تحولت إلى وزارات حكومية تتولى الأشراف على الصرف بدرجة الأولى ونعرف أن أوجه الصرف تعددت كافة احتياجات الدولة ومواطنيها، فنجد التعليم والمواصلات والصحة ونجد كثير من أوجه الانفاق التي تضطر الدولة في بعض الأحيان الى الاستعدادات لمتابعة و تأمين احتياجاتها النقدية.

. النظام النقدي:

لم يكن للدولة عند تأسيسها عملات نقدية من وضع الدولة، لكن هناك عدة عملات متنوعه في مناطق البلاد المختلفة منها العثماني والبريطاني والنمساوي، ويطلق عليه الجنيه الفرنسي، ومنها هندي والى غيره من العملات، التي كانت تستخدم في أنحاء البلاد وعند بداية ضم الملك عبد العزيز الحجاز أصدر عملة نحاسية من فئة القرش، وذلك في سنة (١٣٤٤هـ)، وبعد عامين ١٣٤٦هـ صدر أول نظام نقدي للمملكة، وصك الريال الفضي

بما يعرف بريال العربي السعودي، وهو من الفضة، وفي عام (١٣٧١هـ) أنشأت المؤسسة النقدية، وفي العام التالي أصدرت الجنيه الذهبي السعودي ممثل العملة الرسمية للدولة، وإضافة إلى العملات الورقية التي تعرف بإيصالات الحجاج، وهي من فئات ريال و٥ريال و١٠ريال ذات قيمة نقدية كانت تخصص للحجاج لتسهيل استخداماتهم النقدية والمالية في شؤونهم المختلفة.

٥. التعليم:

الأوضاع التعليمية عمومًا كانت ضعيفة ومعدومه في مناطق بالذات في البادية، لطبيعة البادية التي تعتمد على الترحال والانتقال والانشغال بلقمة العيش وعدم الاستقرار كل هذا جعل بيئة البادية تكاد تكون خالية من المظاهر التعليمية وفي بقية المدن والبلدات نلتمس نشاط ضعيف محدود ويرتكز على نمط للتعليم وأسلوب محدد ونوع معين من العلوم، وتكاد مكة والمدينة استثناء لهذا لأنهما كانتا من المراكز الثقافة إسلامية التي يعتد بها في ذلك الوقت، وكانت مراكز ثقافية استفاد منها كثير جدًّا من أبناء العالم الإسلامي الذين يرتحلون إليها لهذا الغرض، وبالتالي الوضع في مكة والمدنية نعده مختلفًا في هذا الشأن، وبالتالي استفادت جميع أنحاء البلاد بالاقتداء بمكة وتطبيق كثير من التنضيمات التعليمية ذات الصلة بالتعليم.

. التعليم الحديث:

وهذا استمرار لأهمية مكة والمدينة والدور الذي لعبتاه في تطوير التعليم والأخذ بمظاهر التعليم الحديث، فأن التعليم الحديث بدأت جذوره من هذه المنطقة وأن كان يعود للعهد العثماني منذ بداية القرن الرابع عشر ميلادي، فكان منه مدارس حكومية، ومدارس أهلية والمدارس الحكومية تصرف عليها الدولة والمدارس الأهلية كانت تعتمد على نفقة المحسنين أو على الأوقاف ونحو ذلك من أوجه الانفاق أو المخصصات وكان اهتمام الملك بالتعليم منذ فترة مبكرة، فقد أوردت ما يرتبط باستيطان البادية، وهذا النموذج سيتكرر ذكره أكثر من مرة لأهميتة ولإعطاء أمثلة لتوجه الملك لجهوده وأهدافه الإصلاحية فاستيطان البادية واستقرار أهل البادية إنما يصب في هذا الجانب، الذي حرص عليه الملك، ودلالة واضحة على التوجه الذي كان يعتمده الملك كخطط بعيدة المدى في هذا الجانب، ومن الأمثلة أيضًا أنه كان يقدر العلماء ويشجعهم ويكافؤهم ويحثهم على التعليم، وتعليم أبناء المواطنين وكان لا يخلو مجلسه دائماً من العلماء في سفره أو تنقلاته أو حتى معاركة و إقامته أو تحركاته العسكرية وفي سنة (١٣٤٤هـ)، وهي السنة التي ضم فيها الحجاز أمر بإنشاء مديرية المعارف العمومية والهدف منها هو أشراف ومتابعة ورعاية شؤون التعليم بصفة عامة وفتح المعهد العلمي السعودي لتخريج المدرسين، وذلك بعد عامين من إنشاء مديرية المعارف، وأيضًا أمر بإنشاء مجلس للمعارف وهو المجلس الذي أوكلت إليه بناء المدارس مساعدة المدارس الأهلية، فتح المعهد العلمي السعودي لتخريج مدرسين للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة، ثم بعد ذلك سنة (١٣٤٦هـ)، أنشأت ما كان يُعرف بمدرسة تحضير البعثات للإشراف والمتابعة على الأمور الابتعاثية، حيث بدأ منذ ذلك الوقت بإرسال أبناء البلاد لدراسة في الخارج، وبالذات في مصر تحديدًا لتطوير هذا الميدان، وتأمين الكفايات الوطنية لتولي أمور التدريس والتعليم، بذات المرحلة الابتدائية والمتوسطة وفي سنة (١٣٧٣هـ) تحولت مديرية المعارف العامة إلى وزارة تعنى بشؤون التعليم، وأول وزير للتعليم هو خادم الحرمين الشريفين الملك فهد والذي أولى اهتمام كبير لقطاع التعليم وشهد قفزات تطويرية مهمة في فترة توليه، وفي سنة (١٣٦٩هـ) أنشأت كلية الشريعة بمكة المكرمة لتكون نواة للتعليم الجامعي، وهذا دلالة على نضرة الملك المستقبلية لهذا الجانب، وهي نضرة طموحة تهتم بالمراحل المتقدمة لتعليم، وفي سنة (١٣٧٢هـ) افتتحت كلية المعلمين في مكة المكرمة، وفي العام التالي افتتحت كلية الشريعة بالرياض، والتعليم في عهده لم يرتبط بطابع معين فكان هناك مدارس حكومية و أهلية وكان هناك تعليم متدني وتعليم متقدم فقد تنوع طابع التعليم في عهده بمجالاته وأساليبه وعلومه وتقدم من متدني إلى متقدم، فكان هذا جل اهتمامه لعمل قواعد وأساسات مهمة لمستقبل البلاد، من جهة أخرى أن التعليم أصبح مجانيًا، وليس هذا نموذج فقط بل أيضاً كانت تصرف مكافأت لطلاب العلم في المرحلة الجامعية وبعض المعاهد وهذا يدل على تشجيعة وحرصة لتطوير هذا الميدان.

٦. الأمن:

كان من أولى اهتماماته قضايا الأمن في المجتمع، وكانت تلك القضايا محور لكثير من الجهود التي قام بها لتوحيد البلاد ونعرف سياسته وأسلوبه الأمر الذي أخذ حيزًا مهمًا من تفكير الملك واهتماماته وتوجيهاته في بناء الدولة وكثير من المشكلات التي تعرض لها وواجهها كانت بسب سعيه لاستتباب الأمن في ربوع الدولة، واتخذ الكثير من الجهود الرائدة وسن العديد من التنظيمات التي آتت ثمارها وأثبتت نجاحها وبرهنت على عبقرية تنظيميه تمتع بها وأصبحت على أثرها البلاد مضرب للأمن والاستقرار والرخاء وكان من الخطوات التنظيمية المهمة التي بادر لاتخاذها إنشاء مديرية الشرطة العامة سنة (١٣٤٤هـ)، وكانت مرتبطة بالأمن العام الذي كان يشرف عليه النائب العام للملك في الحجاز وكان مقرها مكة وأنشأت لها ادارات أخرى للشرطة والأمن في مناطق المملكة تحت رئاسة مدير الأمن العام، وفي سنة (١٣٥٤هـ) افتتحت مدرسة للشرطة لتخريج الجنود وصف

الضباط المرتبطين بإدارة الأمن، وفي سنة (١٣٦٣هـ) تحولت مديرية الشرطة العامة إلى مديرية عامة للأمن، وتبع ذلك تطوير أجهزته المختلفة وابتعاث رجالها للتخصص في شؤون الأمن العام وارتكزت قوات الشرطة في ذلك الوقت على عدد من القوات وعلى عدد من الوحدات مثل قوى المشاة، وجند المرور والخيالة وشرطة حماية وجميعها يتولى شؤون الأمن في المناطق الداخلية، ثم انشأ بعد ذلك جهاز يتولى الاهتمام بالسواحل اطلق عليه حرس خفر السواحل، وفي سنة (١٣٧٠هـ) انشأت وزارة للداخلية التي أصبحت مسؤلياتها خاصة بأمور الأمن وتنظيمه والإشراف عليه ومتابعة شؤونه المختلفة وجميع الأمور الأمنية والأمن ارتبطت بالملك عبد العزيز مباشرة.. ومن الأمثلة على ذلك: متابعته لكل صغيرة وكبيرة في قضايا الأمن، ويتابع كافة هذه الأمور في داخل المدن وبالبادية، ويتابع الأمراء ويحثهم على أن يولوا هذه القضية جل اهتمامهم وكثير من هذه الأحداث نلحظ أن من سياسيته الكثير من الجهد الذي تحمله في سبيل قضايا الأمن واستتبابه.

المحاضرة الثامنه والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..

نستكمل حديثنا عن الإصلاحات التي قام بها الملك عبد العزيز..(التعليم والأمن ونظام الحكم المالي)

٧. الجيش:

الجيش كان عماد الملك في تلك الفترة، وجهود التوحيد ترتبط ارتباط وثيق بالجيش، فكانت القوات متواضعه إلى حد كبير بدليل أن في جهود التوحيد مماثلة لما كانت عليه قوات أسلاف الملك عبد العزيز وهذه القوات تتكون من أفراد الحاضرة والبادية يتم وتجميعهم توزيعهم تبعًا لمناطقهم تحت قيادة أمراء المناطق الذين يتولون تجميع هذه القوات ويتولى الأفراد تمويل أنفسهم وتسليحها وبعد نهاية المعارك يعودون إلى بلدانهم ومواطنهم ليستأنفوا حياتهم الطبيعية.

بعد ضم الحجاز أدرك الملك أهمية تطوير قواته بشكل منظم يتناسب مع المستجدات الحديثة والظروف المحيطة، فابدأ أولى الخطوات سنة (١٣٤٨هـ) بإنشاء جيش سعودي منظم ومديرية الأمور العسكرية، ثم تطورت هذه المديرية مع مسئوليتها فيما بعد، وأضيف إليها وكالة الدفاع التي تولت مسؤلية إعادة تشكيل وحدات الجيش وقد اشتملت على عدد من الوحدات أبرزها كان سلاح المدفعية، وسلاح المشاة، وسلاح الفرسان، فكانت مع غيرها من الوحدات عماد الجيش السعودي في ذلك الوقت، وهي عبارة عن ألوية وكتائب وأنشئت مدرسة عسكرية في الطائف بغرض أعداد وتدريب أفراد القوات المسلحة وأفراد الجيش، في سنة (١٣٥٩هـ) ألغيت مديرية الأمور العسكرية وأقيم بدلًا عنها رئاسة الأركان الحربية، وفي عام (١٣٦٣هـ) تحولت وكالة الدفاع إلى وزارة تسارعت معها الخطى لتطوير هذا القطاع تنظيمًا وتطويرًا وتدريبًا وتسليحًا واستقدمت الكثير من الخبرات من الخارج، وبابتعاث أعداد كثيرة من أفراد الجيش لأيضًا التدريب والتطوير.. توالت عملية التطوير لتشمل افتتاح مدارس وإدارات عسكرية إضافيه وأبرز المدارس التي تم افتتاحها مدرسة طيران ومدرسة الصحة والإسعاف ومدرسة الإشارة واللاسلكي لتأمين احتياجات الجيش من العناصر البشريه المدربة والمتخصصة.

٨ . المياه والزراعة:

أبرز القطاعات التي حضيت من الملك باهتمام بالغ، نظرًا لأهميتها ولمساسها الوثيق بحاجة المواطنين ولو نظرنا إلى هذا القطاع لتبين لنا الكثير من الجهود التي بذلت لتوفير المياه، ومصادرها وتطوير الطرق الزراعية، وارتبط ذلك بإنشاء مديرية الزراعه سنة (١٣٦٧هـ)، والتي تحولت إلى وزارة سنة (١٣٧٣هـ) كل ذلك دعم وتطوير للجهود والاهتمام بالاستصلاح الزراعي، وبناء السدود وإقامة المشاريع الزراعية كمشروع الخرج الزراعي، ومشروع الري والصرف بالإحساء وغيرها من المشاريع التي كان لها أثر كبير في تطوير هذا القطاع..

٩. الرعايه الصحية:

كانت في مقدمة اهتمامات الملك ونعرف أهمية القطاع الصحي وصلته الوثيقة بالمواطن وتستدعي مزيدًا من الرعاية والاهتمام وهذا ارتبط بالكثير من الجهود التي خطتها الدولة وعملت من أجلها على تنمية هذا القطاع وجعله قطاع يتواكب مع بقية القطاعات الأخرى إن لم يكن يفوقها بهذا الجانب، فأصدر توجيهاته بالعمل على العناية والإشراف بها، أول ما صدر بإنشاء مديرية الشؤون الصحية التي تشرف على تنظيم الشؤون الصحية

داخل البلاد، وافتتح العديد من الفروع في كافة أنحاء البلاد وتطورت فيما بعد إلى وزارة الصحه سنة (١٣٧٣هـ)، ثم تطورت الوحدات إلى مستشفيات وإلى مستوصفات صحية تعمل على تقديم حاجة المواطن، أو الإشراف على القطاع الصحي، وقد تمَّ تأمين كافة الأجهزة والمستلزمات الطبية لمثل هذه المستشفيات والمستوصفات، ونلحظ الاهتمام الكبير في هذا الجانب دون غيره بصفة خاصة، ومن أمثلة هذا الاهتمام تشكيل فرق كانت تجوب أنحاء البلاد، ومناطق البادية ومضاربها وأماكن استقرارها وتقديم الرعاية الصحية لكافة السكان والمنتقلين والرحل في تلك المناطق.

تحولت المديرية إلى وزراة سنة (١٣٧٠هـ) وزاد من إشرافها على الشؤون والأمور الصحية، وارتبط بها تطوير الأيدي العاملة، وتلبية احتياجات هذا القطاع من العاملين فيه، فابتعثت أعدادًا كبيرة من أبناء البلاد للاستفاده وللحصول على تخصصات طبية متنوعة وابتعاث الفنيين على الأجهزة.

١٠. المواصلات والاتصالات:

وأدرك الملك منذ فترة مبكرة أهمية المواصلات والاتصالات في ربط مناطق المملكة وهذا إنما يعمل على خدمة جهود التوحيد والأشراف على كافة أنحاء البلاد ولما لهذا القطاع من أهمية في مجالات الأمن المختلفة وتحسين أوضاع السكان في معيشتهم، فبادر بإدخال وسائل المواصلات وأبرزها السيارات لما لها من أهمية في استخدامات الجهات الحكومية المختلفة، والسكن في سفرهم وتجارتهم ولما لها من أهمية في الخدمات المقدمة للحجاج والمعتمرين إلى مكة المكرمة والمدينة، ومن مظاهر هذا الاهتمام تعبيد الطرق بين المشاعر المقدسة، والمدن الرئيسة واهتم بالمواصلات الجوية، وأول ما أنشئت إدارة طائرات الخطوط الجوية السعودية، وكانت ملحقة بوزارة الدفاع، وتمَّ شراء العديد من الطائرات، والاهتمام بالمواصلات البحرية وتحسين الموانئ كل هذه أمثلة لاهتمامه بالقطاعات ذات الصلة الوثيقة بحياة السكان.. وهذه إشارة لنماذج من النهضة والتطوير الذي شهدته قطاعات متعددة، وظهر بوضوح الاهتمام الكبير من الملك بها، والجهود التي قام بها وهي البناء والإصلاح، بحيث قطعت الدولة في عهده أشواطًا مُتقدمه نحو التحديث والتطوير..أريد أن أنهي الحديث عن عهد الملك عبد العزيز وجهوده المباركة في توحيد البلاد وتطويرها ووضعها في سلم الرقي والتطور، فأشير هنا في خاتمة الى أن الملك عاش (٨٠) سنة حافلة بالأحداث المهمة التي سخرها لخدمة دينه وبلاده ومواطنيه، ونتج عنها هذه الوحدة المباركة، الفريدة التي لم تتحقق في شبه الجزيرة العربية منذ عصور الاسلام الأولى، وكل هذا نتيجة الجهود والنوايا الصادقة التي كان عليها لخدمة هذه الأرض المباركة، ونعرف بأنه اشتهر منذ طفولته واهتم بتنمية نفسه وتربيتها، خصوصًا أنه نشأ في أسرة حكم لها جذور تاريخية ممتده إلى فترة متقدمة بالقرن التاسع الهجري، ونشأ كما نشأ أبناء هذه الأسرة الكريمة، وتأدب بآدابها، وتطبع بما كانت تحمله من موروث كريم، الفروسية وفنونها منذ فترة مبكرة، والرماية والمبارزة وشهد منذ طفولته مشاكل الفرقة بين أفراد أسرته، وكيف كانت سببًا مباشرًا لإنهاء الدولة السعودية في عهدها الثاني، ثم عاش ريعان شبابه في غربة اضطرارية بعيدًا عن بلاده ومسقط رأسه ومرتع طفولته، فاجتمعت هذه الصفات التي حباها الله الملك مع التجارب التي مرت بها أسرته لتُكَوِّن لديه شخصية قيادية رائده وعبقرية فذَّة نادرة كان لها أبرز الأثر في ما حققه من إعجاز وقام بمهارة وعزيمة وتضحية نادرة وجريئة بتوحيد البلاد، وبدأ انطلاقته التوحيدية التي استمرت متوهجه وحيوية حتى وصل إلى هدفه المنشود بعد ربع قرن من الكفاح.. إشارة مهمة أريد أن أختم بها أن الملك عبد العزيز لم يستخدم القوة إلا في موضعها، وعندما تضطره الظروف لها، وعرف عنه أنه لم يستعملها إلا في مكانها، فلم يكن قصده لاستخدام القوة للفتك أو القتل أو للسيطرة، إنما لعدوٍ معتدٍ، أو لقاطع طريق، أو لعابث مفسد، مع ذلك حاول واجتهد في عدم استخدامها، ولم يطلب الحكم لهدف الحكم أو التسلط والسيطرة، فقد كان يريد الإصلاح وتوحيد الكلمة كانت قوته التي يريدها هي ذلك التوحيد لغرض العدالة والمساواة ورد الظلم ونصرة المظلوم.. أشير هنا إلى بعض المواقف التي تدل على عدم استخدامه للقوة رغم قدرته على استخدامها، وجهود التوحيد التي قام بها لم تكن جميعها استخدام هذا العنصربل بالسياسة وبعد النظر.

. مع الإخوان، وقد أشرت إلى المرونة والصبر منه في هذا الشأن، وحكمة بمداراة في معالجة هذا الموقف، ونتبين من خلالها أن الملك كان يملك القدرة، والقوة التي تمكنه من القضاء سريعًا عليهم ولكنه فضل الصبر، وفضل المعالجة بالمرونة والحكمة، ومثل هذه الأمور التي تقرب ولا تبعد وتلتئم منها فئات المجتمع، ويتحقق منها الإصلاح المنشود..

. موقفه من الجنود الأتراك عندما كانوا في القصيم في الشيحية وكيف تحمل تبعة نقلهم إلى المدينة وحمايتهم وقد دفع من ماله الخاص الأموال التي نقلتهم إلى المدينة، كل هذا رغم ما كان يملكه من قوة وقدرة على القضاء عليهم..

. مثال بسيط: بعض المناطق التي خرجت عن طوعه أو التبعية له مثل المجمعة التي كانت قريبة من الرياض ومع ذلك استخدم أقصى درجات المرونة والصبر معها، وهي القريبة من الرياض، ومع قدرته على إرغام أهلها بالقوة من الخضوع والنفوذ له، ولكنه فضل المعالجة الحكيمة حتى أتاه أهلها طائعين بعد فترة قصيره عندما وجدوا الحكمة والشخصية التي تجذب ولا تنفر والتي عملت بكل حكمة على توحيد القلوب قبل أن توحد الأرض..

هذا هو الملك عبد العزيز والذي انتقل إلى رحمة ربه في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول من سنة (١٣٧٣ هـ) في مدينة الطائف، ونقل جثمانه إلى الرياض، حيث دُفن في مقبرة العود.. وبهذا أكون قد أنهيت الحديث عن الموضوعات والمعلومات الخاصة بتاريخ الملك عبد العزيز، وتلك الجهود التي قام بها لتوحيد البلاد وما تبع ذلك من جهود تطوير وتحديث كافة الأجهزة وكافة قطاعات الدولة..

المحاضرة التاسعة والعشرون

نواصل الحديث عن الملوك الكرام الذين خلفوا الملك عبد العزيز، وهم أبناؤه البررة، «الملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد، والملك فهد»، ثم خادم الحرمين الشريفين «الملك عبد الله ـ حفظه الله ـ ».. وسوف يرتكز حديثي عن مولد كل شخصية، وعن الظروف التي ارتبطت بنشأته بإيجاز، وعن أبرز الأعمال التي قام بها قبل توليه الملك وبعد ذلك والتي عرفوا بها وشهدتها عهودهم المباركة وعن فترات حكم كل منهم، وأن أولئك الأبناء نهجوا نهج والدهم الملك عبد العزيز وإنما استمروا في نفس المسيرة، والخطوات، والأسلوب، التي بدأها رحمه الله ونظرته للأرض وسكانها والعمل على ما فيه رفاهية البلاد والعباد، والعمل بكل الإمكانات، والقدرات لتحقيق أقصى درجات الرخاء والرفاهية فالجميع ساروا على نفس النهج في سياستهم الداخلية والخارجية، وإذا كانت الداخلية تعتمد على تنمية كافة نواحي الحياة في المملكة والفرد والمجتمع وتسخير كافة الإمكانات له، والعمل على تطويرها، فنجد السياسة الخارجية التي تقوم على تعميق العلاقات بين الدول العربية والإسلامية، وإشاعة الأمن والسلم في كافة أنحاء العالم وإقامة علاقات صداقه مع الدول الصديقة غير العربية والإسلامية، لما يتحقق منها الخير لأبناء الأمة العربية والإسلامية ولما فيه مصلحة المملكة من جهة، ومصلحة قضايا الأمه العربية والإسلامية ، وارتبط اهتمام الدولة في سياستها الخارجية بتنمية العلاقات، وفي نفس الوقت تطوير هذه العلاقات وتوثيقها فكان هذا التوجه العام لحكام وملوك هذه البلاد، وبالذات بعد عهد الملك عبد العزيز هذه كقاعدة ننطلق منها في الحديث عن كل شخصية من أولئك الملوك الكرام الذين حكموا المملكة العربية السعودية بعد والدهم الملك عبد العزيز..

. الملك سعود بن عبد العزيز:

حكم بعد والده سنة (١٣٧٣هـ) ولد في الكويت في الثالث من شوال عام (١٣١٩هـ١٩٠٢م)، وهي السنة التي استرد فيها والده الملك عبد العزيز ملك آبائه وأجداده باستعادته للرياض عاصمة الدولة السعودية، وتلقى العلم ـ على يد عدد من العلماء، ونشأ في الرياض نشأة صالحة أتقن فيها أمور دينه ودنياه وعودة والده منذ نعومة أظفاره على تحمل الأعباء والمشاركة في جهود التوحيد والمسئوليات السياسية، وقاد عددًا من الحملات العسكرية وأصبح قائد للقوات المسلحة، وقام بالعديد من الرحلات الخارجية للدول العربية والإسلامية، ودول أخرى وأنابه والده لحضور عدد من المؤتمرات والاجتماعات العربية والإسلامية والدولية وفي (١٦ محرم سنة ١٣٥٢هـ) رفع مجلس الشورى، ومجلس الوكلاء، ورئاسة القضاء، طلبهم بمبايعة الأمير سعود بن عبد العزيز بولاية العهد، وصدر أمر ملكي بذلك في (٢٧ محرم سنة ١٣٥٢هـ) وأسند إليه رئاسة مجلس الوزراء في غرة سنة (١٣٥٧هـ) عند إنشاء مجلس الوزراء بعد وفاة الملك عبد العزيز وبويع ملك في (٤ ربيع الأول)عام ١٣٧٣هـ، ثم أعلن عن تعيين أخاه الملك فيصل وليًا للعهد، وظل في الحكم ١١ عامًا حتى سنة (١٣٨٤هـ)، وسار على نهج والده، وواصل مسيرة التقدم والازدهار في ظل تحكيم الشريعة الإسلامية، والأخذ بتعاليمها في كافة شؤون الدولة، ودعم قضايا الأمه العربية والإسلامية، وجعلها في محل عنايته واهتمامه، وسعى إلى التضامن العربي والإسلامي، ودعم الحقوق العربية والإسلامية في كافة المحافل الدولية، وتمت في عهده توسعة الحرم المكي الشريف وإضاءته، وكذلك توسعة المسجد النبوي، وشهدت البلاد في عهده مزيدًا من الاصلاح الذي بدأ في عهد الملك عبد العزيز، وشمل ميادين مختلفة، وأبرز هذه المشاريع التي شهدها عهده هو توسعة الحرمين الشريفين وكانت بداية وضع حجر الأساس لها في عهد الملك عبد العزيز سنة (١٣٦٨هـ)، ثم انتهاء العمل فيها سنة ١٣٧٥هـ وانتهاء أعمال التوسعة كانت أبرز الأعمال والمشاريع التي شهدها عهد الملك سعود ـ وكانت وفاته في (٦) ذي القعده سنة (١٣٨٨هـ ١٩٦٩م)، وبعد عمر مديد وحافل بالعطاء والجهد المتواصل في سبيل خدمة الدين والوطن والأمه والإسلامية ونتيجة ظروف صحية بُويع أخوه الأمير فيصل ملكًا على المملكة العربية السعودية في (٢٦ / ١١ / ١٣٨٤هـ)..

. الملك فيصل بن عبد العزيز:

ولد في الرياض في ١٤أو ١٨ صفر سنة (١٣٢٤هـ١٩٠٦م)، نشأ نشأة دينية صلاح، وتقى وإقبال على العلم تحت نظر ورعاية والده الملك عبد العزيز وجده لأمه وظهرت عليه علامات النجابة والذكاء منذ صغره، وصار يسابق الزمن في نبوغه ونضوجه العقلي، وقوة تفكيره وسرعان ما تجلت هذه الصفات و العلامات بمزايا رفيعة وأخلاق فاضلة أثبتتها سياسته وتوجهاته لخدمة البلاد والسكان، تحمل منذ صغره مسئوليات جسيمة ومهام عظيمة، وأظهرت نبوغه وقوة شخصيته وما كان يتمتع به من صفات قيادية وإدارية إلى جانب ذلك تمتع بمناقب فاضلة وصفات حميدة بالتواضع ولين الجانب والبساطة والحلم والتسامح كان شديد التمسك بالدين وكثير التفاني في خدمة الإسلام والمسلمين والدفاع عن قضاياهم، وحظي بشعبية عظيمة داخل البلاد وخارجها اكتسبها من حياة حافلة بالإخلاص والعمل الدؤوب، وأعمال خيره مثمره لمصلحة العروبة والاسلام، كلفه والده الملك ، ثم أخوه الملك سعود بالكثير من المهام والمسئوليات العسكرية والسياسية التي قام بها، وأثبت فيها براعة ومقدره كبيرين:

* في سنة (١٣٤٤هـ) اتخذه والده نائبا عنه في الحجاز وكان عمره عشرون سنة.

* في سنة (١٣٤٥هـ) اصبح إلى جانب منصبه رئيسا لمجلس الشورى.

* في سنة (١٣٤٩هـ) عين وزيرا للخارجية وفي العام التالي عين رئيسا لمجلس الوكلاء.

* في غرة صفر سنة (١٣٧٣هـ) أسند إليه نيابة مجلس الوزراء، ثم في (١٦) منه تولى رئاسة المجلس.

* بعد وفاة الملك عبد العزيز وتعيين الملك سعود ملك على المملكة بويع الأمير فيصل ولي للعهد.

* وفي عام (١٣٨٤هـ) بُويع ملك للملكة العربية السعودية.

***أبرز أعماله رحمه الله في اثناء ولايته للعهد**:في (٨ جمادى الآخرة عام ١٣٨٢هـ) تمَّ إلغاء الرق، وصدور النظام الأساسي للحكم، وصدور نظام المقاطعات، وصدور نظام استقلال القضاء، وإنشاء المجلس الأعلى للقضاء ووزارة العدل، ودعم التعليم وتطوير مراحله للذكور والإناث، ودعم وزارة الإعلام وتطوير أداءها ودعم إمكاناتها، وهذه أبرز أعماله في أثناء ولايته للعهد.

بعد توليه الحكم: رسم سياسة واضحة في علاقة بلاده الخارجية، وسعى إلى توطيدها مع الدول العربية والإسلامية والصديقة.. تنظيم وتطوير أجهزة وإدارات ومؤسسات الدولة اقتصاديًّا واجتماعيًّا والنهوض بكافة أوجه الحياة فيها.. الاهتمام بالتعليم والصحة ووضع الخطط المستقبلية للنهوض والتطوير بهما وزيادة الإنفاق عليهما وتطوير برامجهما وتنويعها بكافة الخدمات المقدمة للسكان من تعليمية وصحية واجتماعية.. الاهتمام والرعاية بشؤون الحج وأمور الحجيج الأمنيه والصحية.. وتوسعة الحرمين الشريفين ومد شبكة واسعة من الطرق في كافة أرجاء البلاد والاهتمام بالمواصلات البحرية وكل هذه أثبتت الهدف الإصلاحي والتطويري للملك فيصل وما قطعته الدولة في عهده من خطوات، وما تحقق من إنجازات أثبتت قدرة هذه الشخصية على القيادة، وعلى العمل وعلى الإنجاز وكانت وفاته (١٣ ربيع الأول ١٣٩٥هـ) بعد حياة حافلة بالعمل والعطاء والإصلاح.

. الملك خالد بن عبد العزيز:

ولد في ربيع الأول سنة (١٣٣١هـ / ١٩١٣م)، ونشأ نشأة دينية صالحة وتلقَّى العلم على يد عدد من علماء الرياض حتى أتقن أمور دينه، وتعلم القراءه والكتابة وعلوم الدين، وشب في بيت والده، وعلى أسلوبه في التربية والتعليم القائم على التربية الإسلامية، وعُرف عنه الرزانة وحضور البديهة، والتواضع والمروءة والشجاعة والتدين، وتحمل منذ صغره العديد من المهام والمسؤليات التي كلفه بها والده الملك عبد العزيز في جهوده لتوحيد البلاد، وشارك في العديد من المعارك التي صاحبت تلك الجهود، واكتسب العديد من التجارب والمهارات، وهو في سن مبكر، وعُرف عنه تفانيه في خدمة الدين والوطن، وعُرف عنه ثقافتة الواسعة بتاريخ الأسرة وتاريخ الصحراء، وتاريخ البلاد، والفهم الدقيق لتفاصيل ذلك ومختلف شؤونه، وعيَّن سنة (١٣٥٣هـ) مساعدًا للأمير فيصل عندما كان نائبًا للملك في الحجازوتولَّى مسئولية إدارة إمارة مكة ومسئولية مجلس الوكلاء وأوكل إليه والده مهام وزارة الداخلية سنة (١٣٥٤هـ) وقام بالعديد من الرحلات الخارجية وتمثيل المملكة بالعديد من الاجتماعات والمحافل الدوليه وفي سنة (١٣٨٤هـ) اختاره الملك فيصل نائبًا لرئيس مجلس الوزراء، ثم ولي للعهد تقديرًا لمناقبه العديدة وتفانيه لخدمة دينه وبلاده وبُويع في (١٣ ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م) ملكًا على المملكة العربية السعودية، وأسهم في نهضة المملكة، وبنائها الحضاري مستشهدًا بسيرة والده الموحد ومستنيرًا بخبرة أخويه الملك سعود، وفيصل، وبذل الكثير من الطاقات والجهود التي نقلت المملكة إلى مصاف الدول المتطورة في كافة المجالات، وشهدت المملكة في عهده وخاصة في قطاعاتها المختلفة تقدمًا ملحوظًا وتطورًا، خصوصًا في القطاعات الخدمية تحقيقًا لتنمية الموارد البشرية من جهة، وزيادة في رفاهية المواطنين والعناية بمصالحهم واحتياجاتهم في صبيحة يوم الأحد (٢١ شعبان ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م) كانت وفاته حيث أعلن عن ذلك بعد (٧ سنوات) من الحكم قدم فيها الكثير لشعبه وامته العربية والإسلامية..

. الملك فهد بن عبد العزيز:

ولد في الرياض سنة (١٣٤٢هـ /١٩٢٢م)، ونشأ في كنف والده الملك عبد العزيز وتحت رعايته وتوجيهه، وتعلم منه الشيء الكثير من خبرته وحنكته السياسية والإدارية، والتحق في طفولته بمدرسة الأمراء بالرياض، ثم التحق بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، وكان يحرص على حضور مجالس والده، وكان شاهدًا على صنع أنظمة الدولة، وإنشاء أجهزتها وإدارتها المختلفة، وحضر الكثير من مناقشات القضايا العلمية والسياسية والاقتصادية التي كثيرًا ما تحدث في مجلس والده، واكتسب من خلال ذلك تراكمًا معرفيًا وهو في سن مبكر، وقد كان له أبلغ الأثر في سياسته وإدارته للبلاد في أثناء فترة حكمه، وشارك في عهد والده الموحد بالعديد من المهام والمسؤليات بالمستويين الداخلي والخارجي، ومن ذلك مشاركته في عهود إخوته الملك سعود، وفيصل، وخالد بعدد كبير من المهام والمسئوليات والأعمال على المستوى الداخلي والخارجي ومثل المملكة في أكثر من مناسبة، وترأس وفود المملكة للعديد من المناسبات والمؤتمرات والاجتماعات الدولية، والإسلامية والعربية وأبرز أعماله توسعة الحرمين الشريفين وإعمارهما، وهو امتداد للتوسعات التي شهدها الحرم المكي والحرم المدني في عهود الملك المؤسس الملك عبد العزيز وعهود أبنائه سعود، فيصل، خالد وشهد الحرمان الشريفان في عهده أكبر توسعة في تاريخهما وأصبحت مساحة الحرم المكي (٣٥٦ ألف متر مربع) إضافة للخدمات الأخرى، كالتكييف ودورات المياه والسلالم الكهربائية والتجهيزات الكهربائية.. والمسجد النبوي أصبحت مساحته الإجمالية (١٦٥ ألف و٥٠٠ متر مربع) إضافه إلى الخدمات الأخرى، والتجهيزات الخاصة للزوار والمصلين، أيضًا جهزت ساحات محيطة بالمسجد بلغت مساحتها (٢٣٥ ألف متر مربع)، وهذا دلاله على ضخامة هذه التوسعه وكونها أكبر توسعة شهدها الحرمان الشريفان.. ومن أعماله مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والاهتمام به.. ومن أعماله (٢٧ شعبان ١٤١٢هـ) تبع ذلك صدور النظام الجديد لمجلس الوزراء في (٣ / ٣ / ١٤١٤هـ).. شهدت قطاعات التعليم والصحة والزراعة والمواصلات والصناعة في عهده الكثير من التطوير والتحديث والذي فاق كل التوقعات صاحب هذا التطوير إصلاحًا إداري كبير وضخم شمل كثير من قطاعات الدولة وتحولت بعضها إلى وزارات، وتم إنشاء واستحداث وزارات جديده وإقامة الكثير من المشروعات التنموية وقامت الكثير من المدن الاقتصاديه والهيئات المرتبطه بها.. وكانت وفاته في ٢٦ / ٦ / ١٤٢٦هـ بعد حياة حافلة بالعمل والعطاء وبعد أن قدم لبلاده ولشعبه ولأمته العربية والإسلامية الشيء الكثير .

المحاضرة الثلاثون

نتحدث في هذه المحاضرة الأخيرة عن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز..

. خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز:

ولد في ربيع الثاني (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، ونشأ ملازم لوالده المؤسس الذي كان معلمه الأول، لذا تأثر تأثرًا كبيرًا في مجالات الحكم والسياسة والإدارة والقيادة واستمد من والده سجايا عديدة أثرت في تكوينه وتفكيره وسلوكه، وتلقى تعليمه في مدرسة القصر ودرس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ودرس علوم شتى من الأدب والعلوم الإنسانية وغيرها، وكان شغوفًا بالقراءة والاطلاع والثقافة تأثر من والده بحب الصحراء، وبالوضوح والصراحة وحسن الاستماع تأثر بالكثير بالواقع من الصفات التي برزت وتظهر على شخصيته من ذلك الصدق واحترام الآخرين والإنسانية والعطف، ونحو ذلك من الصفات التي نلحظها وأثرت كثيرًا في شخصيته، وفي نظرته للأخرين تأثر من مدرسة والده فترسخت لديه معاني الرجولة والصلابة والانضباط وكثير من المكتسبات التي اكتسبها من والده، وتولى الملك عبد الله مسئوليات منذ صغره وريعان شبابه، فكان لهذا الأثر الكبير في اكتسابه مزيدًا من الخبرات والتجارب التي زادت من صقل شخصيته، وأعطته بُعدًا إنسانيًا..

مسئولياته قبل توليه الحكم أنه بدأ هذه المسئوليات بعضويته في الهيئه العليا لدراسة الشؤون الاقتصادية والسياسية والعسكرية للدولة وسخر نفسه منذ فترة مبكرة لمساندة إخوته في قيادة البلاد ومارس العديد من الأدوار والمهام السياسية والعسكرية والإدارية.

* في سنة (١٣٨٢هـ) أسند إليه الملك فيصل ـ رحمه الله ـ تأسيس جهاز الحرس الوطني.

* وفي (١٧ ربيع الأول ١٣٩٥هـ) عُيّن نائبًا ثانٍ لرئيس مجلس الوزراء، فكان له دور كبير في صناعة القرار السعودي، وتنفيذ السياسة السعودية داخليًا وخارجيًا.

* وشارك في تحمل العديد من المهام والمسئوليات وتمثيل المملكة في العديد من المناسبات والمحافل الدولية والمؤتمرات.

* وفي (٢١ / ٨ / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) عُيِّن وليًّا للعهد، ونائبًا لرئيس مجلس الوزراء ورئيس للحرس الوطني..

قام في أثناء ولايته للعهد بالعديد من الجهود والأدوار على المستويين الداخلي والخارجي، ومن أبرزها جهوده من أجل توحيد الصف العربي ومساعيه الحميدة لإزالة الخلافات العربية، وتوحيد العرب وجمع كلمتهم، وأثبت نجاحًا بالعديد من المهام والمصالحة التي قام بها وتحقق من خلالها تنسيق المواقف العربية وتحقيق اعلى مستويات التفاهم العربي..

وفي (١١شعبان ١٤١٦هـ) أوكل إليه الملك فهد إدارة شؤون البلاد أثناء علاجه في الخارج من وعكة صحية تطلبت فترة طويلة من العلاج والراحة، وبعد عودته من رحلته العلاجية كان يفوض أخاه ولي العهد لتولي الكثير من مهام الحكم، فتفرغ لإدارة شؤون البلاد اليومية في الداخل وقيامه بتمثيل المملكة في الخارج، وإجراء المباحثات وتوقيع الاتفاقيات مع زعماء ومسئولي العالم واستمرت المملكة خلال عهد الملك فهد في تحقيق منجزات ضخمة وكان لمشاركة ولي العهد الأمير عبد الله وقتها وبمتابعته نتج عنها تحولات كبيرة بمختلف الجوانب التعليمية والاقتصادية والزراعية والصناعية وكان لها أثر كبير وفاعل في رفاهية المواطن ورخاءه.. واستمر في تبوء وتحمل دور بارز أسهم في إرساء دعائم العمل السياسي في منطقة الخليج والعالم العربي والإسلامي وتمكن من تعزيز دور المملكة في الشأن الإقليمي والشأن العالمي سياسيًّا واقتصاديًّا.. ورأس المجلس الاقتصادي الأعلى المناط به تحديد السياسات الاقتصادية العليا بالمملكة.. وتولى منصب نائب رئيس المجلس الأعلى لشؤون البترول والمعادن عام (١٤٢٠هـ)..

وفي يوم الإثنين (٢٦ / ٦ / ١٤٢٦هـ) بُويع ملكًا للمملكة العربية السعودية.

أبرز أعماله بعد توليه الحكم:

١-كان له دور بارز باتصالاته، وإشرافه على المفاوضات التي أدت إلى انضمام المملكة لمنظمة التجاره العالمية.

٢-كان هناك الإعلان عن مشروعات اقتصادية ضخمة من إنشاء عدة مدن اقتصادية.

٣-أيضًا التوسع في برنامج الابتعاث الخارجي

٤-تأسست العديد من الجامعات والكليات الجامعية في كافة أنحاء المملكة.

٥-صدر أمره بإنشاء هيئة البيعة في (٢٨ رمضان ١٤٢٧هـ) تبع ذلك إصدار اللائحة التنفيذية لنظام هيئة البيعة.

٦-صدر نظام القضاء ونظام ديوان المظالم.

٧-وضع حجر الأساس لجامعة الملك عبد الله للأبحاث والتطوير والتقنية والتي تعد أكبر مشروع علمي حضاري في العالم العربي والإسلامي.

٨-إنشاء العديد من الهيئات الحكومية والمراكز الاقتصادية المتخصصة.

٩-أمر - حفظه الله - ببدء التوسعة الحالية للحرم المكي في المسعى والمنطقة الشمالية للحرم.

١٠-شهدت المملكة منذ مبايعته وفي وقت قصير من حكمه الكثير من الإنجازات التنموية أوضحت تفانيه في خدمة وطنه ومواطنيه.

١١-وتحققت العديد من المنجزات المهمة في مختلف الجوانب التعليمية والاقتصادية والاجتماعية.

١٢-تمكن بمهارته وحنكته من تعزيز دور المملكة في الشأن الإقليمي والعالمي في الجوانب السياسية والاقتصادية والانسانية.

١٣-أولى باهتمام كبير تحسين المستوى المعيشي للمواطنين، ودعم مسيرة الاقتصاد الوطني، وإصدر العديد من التوجيهات شملت كافة احتياجات المواطنين واهتماماتهم في المجالات التعليمية والصحية والاجتماعية والمعيشية.

١٤-على المستوى الخارجي برز اهتمامه بالشأن العربي، ونشر ثقافة الاعتدال والتسامح والحوار والانفتاح والدعوة للسلم والأمن الدوليين، وإشاعة العدل وصيانة حقوق الإنسان، ونتبين هذا من مشروعه للتسوية الشاملة والعادلة للقضية الفلسطينية والذي لقي قبولًا وتأييدًا عربيًّا وإسلاميًّا ودوليًّا، وأصبح مبادرة سلام عربية..

١٥-أسهمت المملكة في عهده في تنمية المجتمعات العربية والإسلامية في تطويرها عبر العديد من وسائل الدعم والمساعدة والإغاثة والإعانات بمختلف أشكالها.

١٦-اهتم بقضايا الحوار بين الحضارات ونبذ الصدام بينها والتقريب في وجهات النظر بين أتباعها ودعوته لضرورة تعميق المعرفة بالآخر والتأسيس لعلاقات تقوم على الاحترام المتبادل والاعتراف بالتنوع الثقافي والحضاري.

وهذا غيض من فيض من منجزاته واهتماماته في الرفع من شأن المملكة ومكانتها على كافة المستويات.

في نهاية موضوعات المقرر نراجع مراجعة سريعة لأبرز الموضوعات التي تحدثنا عنها: بالبداية تحدثنا عن أهدافه وكان من أبرزها:

-تنمية الشعور الوطني لدى الطلاب والطالبات.

-تعريفهم بالإنجازات السعودية التي تمت على أيدي أئمة وملوك الدولة السعودية في عهودها الثلاث.

-التعريف بالمعطيات الخيرة من توحيد البلاد على يد الملك عبد العزيز والجهود التي بذلت في سبيل تحقيق ذلك وما تبعه من إدارة، ومن إصلاح ومن تحديث على يد الملك عبد العزيز.

-تعريف الطلاب باستمرار هذه المعطيات في عهود الملوك من أبناء الملك والمكتسبات الحضارية التي تحققت على أيديهم.

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ